

اليسار

راية المستعفين فى الأرض

اليسار / العدد الثانى و الستون / ابريل ١٩٩٥ م / شوال ١٤١٥ هـ / اللحن جتبهان مصريان

النخبة المصرية
وأدونيس

أهداف جولة
كريستوفر فى
المنطقة

هل يدفع اليسار ثمن
انحسار الإرهاب؟

مازأ بعد نصف قرن
من الجامعة العربية؟



حرب حقول القصب فى ملوى و مسئولية السعودية فى تمويلها.

الإخوان: هل يدولون الأزمة فى نقابة المهندسين؟



بمناسبة يوم المرأة العالمي ٨ مارس

ويوم المرأة المصرية ١٦ مارس

اقرأ : الهموم القديمة ماتزال قادرة على إثارة السخرية صفحة ٨٢

اختفاء رئيس التحرير

تعرض عدد من محرري المجلة على التأخير في تسليم المادة في المواعيد المقررة كل شهر ، مما كان يسبب لرئيس التحرير توترات عصبية بالغة ، تزداد كلما بحث عنهم بلا جدوى ، لقد تعودنا - وربما أحببنا - عبارة الأستاذ حسين المتكررة : أحسن حل أعرفها واستريح ! وفي العبارة التي تذهب أدراج الرياح كلما صدر العدد ، حاملا بعض أحلامنا في ثوب صفحي ترضى عنه ، هذه المرة تهادنا الأودار - اختفى رئيس التحرير ، وفي الأيام الحاسمة للعمل - أصبح العشيد عليه ليلا أو نهارا ، في المنزل أو خارجه ، كالمسحلات الثلاثة ، بيد أنه كان الاختفاء الجليل الذي أصابنا بنوبة من الفرح والتفاؤل ، لم يشعر بها أي منا ، ربما منذ سنوات طويلة ، لقد رفع حسين عبد الرازق نفسه لمحتوى مجلس نقابة الصحفيين ، بيد أن ابتعد عن الترشح إلى انتهاء عضويته بالمجلس (دورة ٧٩ - ١٩٨٢) الأخيرة وراح يجرب المؤسسات ومعدد اللقاءات ، يناقش ويحاور .. بهجوم ويصد . وقد عادت إليه حيوية كان وكأنها اختزنها طوال السنوات الماضية ، مع أنه لم ينقطع عن العمل الحزبي أو النقابي أو السياسي العام ، ويحدثه ، التي تثير الانزعاج أحيانا ، وربما دائما . دخل حسين عبد الرازق ببرنامج بواجهه البعض الذي يريدون تدجين النقابة وتفكيكها وإحلالها بشخص أو مؤسسة أو حكومة ! ويتحاز إلى " آخرين " يريدونها بداية للتغيير وتأكيدا لقرينة النقابة وديمقراطيتها واستقلاليتها وتطهيرها لها من أدران التمييز والانهيار المعنوي والحلطي والفساد . وإذا كان هذا العمود قد شهد مرات على غيابه مدحت الزاهد وتأخيره في تسليم المادة - فإن مدحت أيضا ، هذه المرة انخرط في الغياب الجليل ، مرشحا لعضوية مجلس النقابة ومسوقا بفعل طويل في الفهم النقابي ومن الانحياز للمهنة والوطن أيا ساتكون النتائج ، فإن ظهرت منذ أيام ، فإن انتخابات نقابة الصحفيين هذه المرة ستكون علامة فارقة على طريق التحول إلى لؤلؤة المستحيل : مصر الحرة العادلة القوية المتقدمة .. السبعة ، والتي لا تبقى أبدا .

المحرر .. بالإتابة ١

مؤلفنا

- ٤ متى تتحول الجامعة العربية بجهاز حماية الأمن القومي؟ ورئيس التحرير
- ٥ هراس على دفتر الحياة
- ٦ قبة كرنهناج واليا البديل ٥. عبد العظيم أنيس
- ٧ * كلام من ذهب: د. جلال أمين ١٠
- ٨ * هل يدفع اليسار ثمن الحصار الأوربا؟ أحمد عبد القوي زيدان ١٢
- ٩ * الحجة المصرية لماذا صحت على فصل أدونيس أمينة النقاش ١٤
- ١٠ مصر
- ١١ * شعوبه الاخرى والطريق الى تدويل أزمة نقابة المهنيين مصباح قطب ١٩
- ١٢ * المخصصة والمصالح
- ١٣ الاسرائيلية وراء تدمير صناعات الأسلحة في مصر عريان نصيف ٢٣
- ١٤ * ملهى والحرب م حقل القصب اعاده وترجمة أشرف شهاب ٢٥
- ١٥ العرب
- ١٦ * جولة كريستوفر في الشرق الأوسط
- ١٧ * الامال القليلة والنجاحات الأقل صلاح صابر ٢٩
- ١٨ * رسالة حينا: صراع الرقيقين في اسرائيل نظير مجلى ٣١
- ١٩ * رسالة القدس: الاتفاقات الرسمية في واد وإبرامات اسرائيل وأدافو حنا عميرة ٣٤
- ٢٠ * العالم
- ٢١ * رسالة واشنطن: المخابرات الأمريكية وأزمة البحث عن اللات سمير كرم ٣٦
- ٢٢ * رسالة كرنهناج: هل العولة قنر على الشعوب الفقيرة؟ ٥. حكيم ب حمود ٤٠
- ٢٣ * رسالة مرسكو: مصر صفحي أحمد الحمسي ٤١
- ٢٤ * رسالة باريس: برامج المرشحين في انتخابات الرئاسة ٥. مجدى عبد الحافظ ٤٢
- ٢٥ * على هامش الانتخابات الفرنسية:
- ٢٦ * الديمقراطية التقليدية وديمقراطية الرأي العام نجلاء المصري ٤٤
- ٢٧ * رسالة برلين
- ٢٨ * حسم الصراع حول حظر انتشار السلاح النووي
- ٢٩ * والمبادئ التي يستقر عليها النظام الدولي الجديد نهيل يعقوب ٤٩
- ٣٠ * الاقتصاد العالمى هل ينلم هذه المرة من أمواج المكسيك؟ ٥. حكيم بن حمودة ٥٣
- ٣١ * فكر
- ٣٢ * الطبقة الوسطى المصرية الدور الأسكاني ٥. محمود جاه ٥٥
- ٣٣ * النموذج السرايوى الاشتراكي (٦) الاشتراكية والأدبان .. د. خليل حس خليل ٦٣
- ٣٤ * فن
- ٣٥ * حصاد رمضان ماجة مروس ٦٩
- ٣٦ * مؤامرة السبنا الى سبنا الأمرة (١١)
- ٣٧ * المفقوت بين متاريس القراء: رخدق الحكومة أحمد يوسف ٧٣
- ٣٨ * منتديات تاريخية أمنا الصواب أم أمنا الخطأ؟ هيلة الرويتي ٧٧
- ٣٩ * كاريكاتير حجازي

٥٥ أبواب ثابتة

اسلام لاكنانة: خليل عبد الكريم (١٨) أرشيف اليسار: ٥. وقعت السعيد (٦٦)

مشايقنا: صلاح ميس (٨٢)

موقفنا

بعد نصف قرن على قيد الحياة متى تحول الجامعة العربية إلى جهاز الأمن القومي؟

عبد العال الباقوري

الشرايات ، وثبتت المتغيرات ، فتحسب اليوم شحنا ، ونزعم - مع ذلك - أن نظرتنا ثاقب ، وورثنا سيد .

ما علاقه حصر العدو ، في ظل دماوى السلام ، على ما لم يحصل عليه بالحرب ، ما علاقه ذلك بالحديث عن الذكرى الحسين لقيام " جامعة الدول العربية " ؟ العلاقة جد وثيقة منذ أول يوم نشأ الجامعة ، حتى اليوم ، والغد البعيد . قما من حدث على الأرض العربية أثر في الجامعة العربية كما أثرت قضية فلسطين . وما من قضية عربية انعكس عليها عجز الجامعة العربية ، كما انعكس على فلسطين . نتذكر هنا الملحق الخاص بفلسطين الذى أقره " ميثاق جامعة الدول العربية ، الذى وقع فى ٢٢ مارس ١٩٤٥ .

لست في حاجة الى سرد نص الملحق الذى تضمن أنه لا شك في وجود فلسطين وفى استقلالها الدولى ، ثم أضاف : " وإذا كانت المظاهر الخارجية لذلك الاستقلال تلك محجوبة لأسباب قاهرة ، فلا يسوغ أن يكون ذلك حائلا دون اشتراكها فى فلسطين فى أعمال مجلس الجامعة . ولذلك ترى الدول الموقعة على ميثاق الجامعة العربية أنه نظرا إلى ظروف فلسطين الخاصة ، وإلى أن يصح هذا النظر باستقلاله فعلا ، يتولى مجلس الجامعة أمر اختيار مندوب

يطلع مرور خمسين عاما - فى ٢٢ مارس الماضى - على قيام جامعه الدول العربية العديد من التساؤلات ليس حول مستقبلها فقط ، بل حول احتمالات المستقبل العربى كله . العرب اليوم ، شبتنا أم أبينا ، يواجهون منعطفًا خطيرا ، فى ثنائيا هذا المنعطف احتمالات تهدد الوجود والكيان ، والهوية .

السؤال الأول : هنا ، هو إلى متى يتجاهل العرب نذر الخطر فى المنعطف الخطر ؟ هل يستمرون فى ذلك الى أن يحكم عليهم بـ " الخروج من التاريخ " حسب تعبير أستاذنا الدكتور فوزى منصور ؟ أو أن الوقت لا يزال يسمح بفرصة يمكنهم فيها أن يدركوا فيقتادروا ؟ ... وما .

والسؤال الثانى هو : إذا كان من قوانين الطبيعة أن من اتفقت مصالحهم يتجمعون ويتناسرون ، قالى متى سيظل العرب استثناء من ذلك ؟ .

وبالطبع فإتنى لم اتسامد - ولن - متى يعلنون وفاة العرب ؟ ، فهذا سؤال شاعر وليس سؤال محلل - . لكننى - فى المقابل - أتسامد : إلى متى تستمر فى " سكرة السلام " التى تسمح لعدونا بأن يحصل فى ظل هذا " السلام " على ما لم يحصل عليه فى الحرب ؟ أعنى فى حربيه شتينا من ١٩٤٨ " النكبة " و ١٩٥٦ " العدوان الثلاثى " و ١٩٦٧ > عدوان حزيران > و ١٩٧٣ > حرب يوم الغفران > و ١٩٨٢ > " العدوان على لبنان " .

وتختصار ، الى متى منطل نحن العرب نتضارب فى تحديد الأولويات ، فنغلب الشائرى على الجوهري الأسيل ، ونهش

رئيس التحرير
هين عبد الرازق

المشرف القنى
محمود الحنفى

المستشارون:
إبراهيم بدرأوى
د. رنعت السيد
صلاح ميسى
د. عبد العظيم السيد
عبد الغفار شكر
عبد الفتى أبو العمين
محمود أمين العالم

شارك فى التأسيس:
د. فؤاد مرسى

اليسار: منبر ديمقراطى
يصدر عن التجمع الوطنى
التقدمى الوحدوى فى اليوم
الأول من كل شهر

ALYASSAR I KARIM EL DAW-
LASTALAAT HARB SQ.
CAIRO / EGYPT

الاشتراكات (لمدة سنة واحدة)
مصر: ٢٠ جنيها للأفراد و ٦٠ جنيها للهيئات
الوطن العربى: ٥٠ دولارا أمريكيا
أو ما يعادلها

العالم: ١٠٠ دولارا أمريكيا أو ما يعادلها
ترسل القيمة يشيك مصر فى أو
حوالة بريدية إلى إدارة المجلة.

الإدارة والتحرير: إشارع
كريم الدولة ميدان طلعت
حرب القاهرة

ت: ٥٧٥٩١٥٢ - ٥٧٥٩٠١١ - ٥٧٥٩٢٨١
فاكس: ٥٧٨٦٢٩٨ - ٥٧٨٦٢٩٨

عربى من فلسطين للاشتراك في أعماله.

الخطأ والخطية

كانت تلك "قطعة البداية" في خطأ تضخم لصار خطية. إنها "وصاية" الجامعة والعرب على فلسطين وشعب فلسطين، والقول بأن "هذه قضية عربية". وكانت هذه القول، في أحيان كثيرة، كلمة عن أريد بها باطل. وحين أقيمت الأمم المتحدة، بتدبير من بريطانيا، وبضغط من أمريكا، على إصدار قرار التقسيم الجائر في ١٩٤٧، والذي أخطأ الاتحاد السوفيتي، في ذلك الوقت، بالموافقة عليه، وقلت الجامعة العربية ودولها وقياداتها عاجزة عن الحركة، وافقدت القدرة على أن تفعل شيئاً يوقف القرار أو يعطله، واكتفت بإصدار قرارات الشجب وصرخات الاستنكار، والتي تبعد صدها في الأوج، مادامت لا تتحول إلى فعل يؤثر على أصحاب المصالح في إصدار القرار.

وليس المقارن. من وجهة النظر التاريخية، التساؤل عن إمكانية قيام العرب بوقف إصدار قرار التقسيم ١ ولكن ما يروى تاريخياً أن أحد الذين شهدوا تناوأت أمريكا وعرطها لتبني قرار، أشار إلى الأمير فيصل بن عبد العزيز وزير خارجية المملكة العربية السعودية في ١٩٤٧، وقال: إن هذا الرجل يستطيع وقف قرار التقسيم. ولكن هذا الرجل كان أعرج من أن يفعل. ماذا؟ لأسباب كثيرة، لأمجاد هنا لسرها.

وحيث انسحبت القوات البريطانية، وأعلن قيام "الكيان الصهيوني" كان العرب وجامعتهم العربية يرتكبون الخطأ تلو الخطأ: وقف دعم الناشئين الفلسطينيين، ثم اتخاذ قرار بالتدخل عسكرياً، وبالفعل تدخلت سبعة جيوش عربية - مجازاً - فهزمت على النحو الذي لا يحتاج إلى تفصيل، وكان لابد أن تهزم، إذ كانت المواجهة بين جبهتين: خلاصة الخلاصة أو صفة الصفر من المجتمع الأوروبي (العربي والشرقي) والأميركي المتشدد والمردك لأحداث العصر وتطوراتها، والذي يجيد أساليب القتال كما يجيد أساليب المناورة السياسية، والذي توفر له قيادة واحدة حدث هذا، وسارت بقيات نحو تحقيقه. وعلى النقيض من ذلك، كان العرب وجامعتهم الرليدة: قيادات متعددة، ومتخلفة، ومتعقلة، خاضت المعركة دون أن يكون لها هدف واحد، بل كانت لها أغراض شتى، سادت بينها روح التسلل وعدم الثقة، فغرقت في مناصات شخصية، ولم يتحرك بشئها عن انتظار جازئته.

أفصداً لأمير عبد الله الملك فيما بعد. قطعة من أرض فلسطين وسع بها إمارة نصارت مملكة. عادت الجيوشية المهزومة إلى بلادها هجر أذبال الحامية، وتبحث لها عن دور، ففرقت في التخلل في الشئون السياسية لبلادها، ثم تحول هذا التخلل من تحرك راء، والسياسة إلى انقلاب واستيلاء على الحكم. وكانت البداية من سوريا، التي شهدت سلسلة انقلابات بدأت بانقلاب حسين الزعيم ولم تتوقف بانقلاب الشيشكلي. أما الجامعة العربية ففرقت عاجزة عن استيعاب "دروس التكية" وظلت تسمير على النهج تقريباً: احتجاجات، وبيانات وأحجاجات. وكفى الله الجامعة شر العمل الصحيح. ولكن الجامعة أجمعت في ١٩٥٠ على خطة مهمة، فقد أدركت أهمية التعاون العسكري فيما بينها، ففرقت "معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي" التي يطلق عليها "ميثاق الضمان الجماعي". ولكن الميثاق خلا من الأدوات القادرة على تحقيق أهدافه. لقد أنشأ مجلس الدفاع المشترك، واللجنة العسكرية الدائمة والهيئة الاستشارية العسكرية، ولا أدل على هذا من أن مجلس الدفاع المشترك لم يعرف الانظام في اجتماعاته. كما أن قراراته لم تصرف طريقتها إلى التنفيذ. وأدى هذا إلى عقد اتفاقيات عسكرية ثنائية، أو ثلاثية لم تكن في حقيقتها أجدي كسراً من التعاون العسكري في داخل الجامعة العربية.

ولعل عجز الجامعة العربية تجاه فلسطين تجلى بكل الروجوع في موقفها من الأردن حين أقدم على ضم "الضفة الغربية"، فعلى الرغم من الاعتراض ب"استقلال فلسطين" الذي صدقته وادخل الجيوش العربية حرب ١٩٤٨، فإن اغتيال هذا الاستقلال بين: وانشاء "الكيان الصهيوني أولاً". بل في التهام الأردن للجزء الأكبر الذي بقى في يد العرب من فلسطين، بعد أن عجزوا عن تطبيق قرار التقسيم الذي فرضه، وتجلى العجز أكثر حين وقع العدوان الثلاثي على مصر في ١٩٥٦، ووقعت الجامعة العربية متفرجة أو شبه متفرجة. وقبل ذلك، كانت الجامعة قد عجزت - بالرغم مما شهدت من اجتماعات ومناقشات - عن منع العراق من إبرام "حلف بغداد" الذي كان يهدد بالانصاع، وبانضمام أكثر من طرف عربي إليه، لولا المقاومة الشجيرة التي شنتها القيادة في مصر وسوريا ضد هذا الحلف.. وكان اشتراك العراق بين مصر وسوريا في مواجهة خطط إسرائيل وحلفائها مقدمة للوحدة المصرية في ١٩٥٨.

وحيث سقطت الوحدة في ١٩٦٦، وحين نشبت الحرب الباردة العربية التي ما لبثت أن تحولت إلى حرب ساخنة في اليمن، كانت الجامعة العربية غائبة أو مغيبة عن دور لم تهيأ له، منذ سقوطها في اختيار ضم الملك عبد الله "الضفة الغربية" وهكذا لم تستطع الجامعة العربية إلا على صوت دهايات العدو الإسرائيلي، وهي تحتل المزيد من الأرض العربية في ١٩٦٧: من سيناء إلى الجولان، بالإضافة إلى غزة والضفة والقدس، أي كامل التراب الفلسطيني.

الغلاية المشروية

وحيث "لجحت" القيادة العربية في ١٩٦٧ في عقد قمة الخرطوم التي ضمنت شعار اللائحة الثلاثة، لم تستطع أن تتخذ القرار الضروري باستخدام البترول العربي سلاحاً في المعركة. وهو السلاح الذي شرعه العرب في ١٩٧٣، ولكنهم لم يجيدوا استخدامه من ناحية، كما أنهم تراجعوا عنه بضغط من أمريكا و"بعض" سياسيين من الرئيس السادات الذي كان قد أدخل القرار مع العدو في مسار جديد، سرراً، بتصرفات قبل الحرب أو في انتهائها أو بعدها مباشرة. ثم كانت ثلاثيته المشروية: الزبارة والكاتب والمعامدة. وأدى هذا - ضمن أشياء أخرى - إلى انتقال الجامعة العربية إلى تونس، وإلى جولة جديدة من الحرب الباردة المصرية، كان لها جانب ساخن لفرق الأرض اللبنانية التي كانت صيداً لاعترا ب العرب فيما بينهم. وحين صادت الجامعة المصرية إلى مقرها الدائم ومستقرها في القاهرة، كان الصراع العربي الإسرائيلي قد دخل في طور جديد، لم تستطع الجامعة أن تستنكره فباركته، ووصل الأمر إلى حد أن توقع شمعون بيريز وزير خارجية إسرائيل في فكاهة خبيثة ومرة أن يأتي يوم يضغط فيه العرب على إسرائيل "للدخول الجامعة العربية وأطلق هذا في حين كان يتحدث عن "شرق أوسط جديد" في عصر جديد لا يطبق المتخلفين ولا يفر من للجبهة". وهذا تشخيص صحيح ودقيق.

إذن أثر سانسى "مسار التسوية السلمية" إلى الجامعة العربية، بل وعلى الدعية والعمل من أجل التوحيد العربي. ومن المؤكد أن استمرار هذا المسار على النحو الذي يجري حالياً سيؤدي الجامعة ضعفاً لفرق ضعف، خاصة، وإذا وضعت في الاعتبار ما أزن الوضع العربي وليس الجامعة العربية التي ترتب على غزو صدام حسين واحتلاله للكويت التي تحولت حرب تحريزها إلى حرب تدمير العراق.



اجتماع جامعة الدول العربية

.. وتم تكوين " الحلف الدولي: لتدمير العراق تحت اسم الجامعة العربية وفي إطارها ١١.

هل يعني هذا أن " جامعة الدول العربية " كانت مؤسسة فاشلة على طول الخط؟ مثل هذا الحكم ليس من طائفة الأمور ، إن مجرد بقا الجامعة في حد ذاته أمر إيجابي ، ونقدها لا يعني إغفال ما حققت ، ففى حدود ما ارتبط بها حققت الكثير ، خاصة فى المجالات غير السياسية، إن لدى الجامعة العربية سلسلة عاتلة من الاتفاقات والمعاهدات بين دولها الأعضاء لو تم تطبيقها لحققت شكلا وقسدا لا بأس به من العمل العربى المشترك والمشكلة تأتي من أن الجزء الأكبر من هذه الاتفاقات والمعاهدات ليست أكثر من حبر على ورق.

الطريق إلى المصالحة

وفى ظل الظروف الراهنة ، فإن الإغراق فى " التفكير الرأغب " مصيبة . ومصيبة كبيرة ، إن أحدا لا ينتظر الشئ الكثير من الجامعة العربية فى حالتها الآن . وهنا ، فإن الواقعية فى التفكير وفى التخطيط أمر لا بد منه ولذلك ، فبدلا من الإغراق فى الحديث عن تعديل الميثاق أو إضافة ملاحق إليه ، وقد استغرق الجدل فى ذلك وقتا طويلا ، يجب الانصراف إلى خطوات عملية بسيطة ، قد تؤدى إلى إحياء الجامعة العربية ، ومن هذه الخطوات العملية والضرورية أن يكون للجامعة قيادة شابة وديناميكية ، وأن تتحول أمانتها العامة من جهاز وطنى إلى جهاز تخطيط ، وأن " تنكش " مهام الجامعة العربية ، فتضع فى اهتمامها وظيفة وحيدة

وهى الحفاظ على الأمن التوسى . والطريق إلى ذلك يبدأ أولا بتحقيق مصالحة عربية ، ويبدأ ثانيا بوضع منتهج عربى قديم لعملية التسوية ومواجهة العدو الإسرائيلى .. سواء لتحقيق السلام الشامل ، أو تأخر فتحمل ، أو لم يتحقق . كانت فلسطين مقتل الجامعة وفى فلسطين حياة الجامعة العربية لو (هل هناك مجال لكلمة لو ؟) أن الجامعات العربية نجحت فى أول اختبار خاضته بشأن فلسطين لما وصل حالها ، أى حال الجامعة (رجال فلسطين) إلى ماوصل إليه اليوم . إن ماحدث قد حدث . ولا يزال فى عمر الجامعة العربية بقية . ولا يزال فى إمكانها أن تستعيد الحيوية . وتعود إلى الحياة ، بشرط أن يدرك كل من يعنيه أمرها أن هذه مهمة عاجلة .. الآن الآن وليس غدا .

قمة كوبنهاجن والبيان البديل

د. محمد العظم أنيس

قال ميتران : * هل نسمع حقاً أن يصبح هذا العالم سوقاً دولية بدون أي قوانين غير قوانين الغابة ، وبلا هدف غيّر هدف الربح الأعظم في أقل وقت؟ وهل يجب علينا أن نترك هذا العالم في يد هؤلاء الذين يؤمنون فقط بتفكيك دور الدولة؟ وهل سوف تترك الأجيال القادمة لأفعال هذه القوى العنصرية العمياء؟ *

لكن احتجاجات ميتران - ومن قبله كاسترو - نزلت على آذان صماء لحكومات الغرب التي لا تريد أن تصنع شيئاً جاداً لمواجهة التفرق في العالم الثالث مادام هذا العمل سوف يكلفها أعباءً جديدة تخفف من التهرب الذي تغتر به من الجنوب.

إن المسألة التي تراجعت هذا العالم اليوم تظهر في هذا التناقض المدهش الذي يبدو بين عالم يزداد تقارباً عن طريق صورة التلفزيون والأفلام الصناعية ، ويزداد في نفس الوقت انقساماً وصراعاً بين لقراء وأغنياء ، بين شمال وجنوب ، وحتى في داخل الجنوب نفسه تزداد الصراعات العرقية والوطنية حدة واحتداماً وتفتقر الحروب هنا وهناك ، إلى هذا التقارب عن طريق صورة التلفزيون والأفلام الصناعية لم يزد إلا إلى تكوين وعي كوني ولا إلى تضامن بشري بين شمال وجنوب ، إنما أدى إلى مزيد من التشرقة وجنون السعي إلى الأرباح مهما تكن الوسيلة.

وإذا كان مؤتمر كوبنهاجن قد انتهى إلى تلك النهاية الحزينة التي ماكان من الممكن لإنسان جاد يعلم الحقائق أن يتوقع غيرها ، إلا أن المكسب الأساسي في رأيي هو البيان البديل الذي أصدرته المنظمات والهيئات غير الحكومية في كوبنهاجن ، وهو بمثابة الره على بيان قمة كوبنهاجن ، وهو يشير إلى الطريق الصحيح لمواجهة مشكلة الفقر في هذا العالم.

ولقد أضع البيان البديل كيف أن مشروع بيان قمة كوبنهاجن يتناقض مع أهداف التنمية العادلة والمستمرة . فالمشروع يوضح انشغال أطراف تلك القمة بقوى " السوق الحرة المفرحة " كأساساً لتنظيم الاقتصاد الوطني والدولي ، مع أنه في حالة الدول النامية بالذات فإن هذا الأساس يعاقم الأزمات الاجتماعية بدلا من حلها كما يقام من عدم الاستقرار الاجتماعي والسياسي.

ولقد ركز البيان البديل على الحاجة لمواجهة الانهيار الاجتماعي لأعداد متزايدة من فقراء هذا العالم ، موضحاً أنه في إفريقيا وبعدها يبلغ عدد الفقراء - عام ١٩٩٥ - ٤٠٠ مليون نسمة إكسها هاجم

سواء تلك التي تتعلق بقضية إلغاء ديون العالم الثالث ، أو بخفض التسليح وزيادة المساعدات لدول العالم الثالث ، أو بشروط للتجارة الدولية غير صحيحة لشعوب العالم الثالث . إلخ.

زعيم واحد من الغرب ، على وشك أن يغادر السلطة ورثا الحسية أسلاً ، الرئيس الفرنسي الاشتراكي فرانسوا ميتران ، هو الذي ذهب إلى كوبنهاجن ، رفع صوته عالياً ضد هذا الذي يجري في العالم اليوم ، وهاجم أن تقع التنمية الاجتماعية في الجنوب تحت رحمة قوى السوق الدولية بالكامل.

كلمتين



لأعرف وصفاً أدق لأحوال شعوب الجنوب وطرحاً لجرهم مشكلة الفقر في العالم الثالث مثل هذا الطرح الذي قدمه المفكر الفرنسي الماركسي جان زيجلر في حوار مع ريجي دوبريه مؤرخاً عندما يقول: " إن ما يصدمني كسكاف ، وما ينبغي أن يصدم كل إنسان يفكر في الغرب ويعيش ينجم من الحاجة والعجز وخوف الجوع (مؤقتاً على الأقل) هو أننا في العالم خمسة مليارات ومئتا مليون نسمة ، منهم ثلاثة مليارات ومئتا مليون يعيشون في واحد من بلدان العالم الثالث والباقي (مليار وأربعمائة مليون) يعيشون في محيط عالم الرغد النسبي وتزوير الصير.

* والواقع أن قسماً كبيراً من ثلاثة أرباع البشرية هذه يخرج من التاريخ ويغوص في الليل ، وقدرته على القول تضاعف ، ونصيبه من المشاركة في آليات صنع التاريخ قبل إلى أن تكون صفراً . ومن ثم فالسؤال هو: ما العمل للميلولة دون أن تؤدي المجنونة التي أطلقها التزجيد المصطنع لرجدان البشر عن طريق التسلمة إلى أن تترك من تاريخ العالم غالبية البشر الذين يسكنونه "

تذكرت كلمة جان زيجلر هذه وأنا أقرأ أنباء مؤتمر كوبنهاجن للتنمية الاجتماعية والذين علقوا آملاً على نتائج هذا المؤتمر وقراراته في الإجابة على السؤال الذي طرحه زيجلر في ختام كلامه لابد أن يكونوا قد صدمهم القتل الدريع الذي انتهى إليه هذا المؤتمر بسبب مرقف حكومات الغرب منه ، ولقد كان واضحاً منذ مبدأ الأمر أن تخلف معظم قادة الغرب عن حضور المؤتمر كلفيتون ، هيلموت كول) كان نذيراً بأن قيادة الرأسمالية الدولية لا يريدون أن يورطوا أنفسهم في التزامات

مصر... ومعاهدة الحظر النووي

اليابانية تتباين مع التصريحات الأولى التي كانت تعلن أننا لن نوقع على عقيد معاهدة الحظر مالم توقع إسرائيل ، وبالتالي فإن هذا الموقف الجديد يعتبر تراجعاً ففتح الباب لأى حل لا يغير شيئاً من الناحية العملية للوضع القائم وإن قد قدم بعض الإرضاء لمصر من الناحية الشكلية ويحصل أن تطالب مصر كل دول المنطقة بالتوقيع ، ولكن صلب مصر كل دول القاصر هو ، ماذا تفعل مصر إذا وقعت إسرائيل التوقيع وصمتت على الرفض ؟ هل هناك خيارات مختلفة أمام مصر للعصف والرء على هذا الرفض ؟

هذا هو السؤال الذى يبدو أن إجابته معروفة ضد حكره مصر ، وإن كانت تعقيداً . والأمر الذى يرجع هذا تماماً المقال الذى نشره د. مهدي شهاب رئيس جامعة القاهرة فى الأهرام (عدد ١٨ مارس الماضى) بعنوان " مصر ومعاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية " جوانب قانونية (١) . وأهمية هذا المقال أنه صادر من أستاذ فى القانون الدولى وهو مستشار النظام المحالى ، وأحد أعضاء اللجنة الاستشارية التى اجتمع بها الرئيس مبارك قبل سفره إلى اليابان ثم بعد عودته .

ومن هذا المقال نستخرج أن قرار عقيد المعاهدة سوف يتخذ بأغلبية بسيطة للدول الأطراف فى هذه المعاهدة ، أى بأغلبية ٨٦ صوتاً من بين ١٧٦ طرفاً فى تلك المعاهدة ، وأنه لن يكتفى المؤكد أن تترفق لأمرىكا هذه الأغلبية ، إنه إذا حدث فإن كل أطراف ال ١٧٦ دولة سوف تكون ملتزمة بهذا التجديد بصرف النظر عن رأيها المحالى . بالطبع يمكن لمصر أن تسحب من المعاهدة ، لكن مكانة مصر الدولية كما يقول د. مهدي شهاب - تستند على التزامها بالشرعية الدولية ، وأنى مكاسب محتملة من هذا الاتسحاب لن توازن الخسائر المحتملة من الانسحاب التاجمة عن هذا الاتسحاب كما يقول ، وقد نفى الرئيس مبارك هذا الاحتمال على أى حال .

عندما أعلن المستوطنون فى مصر بأنهم لن يوقعوا على تجديد معاهدة الحظر النووى فى إبريل القادم إلا إذا وقعت إسرائيل عليها ، كان لهذا الإعلان صدق طيب فى أوساط الشعب المصرى بأكمله ، وسعدت أنا به شخصياً كواحد من هذا الشعب . وإن كنت أخاف على القارئ شكوكى فى استمرارية حكومة مصر فى هذا الالتزام ، وشكوكى أيضاً فيما إذا كان لهذا الإعلان علاقة بأشياء أخرى غير موضوع الأمن القومى .

وكان مصدر شكى هذا أن الحكومة فى الماضى كثيراً ما أعلنت عن مواقف ثم تراجعت عنها بعد ذلك فى قضايا ليس لها النسل الدولى الذى لهذه القضية . فانا أعلم كما تعلم أن أمريكا تعتبر التسليح النووى الإسرائيلي أمراً مهماً لنظام الأمن القومى الأمريكى ولحق الأطلنطى وبالتالى يهمها الإبقاء على السلاح النووى الإسرائيلى على الأقل حالياً كما أعلم أن الحكومة المصرية لا تتطلع أن تتصادى فى تحدى أى موقف أو جهة تطرح أمريكية لأنها - هى الحكومة - تعتمد اعتماداً كاملاً فى القروض والمعونات وسياساتها الاقتصادية على واشنطن ومؤسساتها المالية الدولية ، وفى مثل هذه الظروف يكون من الصعب - إن لم يكن من المستحيل - تحدى وجهة نظر واشنطن فى قضية أساسية مثل هذه القضية .

ثم إذا تراجع مصر الرصة عن موقعها الأول - وبالتالى بأننا لن نوقع على التصديق مالم توقع إسرائيل - وجاءت أنها هذا التراجع من طوكيو خلال زيارة الرئيس مبارك لليابان ومن خلال أحدى الصحف اليابانية ، عندما قال لهذه الصحف أن مصر تتوافق على مد هذه المعاهدة ومستعدة للتوقيع عليها ولكن لفترة زمنية محددة . وأن مصر لن تسحب من معاهدة حظر التسليح النووى ، ولكنها تطالب جميع دول المنطقة دون استثناء بالتوقيع عليها .

ولاشك أن هذه التصريحات فى الصحف

اليابان سياسة التكيف الهيكلى التى يطررها على البنك الدولى وصندوق النقد الدولى على دول العالم الثالث والتى أدت إلى المزيد من الفقر فى الجنوب بدلاً من أن تؤدى إلى التنمية الاجتماعية كما ادعت المؤسسات الدوليتان ، وهاجم شروط التجارة الدولية التى تميل لصالح دول الشمال وتؤدى إلى المزيد من الفقر فى الجنوب وذلك عن طريق خفض أسعار المواد الخام فى الأسواق الدولية وإضعاف الصناعة الوطنية أو القضاء عليها .

كما دعا إلى التبدل إلى إلغاء ديون العالم الثالث ، وأن يتوقف هذا الربط المربط بين مشروحي إلغاء الديون أو تخفيفها وبين فرض سياسات البنك الدولى وصندوق النقد الدولى لسياسات " التكيف الهيكلى " كشرط أساسى لتخفيف الديون وإلغاء بعضها ، على نحو ما يحدث فى مصر ، والذي جعل سياسة مصر الاقتصادية توضع فى واشنطن وليس فى القاهرة .

وأوضح البيان أن صانعيه بن تخفيف الغرب للدين العالم الثالث هو وهم أكثر منه حقيقة ، ففى أفريقيا جنوب خط الاستواء بلغت مدفوعات دول هذه المنطقة للشمال عشرة بليون دولار لعام ١٩٩٠ بينما كل ما فى من ديون تلك الدول لا يزيد عن ١٠٠ مليون دولاراً .

وأخيراً أوضح البيان كيف أن البطالة هى أحد الجذور الأساسية للفساد الاجتماعى والسياسى ، وبالتالي النظام فى مصر يدرك هذه الحقيقة ويصرف على أساسها) ومن هنا دعا البيان إلى المشاركة الكاملة والمعادلة لمنظمات المجتمع المدنى غير الحكومية فى وضع السياسات وسياسة برامج المعاملة المستمرة فى المشاركة فى اتخاذ القرارات .

إن سرعة البيان التبدل من كونهاجى هى سرخرة شعوب العالم الثالث الذين هم ثلاثة أرباع سكان هذا العالم ، وهى سرخرة من أجل تضامن شعوب العالم الثالث وكل الشرية ، وفى التضامن فى هذا العالم بأنهم لمواجهة مقررة المجتمع الدولى ، ومن أجل تحديثات قوانين الغاية الرأسمالية التى تفرضها قوى اقتصادية وشركات دولية احتكارية ضد مصالح الشعوب ، وهى خير رد على السؤال الهام الذى طرحه جان ريجير :

سالمصل للصيرولة دون أن تؤدى الجدلية التى أطلقها التوحيد الصطنع لوجدها الإنسان عن طريق الستئنة إلى أن تؤزل من تاريخ العالم غالبية البشر الذين يستكثرونه

مراعى القتل

التي ضلّت على بطارية الصواريخ معا في حرب الاستنزاف وحرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ لتلفظ رجزها كسلكاوية في ليبيا ، وما أقسى المارقة؟ رجال دافعا بأرواحهم عن الوطن ويتسولون بعد ذلك في ليبيا .

والرواية تحكى في معظمها ما يتعرض له السلكاوى المصرى - وهم بشت الألوف - في ليبيا الشقيقة من مهانة وإذلال وإستغلال من جانب أفراد قبائل أولاد علي في مناطق الحدوده وساقى التاكسيات المشتغلين في عمليات التهريب ، ومن جانب المقاويل المصريين الليبيين والسوريين والبنانيين الذين يقومون بتوريد العمالة اليهودية في المناطق الليبية المختلفة ، والذين يشتغلون بتجارة العملة في السوق السوداء ، كما تحكى عن هذا اللقاء الغريب بين هؤلاء الفلاحين الأشداء وبين بعض نساء ليبيا ، تماما كما يحدث للرجال الذين يتسردون على الاسكندرية والمغارات التي تجرى هنا وهناك .

المهم أن الرواية تتفتح لقارئها بانوارها مشيرة لأحداث القربة المصرية ولوقائع حرب الاستنزاف وحرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ ، كما تتفتح أبداً لغيرها لوقائع مايجرى للرجال المصريين في ليبيا . وفى هذا التصوير نبرة صدق واضعة كما أن الحوار الذى يجرى في داخلها بين شخصياتها الرئيسية هو حوار مصرى خالص لا تطفئه الأذن عند سماعه ، وفى الرواية العديدين المواقف الإنسانية التي تهر مكان القلوب بصندقتها أو بقسوتها أو بالمخافة التي تكن فيها وإن أستطيع في هذه المجالة أن أتعرض لبعض هذه المواقف .

تجمة من القلب لفقى إمبابي على هذا العمل الفنى الممتاز ، وإن كنت لأشاركه الرأى في موقفه من قضية النحر في اللقطة .

"مراعى القتل" اسم رواية صدرت حديثا لفقى إمبابي ، وأنا لأعترف من هو فقى إمبابي ، لكن أعرف أننى عندما بدأت قراءه هذه الرواية التي وجمت عليها صدقة لم أستطع أن أتركها حتى انتهيت من قراءتها رغم طولها (نحو ٤٠٠ صفحة) والذى بهرنى في هذه الرواية طبيعة التجربة الواردة فيها والتي هي غريبة على حضرى مثلى لم يمشأ في الريف المصرى .

هي قصة فلاح مصر (عبد الله) عاش حرب الاستنزاف في القتال كجندى على بطارية مدافع مضادة للطائرات في القناة ، ورأى بعينه الموت في معركة بناء حائط الصواريخ ومن سقطوا في هذه المعركة المجدبة من رفاقه ، كما شارك أيضا في حرب ١٩٧٣ . وعندما انتهت الحرب وسرح هو وزملاؤه بطارية الصواريخ ، (المبروك وتبيل ومحمود وأبر رهاب) وعاد إلى قريته قرب منوف وجد أن أخاه قد أكل نصيبه في أراضي أبيه واستخدم خضمه بعد وفاته في التنازل عن الأرض ، كما نصب أخوه الآخر عليه في مشروع فتح محل فول وطعمية . وعندما قرر أن يشترى أسطورا من سوق السبت أكل قتل أخيه . جاء الفرج والنجدة من السماء ، إلا ظهر زميله على بطارية الصواريخ المبروك ليجأ بزيوره في قريته ويقول له : صميب الزمن بأخى القتل لم تله أمى .

جهز جاجلاك ونعدى ليبيا الشقيقة نلقظ زرقنا .

فلما قال عبد الله إن هناك مشكلة جواز السفررد المبروك ببساطة : ما بهش نطلع سلكاوية باهن عسى والسلكاوى هو الذى يدخل ليبيا من رواد الأسلاك بشكل غير قانونى ، للاشتغال عادة في الأعمال اليدوية من حفر وبناء هناك . وهكذا ذهبت المجموعة

وإذن ماذا يبقى لصدر الرسمية من أخبارات على ضوء هذه الحقائق غير حث أمريكا على مد المعاهدة إلى فترة زمنية محددة مثل ٢٥ سنة أخرى بدلا من التصديق الأبدى ؟ وإذا أصرت أمريكا على موقفها فلن يكون أمام مصر من خيار غير التوقيع فيما يبدو بعد إضافة تعديلات شكلية محدودة لا تقدم ولا تخر كثيرا في الموضوع الأساسى وهو بقاء إسرائيل خارج هذه المعاهدة والتزاماتها . وإذا كانت مصر الرسمية تعلم كل هذه الحقائق كما يبدو من مقال د . مفيد شهاب فلماذا لجأت إلى كل هذه الضجة حول هذا الموضوع ؟ وهل لهذه الضجة علاقة بأشياء أخرى غير موضوع الأمن القومى ؟

لأحد يستطيع أن يقطع بإجابة غير العالين بهرابطن الأمر القريبين جدا من دهاليز السلطة ، لكن يخطر على البال مع ذلك أولا كانت طرفا فاعلا وأصولا أو المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية وصلت إليه برفض راين تنقيذ اتفاق المبادئ لأوسلو المرفع في سبتمبر سنة ١٩٩٣ .

وليس خائبا على أحد من المتابعين للشئون السياسية أن مصر الرسمية تشعر بإهانة خاصة من جراء هذا التعمش في المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية ، لأنها أولا كانت طرفا فاعلا وأصولا أو المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية وصلت إليه برفض راين تنقيذ اتفاق المبادئ لأوسلو المرفع في سبتمبر سنة ١٩٩٣ .

ومنها اتفاق استسلام وليس اتفاق سلام . ومن هنا كان تقدير مصر الرسمية بأن تنفيذ اتفاق أوسلو هو أحد موازين تنقيذ التعمش في تنقيذه هو أحد موازين ضعفها ، ومن هنا جاءت تصريحات عمرو موسى المستمرة والتي تكرر التحذير من الوصول إلى طريق مسدود في تنفيذ الاتفاق ، رغم حسابات راين المتعلقة بالتصحيحات الإسرائيلية المقلبة أو التشكيل الوزارى القائم على تحالفات قوى متجانسة في مواقفها ، وما يفرجه كل هذا عليه من أولويات في العمل السياسى غير أولويات مصر أو الفلسطينيين .

هل لهذه المسألة علاقة بالضجة التي أثارت حول موقف إسرائيل من قضية المعاهدة الثورية ؟ وهل يمكن الوصول إلى حلول مع إسرائيل تسرى جميع الأرواق في صفقة واحدة ؟ لأستطيع أن أجزم وإن كان هذا واردا بطبيعة الحال .

ومن ثم فلا يستهري على الإطلاق أصحاب الإعلانات وبالتالي إنه لا يطلب أى دخل يذكر للفتاة التلفزيونية ، فيلجأون إلى إغفائه عن الأعين فلا يذاع إلا فى وقت يكون فيه الناس جميعا نياما ، بما فيهم أنا الذى أجد فى العادة أن النوم أفضل من هذا الذى يدعونى إليه الاعتداء على الكرامة

ولكنى كنت بالطبع ألقى نظرة من حين لآخر ، دون استعانة سابق على ما يقدمه التلفزيون الأمريكى فى الأوقات العادية وكان يلفت نظري بوجه خاص أحد البرامج الشهيرة والمتكررة بشكل أو آخر كل يوم تقريبا وكنت أجد فى غابة السخافة والسذاجة وعدم اللياقة بل والاعتداء على كرامة الناس.

كنا هذا البرنامج يجسرى على نحو كالتالى:

يختشد جمهور من الناس الذين يسعدهم الحظ بالحصول على دعوة من التلفزيون ، ليسا يشبه صالة مسرح صغير ، ويقف المذيع الشهير مقدم البرنامج ، على خشبة المسرح ويختار هذا الشخص أو ذاك ، رجلا أو امرأة ، من بين الحاضرين . فيدعوه للصعود إليه على المسرح ، ويبدأ فى توجيه أسئلة معدة سلفا ، وكلما أجاب الشخص بالإجابة الصحيحة انطلقت صفارة أو دقت الموسيقى ، وأعطى درجة من عشرة ، فإذا تجمع لديه من الدرجات كمية معينة نال عليها جائزة مثل ثلاثة أو غسالة أو قرين كهربي .. الخ . ثم يطرح على هذا الفائز الاختيار بين الاكتفاء بما حصل عليه ، فينصرف بجائزته أو أن يراهن بما حصل عليه من جائزة على جائزة أكبر ، يحصل عليها إذا أجاب على بعض الأسئلة الأخرى إجابة صحيحة وهكذا يستمر البرنامج تكبر المجازة شيئا فشيئا ثم يصاب المتصابق المسكين بصدمة نفسية عيفة إذا حيز عن الإجابة على السؤال الأخير وخسر كل شيء ، أو تصيبه لومة من الفرح إذا حصل على المجازة الكبرى التى قد تكون سيارة كاديلاك فاخرة أو حتى فيلا كاملة التايبث بمعدية رائعة.

للقارئ أن يخمن ما يستتوي على المشاهدين وجمهور التلفزيون من لهفة وقلق وحساس وتوق إلى معرفة النتيجة ، وما لابد أن يتصور على المتبائين من توتر وخوف وأمل وفرح عظيم أو خيبة أمل قطعية . ولهذا ، بؤذاته اشتهر البرنامج شهرة عظيمة وأصبح مقدم البرنامج من النجوم اللامعين الذين يقارون فى شهرتهم بشهرة رئيس

كلام من ذهب ذهب .. ذهب .. ذهب ..

د. جلال أمين

أو يومين ، بل ربما فى الأسبوع كله بل الشهر بأكمله . فإذا حدث ووجدت بالفعل فى هذا المجلد إشارة إلى شيء أريد فعلا أن أراه فأأرجع أن يكون ذلك فى الساعات الأولى من اليوم ، أى قرب الفجر ، إذ أن هذا الذى قد أريد مشاهدته هو فى الغالب من ذلك النوع الذى لا يحظى بإقبال غالبية الشعب الأمريكى ،

متدما كنت أنسى عاما فى الولايات المتحدة ، زائرا لإحدى جامعاتها ، منذ نحو عشرة أعوام ، كنت أشتري من حين لآخر مجلدا من بيع مئات من الصفحات هو برنامج التلفزيون الأمريكى لمدة أسبوع . نعم ، كان عليه إذا أردت أن تعرف بدقة مالى الذى يقدمه التلفزيون الأمريكى من برامج ، أن تخصص جزءا من وقتك لقراءة هذا المجلد ، فى الولايات المتحدة صفحات من القنوات ، يستمر العرض فى بعضها لمدة ٢٤ ساعة فى اليوم . ولكن الذى أدهشنى أن هذا العرض المستمر ، فى هذا العدد اللانهائى من القنوات ، كثيرا ما كنت أفضل فى العثور فيه على شيء واحد أحب أن أشاهده ، لالوم

طابع
علام و
صور
الشراف



الجمهورية نفسه.

الصلصة النفسية

ومع ذلك فلا بد أن نلاحظ أن هذا الرجل الذي يقدم البرنامج والذي يحس كل هذه الشهرة يكاد أن يكون رجلاً بنسبة الموهبة على الإطلاق إنه ليس بالرسام العادي خاصة ولا بالملك ذكياً غير عادي (فالأسئلة معدة سلفاً للإجابات جاهزة لديه) ويتبين لك من حركاته وطرقه شذوثة وعذوبة مع الجمهور أنه رجل مثل ملايين الرجال العاديين جداً الخائين من أية ميزة خاصة أو ثقافة أو خفة دم استثنائية .. الخ نعم لديه ميزة واحدة ، هو ما بدا لي وكأنه صلفاً متعمداً للتظاهر فهو لا يهاب شيئاً مما يهابه جميعنا : الأنياب الميكروفرين ، ولا الجمهور الكبير ، ولا يخشى أن يخطئ ، ولا يخشى أن يقول نقطة سلبية ، ولا يهسه ما يصيب معظم متسابقيهم من صدمة نفسية عنيفة كلما قلقدوا أنهم لم كسب الجائزة ، ولا يهسه ما يحرصون له المتسابقين من مهانة إذا أخطأوا في الإجابة أو عندما يعرضون أخص مشاعرهم على ملايين المتفرجين .. الخ أي أن الرجل لا يهسه شي على الإطلاق ، وهذه هي موهبته الحقيقية ، التي تكسبه من أن يقف أمام عدسة التليفزيون بكل هذا الارتباك واللغة العظيمة بالنسب ، قد تقول إنها موهبة نادرة يستحق أن يكافأ المر عليها ولو لمجرد ثمرتها ، وأنا لا أعارض على ذلك ، فليس ما يهمني في هذا المجال ما إذا كان الرجل يستحق أو لا يستحق ما يلقاه من أجر . ما يهمني هو أن تتبين أن هذه هي في الرجل موهبة الرجل التي يمتلك عليها أجراً : الصفاقة.

مرت السنوات وبسعت مع برنامج في التليفزيون المصري يذاع في رمضان اسمه " كلام من ذهبي " ، فهاجرت ما قبل عدة أنه شبهه بهذا البرنامج الذي كنت قد رأيت في التليفزيون الأمريكي وبسعت أقرأ متضاربة جداً عنه ، فهاجرت من أحترم رأيهم عادة من أشادوا به ، وهناك من أحترم رأيهم أيضا عروا عن سخوطهم الشديد عليه ، فلما جلست أشاهد إحدى حلقاته انتابت انتابا عظميا ، وشعيرت بالقم إذ أدركت أن تتسلسل في استخدام التليفزيون قد وصل بنا إلى هذه الدرجة ، حتى كدنا نستطيع منافسة التليفزيون الأمريكي في مثل هذه البرامج الشهيرة.

الغشابة

فالبرنامجان متشابهان جداً ، فيما يتعرض له جمهور المتفرجين للإجابة على الأسئلة من

مهانة ، ولربما يتجمع به مقدم البرنامج من مرابح ولكن شينا آخر خطر لي ، وهو أن نفس الحافة التي قد يرتكها الأمريكيون في بلادهم فيكون ضررها نسبيا ، إذا ارتكب مثلها في بلادنا يصبح الأمر أقطع وأنيح وتكت قد لاحظت مرة أثناء زيارة لي لبيروت ، كيف أن السيارة الأمريكية الفارة التي تسير براحة تامة وانتظام كامل مع الطريق الراسعة والمفرقة في الولايات المتحدة ، تبدو قبيحة للغاية ولاعتلاقية قماما في الشوارع يبروت الضيقة الملتوية والمكتظة بالمارة الذين لا يجدون رصيفا يسهرون عليه . هاهو ذا أيضا برنامج أمريكي سخيف ، حتى في بلادهم يرتكبون ما يكسبه على شيء واحد فقط ، طمع الناس في الحصول بأية وسيلة على آخر منتجات المجتمع الاستهلاكي ، فإذا نقل إلى مجتمع فقير كمتجمنا يصبح مشيرا للفتن الشديد للأفاد بالاضطراب نحن نعيش في مجتمع طبقي ، يتنسى فيه مقدم البرنامج إلى طبقة مختلفة جدا عن الطبقة التي ينتمي إليها معظم المتسابقين الطامعين إلى الجائزة ، بينما يصعب تمييز للمتع في الولايات المتحدة عن جمهوره ، حتى وإن كان أكثر منهم مالا وشهرة.

ومن ثم فالأصل يظهر مع الجمهور في مصر وكأنه نزل عليهم من عالم سحري ، لا يعرفونه في حياتهم اليومية ، جاء لتعطف وتكرم عليهم بأن يتيح لهم فرصة لا تتاح لهم ، على الأرجح ، إلا مرة واحدة في العمر كله ، بأن يحصلوا على جنيه ذهب . من هذه الحقيقة تنبع مسأسة البرنامج : شعب طيب للغاية ، قنح للغاية قرر أفراد أن يفعلوا عن تلك اللغة الغريبة من الناس الجالسة على قمة كل شيء : قمة الثراء وقمة السلطة وقمة الشهرة وقمة التصددين وقمة التعليم .. الخ وأن يحدوا على الستر ، فإذا بهذا الرجل القريب يقتحم عليهم حياتهم دون استئذان ، ويدخل عليهم بيوتهم التي تختلط



مفرد
للبي

فيها حجرة النوم بحجرة السفارة بحجرة الاستقبال ، والتصرع الوحيد الذي يملكه ويصعب له بهذا الاقتحام هو بضعة جنينيات من ذهب ، فضلا بالطبع عن تلك الكاميرا الرخيصة التي تقف كل الأبواب المنقطة ، ذلك أن هذا الرجل الغريب خال من أية موهبة أخرى ، وليس لديه ما يقدم لهم إلا هذا الغنيمه وفرصة أن يروا أنفسهم على شاشة التليفزيون.

البعض ، الاشك ، يخلق الباب في وجهه بغضب ، دون أن يدري سبب غضبه يوضح ، ولكننا لانشاهد هؤلاء الغاضبين وإذا سمعت الكاميرا يذبح سرعان ما يدخل للمنع أو أحد الزبائن ، فوضع نهاية ملائمة لهذا المنظر ، مع أن هذا هو التصرف الوحيد الملائم لهذا المنظر وأمثاله ، الذي يسمح لنا فقط بشاهدته ولم منظر هؤلاء الذين خضعوا للإسراء ولم يستطعوا مقاومتهم فغرضوا أنفسهم للشيء أحيانا ، وللصدقة في جميع الأحوال ، إذ أن الأمر في نهاية الأمر لا يزيد عن أن يكون صدقة من رجل غريب.

الحواجز الحديدية

الشيء الآخر المؤسف عما يتضمنه برنامج كلام من ذهب هو أنه ، مثل برامج أخرى أخلة في التكاثر (مثل برامج تجنيز إبراهيم وهي للبيعة الباردة في مثل هذه الأمور) هو أنه يقوم على الفلسفة المعجلة التي يقوم عليها أي مجتمع طبقي لتصل بين طبقاته حواجز حديدية يكاد يستحيل اجتيازها ، وهي أن الطريق الوحيد للتقدم والفرار أو الخط السليم ، لا العمل ولا الكفاة ولا المثارة ولا الطموح بل الخط ، والخط فقط ، الخط في أن يجهد قريبا لك في مركز مرموق فجأة ، أو أن يصادف ابتكرا أو ابتكرا رجلا من أصحاب البساطة أو الثراء ، ويحز أو يحز عطفه ، بل وربما كان رجلا من الخلق واستطاعت ابتكرك الزواج منه) ، أو أن تعثر على محفظة بها عدد كبير من الدولارات سقطت من أحد الساعدين في الطريق ، أو بالطبع أن يلقه باله في أحد الأيام ، وهو مجرد باب من نحو ٧٢ مليون باب ، للذبح المصوب صاحب برنامج كلام من ذهب.

فلننسى إذن على هذا الأمل ، ورحمتي يتحقق من قريب بإذن الله ، لإيمان من أن نمسلي أنفسنا بأن نرى إضررتنا وأقساها وجبرتنا وأشباهنا وهم يحيلون على جنبه من ذهب ، فإذا كان هؤلاء قد ضحك لهم الخط ، لماذا لا يضحك لنا أيضا ؟ مهنا هذا الأمر مستحيلا لأول وهلة.

هل يدفع اليسار ثمن انحسار الإرهاب

الإسلام ، وذلك عبر الإسرائيليات التي عززت الفكر الإسلامي في مرحلة التأسيس وشدت كأداة أيديولوجية وسياسية مع الدولة العباسية . وتتزايد حاجة النظام لهذا الفكر اللاعقلاني كلما اجتذبت مصداقيته مع فشل التسوالي في حل المهام الاقتصادية - الاجتماعية السياسية المطروحة عليه ، سواء في التنمية ، أو المسألة الوطنية ، ونوع إزدياد خضوعه للهيمنة الأجنبية ومن ثم تضيقه على الحقوق السياسية والاجتماعية للمجابهة . لأن الفكر العقلاني يتحول في هذه الظروف الموضوعة إلى أداة تضالفة على المستويين السياسيين .

معلم آخر من معالم تشابه الجذور هو تشابه الموروث السياسي .

فالاستبداد السياسي للتحالف الطبقي الحاكم والمتصل في شخصنة الحكم (أي أن شخصية الرئيس أيما كان) تصح هي محور العمل السياسي والقرار السياسي لها وحدها ولا يعني هذا بالطبع أن الرئيس منفصل عن طبيعته أو التحالف الطبقي الذي ينتمي إليه ، ولكن في ظل سلبية قطاعات أساسية في المجتمع الناتجة عن الإحتلالات والقسطنطين المتوالي والسيدة لما يصح أن نسميه عقلياً (الموروثية) (المعاصرة) والقطاعات واسعة في المجتمع والتي تجد تراثها في الصرامة الشيعية (مايش فائدة) كل هذا يجعل التأثير على قرار الرئيس في اتجاه وإصلاح الفكر الشيعية جزئياً غير متصوراً الحلم التأسيسي . المتبدد العادل .. مؤسسة الرئاسة) بل يجعله أكثر خضوعاً لأكثر شرائح التحالف الطبقي قوة وتأثيراً ومن ثم يصبح أكثر قسلياً لها .

هذا الموروث السياسي الاستبدادي يجد جذره الأبعد والأعمق في التاريخ السياسي الإسلامي الذي صاغه الفقه الإسلامي كتنظيم سياسية إسلامية تحدد خطى جماعات الإسلام السياسي بدينامية متغيرة ، ولن تجد الإسلام من كلمات مفكر إسلامي كبير هو المستشار طارق البشري للتعبير عن هذا الموروث السياسي بقوله في كتابه " المسلمون والأقباط في إطار الجماعة الوطنية " ص ٧٩٩ [إن الإمام في نظر الفقه الإسلامي وإن كان مقبلاً بأحكام الشريعة مأمور بحفظ الدين وتطبيق القوانين الإسلامية] . ولعل سلطانة داخل هذا الإطار العام من أحكام الشريعة أي سلطته التقديرية لا يحددها حد من تنظيم دستوري أو رقابة سياسية من هيئة ما .. ويكشف

أحمد عبد القوي زبدان

الملاك أو استخدام المعنى في تبرير التطبيع والأمثلة عديدة ولأحضر لها .

بل يصل تشابه الجذور إلى درجة أن يمرر شخص واحد من فكر كليهما قنري (عهد الصهور شاهين) مشغولاً عن الشؤون الدينية في الحزب الوطني الحاكم وهو أحد القيادات للإغتراب المسلمين ، وهذا التشابه يجد تبريره الحقيقي في أن التحالف الطبقي الحاكم يمرر عن شبكة اقتصادية - اجتماعية تحتاج إلى أيديولوجية دينية واستخدام الفترات اللاعقلانية في البنية الفكرية للأيديولوجية الدينية لمواجهة الفكر الشيعية وتبرير سياساتها المروعة من هذه القوى .

وليس أدل على ذلك من أن التحالف الطبقي الحاكم لم يتخذ طوال هذه المدة مع الإسلام السياسي موقفاً حقيقياً ضد الكتابات اللاعقلانية التي تغمر السوق (عن الجن - عذاب القبر ، - مشاهد يوم القيامة ، نعمم الجنة) .

مع أن هذه الكتابات ومن منظور إسلامي أيضاً يجد جذوره في ذات الفترات ويوجد مصداقيته من الدراسة العلمية - تعدد تركيزاً لصياغة العقل الإسلامي اليوم وفقاً لتأثير الفكر اليهودي المكسر للاعقلانية في مواجهة التطور الأكثر عقلانية الذي جاء به

تلع على كاتب هذه السطور ضرورة كتابة هذا الموضوع من شهور عدة ، لكنه يؤجله مرة بعد الأخرى إلى أن أصبح التأجيل غير مبرر . فموضوع موقف اليسار من الإسلام السياسي وما يترتب عليه من مواقف سياسية تحالفيه أو صراعية هو الذي يشكل الآن - كما يرى كاتب هذه السطور - جوهر حركة اليسار المصري الآن ، وهي إشكالية تستحق المناقشة .

ولذلك فالسؤال الملح الآن هو : ما الموقف الآن بعد انحسار موجة الإرهاب الفردي من جماعات الإسلام السياسي ؟ أو مع بداية هذا الانحسار حتى لا يهتكم أحد بأننا نقرر والقنا لم يحسم بعد ؟ .

هل تبقى المواقف في ذات المواقف أم أنها في حاجة إلى التغيير ؟ .

هذا ما يهدف هذا المقال أن يناقشه وأجابه من قراء اليسار أن يكون دعوة للحمار لأننا نعتقد أن الصمت في هذا الموضوع ثمنه هائل . الإسلام السياسي والتحالف

الطبقي الحاكم
تشابه الجذور والصراع الدامي
إن الصراع الدامي الدائر الآن بين جماعات الإسلام السياسي الاعتراضية المتخذة للإرهاب الفردي أسلوباً للعمل السياسي من ناحية والتحالف الطبقي الحاكم من ناحية أخرى يخفى على الكثير تشابه الجذور بين كليهما . فمثلاً على المستوى الفكري يتمثل في حاجة التحالف الطبقي الحاكم إلى الأيديولوجية الدينية كمبرر شرعيته . ولعل أشهر تمثيل من ذلك تم مؤخرًا هو استخدام شيخ الأكر في تبرير إفساد عدد من القوانين كقانون العلاقة بين المالك والمستأجر لصالح

من ضخامة هذا الأمر أن حدود سلطته السياسية والإدارية بالغة السعة والعموم .

إن تشابك الجسور هذا إذا يؤكد أن الصراع بين التحالف الطبقي الحاكم والإسلام السياسي ليس صراعاً بطلاناً بقدر ما هو صراع نخب تستهدف حماية مصالح نفس التشكيلة الاقتصادية - الاجتماعية، ولذلك تعتقد أن دعوة الحزب التي برزت يوماً من بعض رموز النظام ومفكرى الإسلام السياسي هي تعبير حقيقي عن طبيعة الصراع ، ولذلك على اليسار أن يعي أن هذا الصراع وإن وصل إلى حد كسر العظام إلا أنه لن يصل أبداً إلى نفي الأساس الفكري للإسلام السياسي لأن النظام في حاجة إليه لأنه يشكل أيضاً أساساً فكرياً له ، فإن يصل الصراع إلى ضرورة علنية ومفرطة المجتمع المصري .

اليسار - الإسلام السياسي اليسار والتحالف الطبقي الحاكم " صراع الباطل "

يحاول أنصار الإسلام السياسي أن يرسخوا في أذهان الجماهير أن موقف اليسار منه هو منسوق النظام، وهذا الزعم ليس صحيحاً لأن موقف اليسار من الإسلام السياسي سابق على موقف النظام الحاكم كما أنه يبعد لأساسة الفكرى في أن اليسار يبدل سياسى للإسلام السياسى بقدر ما هو يبدل للتحالف الطبقي الحاكم فاليسار يرى أن " العلمانية " شرط ضرورى وإن لم يكن كافياً لأى دولة عصرية أياً كان توجهها الاجتماعى، كما يرى أن حقوق الإنسان المدنية والسياسية

لا يمكن أن تتحقق فى ظل دولة " دينية " أى فى ظل دولة تطبق مصالحها الطبقية بقسط دئى يحسمها من الثالثة ويعطىها قدسية تعرق تطور المجتمع . كما أن اليسار فى ذات الوقت يلقى ضد التوجه الاجتماعى للتحالف الطبقي الحاكم ويعد ببدله الحقيقي بل ببدله الوحيد على الساحة ، فالتحالف الطبقي الحاكم والإخوان المسلمون والتقى الليبرالية هى تعبيرات سياسية وفكرية عن تشكيلة اجتماعية - اقتصادية واحدة قد تختلف فى الدرجة لكنها فى النهاية تعبر عن مجمل التشكيلة الاجتماعية - الاقتصادية للبرجوازية الكبيرة .

أما اليسار فهو التعبير عن تشكيلة اجتماعية اقتصادية مختلفة وهو الطبقة العاملة وحلفائها من الطبقات الشعبية .

ومن هنا يتضح أن موقف اليسار من الإسلام السياسي موقف يتبع من كونه يبدل النظام الحاكم لاتباعه له .

ولكن هل يعنى هذا أن موقف اليسار من الإسلام السياسي لا يمكن أن يتحول فى الواقع الموضوعى إلى أن يكون تابعاً لموقف النظام ؟ ويتبع اليسار فى ذات الخطأ الذى ارتكبه فى الماضى بشأن تليب مصالح البرجوازية باعتبارها مصالح حركة التحرر الوطنى (راجع مقالنا عن أزمة اليسار الماركسى ومستقبل الاشتراكية يناير ٩٥ اليسار) .

نعم نعتقد أن هذا الخطر وارد بل محقق باليسار المصرى . ويدفع إليه إحساس

قطاعات أساسية فى صفوف اليسار إثر ما حدث من انهيار الاتحاد السوفيتى والظفرة الاشتراكية من اهتزاز اليقين لديهم إلى استخدام كبرائهم فى الدفاع عن العلمانية والعقلانية ، وهو عمل أساسى لكل يسارى - ولكن دون ربطه بالصراع الاجتماعى الطبقي المستقر فى الواقع المصرى . والنظام يرصد هذا جيداً ويحاول أن يستثمر لصالحه ، فيستخدم خوف الناس من فحاجة طرح الإسلام السياسى فى حصار الحركة السياسية والمدنية النشطة فى المجتمع (تعيين العدد ، تعيين عملاء الكليات ، خوض معارك عنيفة ضد النقابات المهنية، الهجوم على منظمات حقوق الإنسان ، إهانة حقوق الصحفيين بإصدار تصريحات ضد رغبات جسر الصحفيين ، استمرار حصار الأحزاب الشرعية فى مقراتها والاستمرار بعمل قانون الطوارئ، التصديق للحركة العلمانية بالعرف الروحى والاعتقال السياسى كما حدث فى كفر الدوار والحلة ، تزوير الانتخابات بفحاجة لم يسبق لها مثيل ولا أيام الثورى اسماعيل كما حدث فى منيا البصل)

لكل هذا نعتقد أنه أن الأوان أن يطرح اليسار موقفه من الإسلام السياسي ومن التحالف الطبقي الحاكم للنقاش العام وخاصة الموقف أعملى الهيمى لأن الموقف النظري قد لا يمكن كلاً خلاف عليه ، ولا يمكن قول هذا منع النقاش حول الموقف النظري أيضاً .

وذلك حتى لا تتألف الحركة السياسية والشعبية وفى القلب منها اليسار المصرى من الحصار الأرهاف الفردى بأن تعاني من أرهاف أكثر شمولاً لأنه أرهاف مؤسس . لحى ظل الخوف من الأرهاف تم طرد الفلاحين من الأرض والورأت على السكان ، ويتم بيع القطاع العام بالرغم من كونه قطاعاً أساسياً يقدو الرأسمالية فى مصر ويعزز مواقعها، ولكن المقصود من بعده هو القضاء على إمكانية تنظيمية هامة من الممكن فى حالة صمود مد وطنى شعبي أن تقود الوطن للخروج من النفعية .

إننا نعتقد أن قدرة اليسار المصرى على حشد الجماهير الشعبية وتنظيمها دفاعاً عن مصالحها وذلك بكل الوسائل الديمقراطية والجمهورية الممكنة والملائمة مع ربطها بالنضال الديمقراطي العام .



٥٠ هـ
الصبر
فاهين

لماذا صمت النخبة المصرية أمام فصل أدونيس من اتحاد الكتاب؟!

أدونيس

أمنية النقاش

التي اتفق فيها الطرفان على إقامة علاقات طيبة وودية ، تتضمن الاعتراف الكامل وإقامة علاقات طبيعية ؛ دبلوماسية واقتصادية وثقافية ، وإنهاء المقاطعة الاقتصادية ، والمواجز ذات الطابع التمييزي المفروضة ضد حرية انتقال الأفراد والسلع ، والعمل على تشجيع التفاهم المتبادل ، والتسامح ، والامتناع عن الدعاية العادية بين الطرفين ، بمعنى آخر فإن " التطبيع " ك مفهوم ينطوي على إقامة علاقات طبيعية بين البلدين ، شأن كل الدول التي انتقلت بينها حالة الحرب ،

وتراكم مع اللجان السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية الرسمية المشتركة ، والتي تشكلت بين البلدين للإسراع بخطوات التطبيع ، تشكيل لجان على المستوى الشعبي لمناقشته الثقافية القومية " وهي لجنة جبهة تضم كافة التيارات السياسية والفكرية ، ومما تزال تعمل حتى الآن في إطار حزب النجدة " ولجنة الدفاع عن الاقتصاد القومي " ولجنة مناصرة الشعبين الفلسطيني والهناني " ولجنة " مواجهة الصهيونية " و" اللجنة الشعبية



- السياسية والثقافية - بشأن قضية " التطبيع " التي أصبح شعور كثير يحيط بمداولها ، ومفهومها ، وحدودها ، منذ الغزو العراقي للكويت عام ١٩٩٠ ، مروراً بمؤتمر مدريد ، الذي قبل فيه العرب للمرة الأولى ، بالتفاوض الجماعي مع إسرائيل ، وإنهاء بإتفاق أوسلو - القاهرة ، الذي أسفر عن قيام السلطة الوطنية الفلسطينية في غزة وأريحا.

مفهوم الاصطلاح

وكان اصطلاح " التطبيع " قد صك مع المعاهدة المصرية الإسرائيلية في عام ١٩٧٩ ،

قائما لأوساط الثقافة المصرية بالصمت قضية فصل الشاعر الكبير " أدونيس " من اتحاد الكتاب العرب في سوريا لمشاركته في طريف عام ١٩٩٣ ، في مؤتمر مدينة " قرطاجنة " الأسبانية ، مع كتاب ومثقفين ، وسياسيين إسرائيليين ، لمناقشة ما يسمى بتضايها " مابعد السلام " فهما اعتبره الاتحاد تطبيعا للعلاقات الثقافية مع إسرائيل ، وخروجها على لوائحه ، التي تحظر القيام بذلك ولهما عفا مقالين اثنين للناقدين " غالي شكرى " و " فريدة النقاش " ، فإن الصحافة المصرية ، لم تدر الموضوع ، ولم تتوزع عنه ، ولم تصلح منه قضية للمناقشة عدة منذ عدة أسابيع كما فعلت الصحافة المصرية المهاجرة ، التي فحمت أبوابها لأراء عدد من الكتاب المصريين ، حول هذه القضية بناء على طلبها . فبرغم أن أراحهم قد بدأت كلها بإعلان رفض " التطبيع " مع إسرائيل ، إلا أن معظمها ، قد اعترض في نفس الوقت على قرار فصل " أدونيس " بما يحصله هذا الاعتراض من مشاركة ، تكشف كما كشف الصمت عن إثارة القضية - من حالة من الحيبة ودرجة عالية من الارتباك ، جسده الساحة المصرية

لمقاومة التطبيع وكلها لجان تعمل في مجال الفكر والثقافة ، بعد أن أدركه المثقفون المصريون ، مدى ما توليه إسرائيل للقضية **التطبيع الثقافي** " من اهتمام بالغ ، يستند إلى أنها هي الممثل الرئيسي لقائمة أوضاع أكثر استقطاراً ، وإذابة روح النداء والمثاق في العقل المصري ، بعد أن تكفلت اتفاقيات التطبيع السياسي والأمني بتزج سلاحه العسكري وقيمه

هل المواجه نفسية؟

ويرغم خصائي الرئيس السادات البالغ للإسراع بخطى **" التطبيع "** ، حيث كان يعلى من شأن مأساة " المواجه النفسية " كعامل رئيسي للصراع العربي الإسرائيلي ، ويرى أن تطبيع العلاقات من العوامل التي تكسر هذا الحاجز فإن التعتت الإسرائيلي مع الفلسطينيين المصريين ، فضلاً عن كصف إسرائيل للمغالل التوري العراقي بعد اجتماع بين " بهيجين " والسادات " ، واحتلالها لجنوب لبنان ، قد دفع كثيرها من الجهات الرسمية في القاهرة ، إلى عرقلة تنفيذ إتفاقيات " التطبيع " واستغلالها كورقة للضغط عليها ، لنفها من التلاعب في الرقاء بالتزاماتها ، عند الاتسحاب من سيناء .

وقد زادت أوضاع التطبيع بين البلدين سوءاً مع بداية عهد الرئيس " صهي " موارف " التي حتمت إدراجه على إحباطه عمليات التطبيع المحدودة بأكبر قدر من الكتمان ويعيداً عن أجهزة الإعلام ، حرصاً على الشاعر الشعبية المصاعدة ضد التطبيع من ناحية ، وحفاظاً على قضية التطبيع كسلاح في التفاوض لاسترداد " طابا " وحل المشاكل المتنازع عليها مع إسرائيل من ناحية أخرى ، وفي هذا السياق رفض الرئيس موارف " رسالاً " أن يقدم بنفسه بزيارة إسرائيل ، مما أدى إلى مأسا صطلح على تسميته بالسلم البار بين الدولتين خاصة وأن المحصلة النهائية ، لخطوات التطبيع على الصعيدين الرسمي والشعبي بعد ١٦ عاماً من إبرام المعاهدة ، لا تتناسب أبداً مع طول مدة السلم بين الدولتين .

تركاكات العلاقات

وظلت قضية " التطبيع الثقافي " هي الشغل الشاغل لإسرائيل طوال السنوات الماضية ، وكانت هي القضية التي توضع على رأس جدول أعمال مسئولها ، أثناء زياراتهم الثوارية للقاهرة .

وكانت هذه القضية من بين الموضوعات التي أثارها الرئيس الإسرائيلي " اسحاق

تالون أثناء زيارته لمصر قبل شهرين مع وزير الثقافة " فاروق حسني " حيث طالب بهذا جهد خاص لتسوية العلاقات الثقافية بين البلدين ، وإدخالها في إطار أكثر تحمراً من التسوية ، وفتح المجال لأشكال شتى من التطبيع بين المؤسسات الثقافية لتزج تركاكات مرحلة العداء والكراهية ، لكن وزير الثقافة المصري رد على طلب الرئيس الإسرائيلي بقوله إن هذه القضية تخص المثقفين المصريين ، وهم وحدهم أصحاب القرار بشأنها .

عوامل مصاعدة

وكان الموقف العربي للمصاد التطبيع خلال السنوات الماضية ، والذي كان يطبق قرارات المقاطعة على أي مثقف أو فنان أو مؤسسة تقوم بتطبيع العلاقات مع إسرائيل قد ساهم في اتساع دائرة الرفضين " للتطبيع الثقافي " من يعتمدون على السوق العربية في تسويق منتجاتهم ، كما ساهم في ذلك أيضاً ، أن الحكومة قد خلضت من ضغوطها عليهم للقيام بأنشطة تدل في مجال التطبيع . لكن التساهل العربي في تطبيع هذه العلاقات ، التي وصل إلى حد تجريد نشاط مكتب المقاطعة بمشقة التابع للجامعة العربية تدريجياً ، وخاصة بعد اتفاق " أولس " هو - ضمن عوامل أخرى - الذي شجع بعض الكتاب والصحفيين والمثقفين ، على زيارة إسرائيل ، والقيام بحفلات غنائية بها ، أو حضور مهرجانات سينمائية ، أو معارض للكتاب منهم " علي سالم " و " محمد مصطفى " و " حمام الدين مصطفى " و " شفيق جلال " و " مدحت صالح " .

وكانت القاهرة ، قد شهدت في صيف العام الماضي ، نشاطاً مكثفاً لركلا - الثنائيين الإسرائيليين ، لمحاولة الاتفاق ، مع مجرم الغناء ، بالذات لإحياها ، عدد من الحفلات داخل إسرائيل ، لكن حملة الهجوم الواسعة ، التي تعرض لها الذين قبلوا الدعوة قبلهم أوقفت هذه الحركة .

وتعود حالة الارتباك بشأن الموقف من قضية " التطبيع " إلى تفكك ما كان يسمى " بجهة المصعود والتصدى " وانتهيار الموقف في العالم العربي ، الذي كانت مصر إذ قد انقورت فيه بالتفاوض المباشر مع إسرائيل ، يمتسا بمسكت أطرافه الأخرى بلامات " المظروم الشهيرة " لاصلع ، لاضاوض ، لاعتراف . وقد أخذ التراجع التدريجي عن هذا الموقف ، بدءاً من عودة مصر إلى الجامعة العربية ، مروراً بحرب الخليج الثانية ، التي كان من أبرز آثارها التحول الذي طرأ على

الصراع العربي الإسرائيلي ، والذي قاد إلى ذهاب العرب جميعاً إلى مؤقر مدريد ، الذي عقد بعيداً عن مظلة الأمم المتحدة ، وبرعاية دولة كانت كبرى ثم انهارت ، وأخرى انقردت بعيداً عن عالم أطلال هذا التيهار . وفي مدريد بدأ أن معظم أقطار النظام العربي ، قد قبلت مبدأ التفاوض المباشر مع إسرائيل ، وأقرت بأن تكون الولايات المتحدة الأسرطة - الحليف الاستراتيجي لإسرائيل - وسيطاً بينهم وبين إسرائيل ، وكنتيجة لمؤقر " مدريد " فإن الفلسطينيين أنفسهم لم يترددوا في قبول إتفاقيات " أولس " التي انتهت بقيام سلطة وطنية محدودة الاختصاصات في غزة وأربعا مع التطبيع الفلسطيني للعلاقات مع إسرائيل ، أصبحت الدعوة لعدم التطبيع في مأزق حقيقي بالنسبة للمسيحيين المصريين .

تباين في الحزب الواحد

وفي حزب " التجمع الوطني للتقدمي " الذي قاده منذ البداية الحملة لمقاومة التطبيع ، في الوقت الذي كان خطابه في السياسة العربية يقوم على أساس أن يقبل ماتقبل به منظمة التحرير الفلسطينية ، لم يجد بعد غزة وأربعا تقاطعاً بين مواقفه للتطبيع ومبادئه للقطيعة ، وبدأ يظهر داخل " التجمع " تيار بارز ، يرى أنه طالما قبلوا على السلام ، فلا يجوز أن نعض غيراتنا في دعم المقاضو العربي وفي تصليب مواقفنا ، خاصة وقد تغيرت الظروف الدولية والإقليمية بحيث أصبح الأمر يتطلب اجتهدادات جديدة للموقف الحسماري ، حتى لا يبدو خارج السياق العام ولهذا ، فلم تعترض سوى أصوات قليلة داخل التجمع ، على مشاركة " لطفي الحولي " مستول السياسة المصرية به ، وأحد أبرز أقطابه ، في الوفد الرسمي المصري إلى مؤقر مدريد . بل إن " الأمل " الصحيفة الرسمية التابعة باسم الحزب ، قد نقلت عن " الحولي " تفاصيل لفتك بإسحاق شامير ، ورفضه لطيف زهير المجاربه " صمود موسى بعدم المشاركة في مقابلة " شامير " إذا كانت تشكل إجحاراً له أمام حزب التجمع ، وبعد أن امتدت معارضة مشاركتة " لطفي الحولي " في الوفرة الاقتصادية لمؤقر مدريد ، من داخل التجمع إلى خارجه . اضطرت قيادة الحزب إلى إصدار بيان ينكح المديح بحمبات " لطفي الحولي " ويقول أن اشتراكه في مدريد كان " بصفة شخصية " ومن قامت السلطة الوطنية الفلسطينية ، أصدر التجمع " بياناً تأييدها ، في الوقت الذي لمحتف حزب " العمل " عليها ،

وعارضوها " الإخوان المسلمون " و " الحزب الناصري " وأصوات مستحددة قليلة داخل حزب " التجمع " ... فقد رأى الجبار الغالب داخله ، أنه عذم الطغيان . لا يجوز أن ينطبق على السلطة الوطنية الفلسطينية ، لأن معنى ذلك أننا نشارك إسرائيل في حصار هذه السلطة ، ولأن خلافتها قدرتها على السيطرة على الأوضاع ، وبالتالي في إعطاء إسرائيل جغرافيا وإداريا . وفي هذا الصدد فقد جرى داخل " التجمع " نقاش حول ما إذا كان اللهاب إلى غزة وأريحا تطهيرا أم لا . عندما طليت السلطة الوطنية الفلسطينية بعض خبراء الحزب في مجال الزراعة والإعلام ، لمساعدتها في بعض المسائل الفنية ، وبينما أدت قيادة التجمع لهؤلاء الخبراء بالسفر ، فقد اعترض تيار آخر داخله على هذا الإذن واعتبره تطهيرا ، لأن العبور إلى غزة وأريحا يمر عبر السفن الإسرائيلية في القنطرة .

أما في الحزب الناصري - فما زال خطابه السياسي يعتبر التصوية القائمة " استسلاما ، لاستلاما " وهو في هذا السياق يرفض التجمع مع إسرائيل ، إنطلاقا من مبدأ أن الصراع معها هو " صراع وجود ، لا صراع حدود " . وبينما تتفاوت النقاشات داخل حزب العمل حول الموقف من التطبيع بين من يرون أن اللهاب هي سلاح الحزب الوحيد الذي ينبغي التمسك به للضغط على إسرائيل حتى استعادة الحقوق العربية إلى ما قبل ١٩٦٧ ، فإن التيار الغالب يلتقي مع الإخوان المسلمين المتحالفين مع الحزب ، في رفض مبدأ اللهاب بذلة إسرائيل من الأصل .

أسئلة بلا أجوبة

وحيث تدور قضية فصل " أدونيس " من اتحاد الكتاب السوريين ، تحتل في الساحة المصرية كل الأسئلة ، والإشكاليات المتعلقة بشأن قضية التطبيع الثقافي بين فريقين أحدهما يرفض التصوية من حيث المبدأ ، ويرفض بالتالي كل التشايع التي ترتبت عليها ، والآخر يقبل بالتصوية ، لكنه لا يقبل بتنتائجها ، وبالتحديد على الصعيد الثقافي ، استنادا إلى أن السياسات قد يكون مجبرا ، لكن المؤلف مخير في كل الأحوال ، وما يصلح لذلك لا ينطبق بالضرورة على الثقافي ، وأن مقاومة التطبيع ، هي سلاح تكسب تحسين شروط التصوية ، جعلها أكثر عدالة وتكافؤا . وكان من بين تلك الأسئلة : ما هو التعريف الذي يظهر من اللباس ، لا اصطلاح على سمعته ب " التطبيع

الثقافي " ومعنى تندرج أولا تندرج خطرة سمحت وصف التطبيع ؟ وهل المشاركة في مؤتمرات ونوبات في المحافل الدولية التي يشارك فيها بالضرورة إسرائيليون تعد تطهيرا ؟ وهل يستحق السفر إلى غزة وأريحا - ويتردد تحت وصف التطبيع - مع السفر إلى إسرائيل ؟ ثم قبل هذا المسد ، ما هو الهدف السياسي المحدد للذين يشهرون سلاح مقاومة التطبيع بعد التغييرات الجديدة ، التي حدثت تمهيدا على مجرى التصوية ؟

ولأن الأسئلة المطروحة صريحة ومعدلة قد تؤدي محاولات الإجابة عنها إلى التباس أكثر حيرة من طرحها . فقد سمعت الساحة الثقافية المصرية ، إزاء قرار اللهاب ، الذي أقام الدنيا وأقعدها في الأوساط الثقافية في أقطار عربية أخرى - وربما ينطلق هذا الصوت من اعتقاد بأن توقفت قرار فصل أدونيس لمن مصادفة ، بل هو اختصارا سياسيا ، تسعى به القيادة السورية ، للضغط على إسرائيل ، بالأوراق التي في حوزتها ، لتحسين شروط التصوية معها ، وتخفيف الضغوط التي تقاس عليها ، لديها للقول بهذا " السلام مقابل السلام " - أي تطبيع العلاقات الكاملة مع إسرائيل ، في مقابل تعهد الأخيرة بعدم الاعتداء عليها - وتخليص عن مطلبها : كامل الإرض في مقابل سلام كامل . وما يؤكد الطابع السياسي للقرار ، أن اتحاد الكتاب السوريين ، يفصل أدونيس ، بزعيم التطبيع الثقافي مع إسرائيل من مؤتمرات حضره ياسر عرفات ، كما حضره شمعون بيريز - بينما الحكومة السورية تطبع العلاقات مع إسرائيل في مفاوضات تمتد منذ مؤتمر مدريد وحتى الآن ، دون أن يجذ الاتحاد بتناقض بين هذا وبين قراره ، كما خصه إذا ما أخذنا بعين الاعتبار الطبيعة الرسمية لتشكيل مثل هذه الاتفاقيات .

ولقد طرحت الأسئلة السابقة على خمسة من أبرز المثقفين المصريين في مجال مقاومة التطبيع ، ومن أكثر النشاط - في لجنة الدفاع عن الشقافة القومية التي تأسست بهدف مقاومة التطبيع الثقافي على وجه الخصوص - فلم تنه إجاباتهم ، حالة الارتباك والحيرة التي يولدها طرح الأسئلة .

لعم للفضل

الدكتور " جسد العظيم أنيس " الأستاذ الجامعي والشقاف البارز ، كان أكثر التمسكين لقرار فصل " أدونيس " ، ويقول أن طالما كانت لاتحاد الكتاب العرب في سوريا تنص على فصل من يقومون بالتطبيع فلأنهم في حدود هذا القرار ، لكن كان من الأجدى استدعاء " أدونيس " للشكول أمام الاتحاد لتناقضه وسماح وجهه نظره قبل إستصدار القرار .

ويرى " أنيس " أن مشاركة وسيمين عرب في مؤتمرات دولية بها إسرائيليون هي أمر طبيعي ، ولأنهم في ولافر منه ، لكن أدونيس شارك في مؤتمر بإخشيهار ، حضره وزير الخارجية الإسرائيلي ، وانسحب منه مغفلون مصريون حين علموا بالمشاركة الإسرائيلية به ، خاصة وأن المؤنكر ، لإيهام الناس ، بأن ماجري كان سلاما وليس استسلاما . ويضيف " أنيس " أنه حتى يتم السلام العادل والتكافؤ ، الذي يكفل قيام دولتين واحدة إسرائيلية والأخرى فلسطينية على حدود عام ١٩٦٧ ، فإن مقاومة التطبيع ، ينبغي أن تظل قائمة .

أما " حلمي شعراوي " أمين لجنة الدفاع عن الشقافة القومية ورئيس مركز البحوث العربية ، فيسرى أن المشكلة في موضوع أدونيس مع التطبيع لا تكمن في فصله من اتحاد الكتاب ، لأن ذلك كما يقول ، يتفق مع حورية هذا الاتحاد إزاء القضايا الاجتماعية والوطنية ، وقضايا الإبداع وحرية بشكل عام في القطر السوري . فإذا ما كان الفصل - كما يرى شعراوي - مسبرا عن هذه الجمعية الديمقراطية ، فإنه يرجع إلى طبيعة التضامن التي تقوم عليها مثل هذه الاتحادات التي صممت خصيصا لحماية الفكر والإبداع ودفاعها عن القضايا الوطنية في وقت واحد ، ويعبر " حلمي شعراوي " عن اعتقاده بأن المشكلة الأكبر ، هي في انفصال الكاتب أو المبدع عن القضايا الوطنية ، في جو من تصاعد الاعتصام في فصل الكتابية في السنوات الأخيرة ، ضمن عملية دولية تسهم في هذا التصعيد على حد كبير ، من الجري وراء إغراء الجوازات ، إلى المشاركة في منظمات عيشات تدعى العالمية ، ويرفع الكتاب أنفسهم لها في أحيان كثيرة مالم ترشحهم لها مراقبتهم وأعمالهم " ذات الطابع

الحاجي". ويشيخ "جلس شعراوي" إن الاجتماع الذي رتبته له البوليس في أسبانيا غنق، ترقيم اتفاق "غزة وأريحا" ليحضره ممثلون عرب من وزير خارجية إسرائيل، هو ترتيب غريب من مدير البوليس، يعبر عن مدى احترام مثل هذه المنظمات لمواقف المثقفين العرب من قضاياهم الحساسة. ولو أن كل هذه الدوائر تصرف أن كبار مثقفينا، في قدر كبير من الالتزام بقضايا أوطانهم، لثرت في عقد مثل هذه اللقاءات. ولنا أسوة في ذلك في مثقفي أفريقيا الذين استطاعوا أن يقرضوا مقاطعة الكتاب الرسميين من جنوب أفريقيا. حتى تم التحول الديمقراطي به. ويقول "شعراوي" أن كتابنا بهجم "أدونيس" كان يمكن أن يعطي ثقلا حقيقيا أكبر لقضايانا العربية، بأن يدفع الحرفاء الأحرى إلى احترامها عند إجراء ترتيبات مثل هذا النوع من اللقاءات أو عن عند تقديم الجوازات، أو عمليات النشر على المستوى الدولي. كما أن مبدعا مثل "أدونيس" يسعي للاغتراب في أحيان كثيرة، مسترسل بنفس القدر من التفكير "أو" الصهاينة" في مركب الموقف الوطني الديمقراطي الذي يستعمل به أيضا صيغة اتحاد الكتاب العربيين، لأنه لا يمكن في كل الأحوال تجاوز قضايا الوطن.

نلق لها وضرب علينا

د. "جلال أمين" أستاذ الجامعة والمفكر القوي المعروف، يعتبر أن كلمة "الطبيع" هو أي علاقة مع إسرائيل سواء كانت على المستوى السياسي أو الثقافي. ويرى أن أي علاقة مع إسرائيل، تصود عليها بالقاتلة وتصود على الأطراف العربية بالضرر في ظل موازين القوى المختلفة حسابها، كما أنها تشجع أطرافا أخرى على تكرار نفس الخطوة؛ وتوقع الناس لأن يألفوا فيها بينهم، ما هو ليس مألوفيا. أما القول بأن للحلفاء الدولية مستندة من قضية الطبيعة، فهذا قياس من الفارق، ويعترف على طبيعة الحلف الدولي الذي يستشارك فيه وبه إسرائيليين فهناك مؤثرات دولية - وبينها المؤثر الذي حضره أدونيس - يمكن الهدف الرئيسي من انعقادها هو تحقيق التقارب بين العرب والإسرائيليين ونقط بصرف النظر عن النتائج التي تسفر عن هذا اللقاء. ويشهد د. "أمين" على ضرورة أن يكون الهدف الرئيسي من انعقادها للحفاظ على المصالح العربية، ولأري ضررا في قرار فصل "أدونيس" إذا كان الهدف من سياسيا ولحمة المفاوضات السود.

وتتفق د. "أسمنة رشيد" الأستاذة

الجامعة المعروفة مع د. "جلال أمين" على أن قرار فصل "أدونيس" ليس قرارا قسريا، ولأن سوريا أرضها مازالت محتلة، وليس هناك أي تقدم في مفاوضاتها مع إسرائيل التي انتهت وترفض مبدأ السلام الكامل مقابل الاستسحاب الكامل من الجولان، ومن حق سوريا أن تستخدم كل أدوات الضغط للتوصل لشروط عادلة لإجلاء الاحتلال الإسرائيلي. وتقول "أسمنة رشيد" إن مقاومة الطبيعة عن السلاح الأخرى في يد العرب، بعد أن انهارت قواهم العسكرية والاقتصادية، وإن مشاركة شاعر كبير بهجم "أدونيس" في مؤتمر يجمع بينه وبين إسرائيليين في هذه اللحظة الحرجة التي تتعرض فيها المفاوضات العربية الإسرائيلية، هي في الواقع إقدام لها السلاح والقتال لتأثيره، ولحجم "أسمنة رشيد" أن السور لغزا وأريحا هو طبع صرخة وطنية لصوت أفضح لحرق متلونة وسلطة وطنية فتالروا سلطات الاحتلال في قمع الشعب الفلسطيني. وأوضحت أن المثقفين غير ملزمين بالقبول، بما يرضى به السياسيون، واشتات "أسمنة رشيد" أن التبرول بأشراك في المحافل الدولية التي يجمع إسرائيليون ينفي أن يكون لها شروط صارمة، وأن مؤتمر "غزاة" الذي حضره أدونيس لم يكن سوى غطاء ثقافي لعمل سياسي، وإلا ما هو مبرر حضور وزير خارجية إسرائيل "شمعون بيريز" لهذا المؤتمر.

مقاومة العسكرة

ولم تنكره، وضو ه هافور "الروائية المعروفة وأسادة الجامعة، أن هناك ارتباطا واسما بشأن قضية الطبيعة، لكن هذا الارتباك، ليس صبرا؛ في رأيها. لأن يذهب "أدونيس" إلى "غزاة" أو أن يسعى البعض لنصب المثاقفة له، لأن الأجرام من إسحاق في ترميز قصة التفرغ والتحدث التي تعاني منها الأمة. وتطالب د. "رضوى" بخضرة التسلسل بسلام مقاومة الطبيعة لمقاومة المشروع الصهيوني العدواني وأجالتا والتدريس، وتشير إلى تقاليد دولة راسخة سبق تطبيقها، حين قاطع كبار المثقفين النازي قيادات حزب أفريقيا، وترد على الداعين إلى السور إلى ليرة وأريحا، قائلة أن الشعب الفلسطيني ملزم بالكراود الفنية المخصصة، والمتزمة من الصوة، وأن على السلطة الوطنية الفلسطينية أن تضغط للحد من الفلسطينيين نحو الطبيعة، أن تضغط من أجل حق هذه الكراود في

الصورة إلى أوطانها وتعلق د. وضو "مع القائلين بأن الصراع مع إسرائيل، صراع وبرد لا صراع حلو، لأن للشروع الصهيوني بكل طامعه يقرر على نفي مشروع النهضة والتحرر العربي.

وأجابات قادة مقاومة الطبيعة الثقافي في مصر، لانتوى الالتباس الحادث بشأن قضية الطبيعة والحمل الإشكالات الناجمة منها وكان من اللائق لشطر أن يقرر قرار فصل "أدونيس" شجة واسعة خارج مصر، في نفس الوقت الذي تزدهر داخلها حركة تزعم الدعوة لتشكيل لجنة قومية باسم "اللجنة الشعبية لمقاومة الطبيعة". وإصدارها لجمعية من الهيئات الناصبة للتشدد في هذا المجال، واشتداد حركة جمع التوقيعات عليها من قطاعات عريضة من النخبة المصرية، وتزعم ثلاث صف من صف الممارضة هي "الأهالي" و"العصرى" و"الشعب" لكشف مجالات الطبيعة بين البلدين، وفضحتها والتدبير بها، في نفس الذي التزم فيه الدوران السياسية والثقافية الصمت إزاء قضية فصل أدونيس.

فهل يمكن هذا الصمت صدمية، لأن تعيد القضية المصرية، قمع ملك مقاومة الطبيعة ومناقشة قضاياها المتقدمة، التي ليس أقلها هذا التناقض بين التهرب من شأن مايندرج تحت وصف الطبيعة الثقافي، ثم التهرب من الطبيعة السياسي وصاركة خطرات التي تنمي عليها لانها المقاطعة والتداول بالعلم حولها.

على أن هذه المناقشة، ينبغي أن تكون مفصلة، وأن تنحصر من الطابع الدعائي الذي يحصل لتسهيل المواقف على تحقيق الأهداف، والإسراع بالأهلام، بدلا من السعي للمناقشة والإنتاج لتسهيل المواقف، ويحذر على تلبية المساهمات الصغيرة والضيقة، في إلهام للشعركات الكبرى والرائدة، ومضى لإقصاء الآخرين. وللنهاي المضحك بالانفراد بمقاومة الطبيعة، بدلا من توسيع جبهته، بهدف إعادة ابتكار الأفكار والمناهج، وتلميز مواقف محددة حول مسألة الطبيعة الثقافي مع إسرائيل، عزز أيديولوجيتها الصهيونية بخصائص استعمارية تنظر للعرب باعتبارهم الأدنى وتلك مشروعا ترميزيا، يستمد مقومات بقائه على نفي كل صواب عربي، كما قال "أدونيس" في "غزاة" 11.

مسجد النور +

جوائز مسابقة حفظ القرآن = خمسة آلاف شقة سكنية

خليل عبد الكريم

مسجلة

ولا شك أن الأزمة تقاسمت منذ ذلك التاريخ وازدادت تفاقماً مع استمرار الانفجار السكاني بعد كوارث السيول والزلازل .. إلخ. ولكن ومع ذلك كله فـسكان هولا، هم المحطرون لأن قطاعات كبيرة وكثيفة لا تزال هذه (الأمل) .. مؤتة أمل، فهناك:

إسكان العيش / إسكان القبور / إسكان الأمراء / إسكان الكوارب / إسكان المخاض / إسكان الدكاكين / إسكان قصبات السلام / إسكان المساجد / إسكان الفرك / عزب الزبالين / وأخيراً الإسكان العشوائي. ويقرر المؤلف أن أدناها صرته هو إسكان العيش.

وفي جميع هذه الإسكانات:

أخص المحصوريات مستباحة وسوء التغذية سمة عامة ومعدلات الرغبات في جميع الأعمار مخوفة والأمية الدينية مطبقة حتى كيفية الصلاة مجهولة، وأن هناك قاسماً مشتركاً بينهم هو تزايد الألفاظ الدينية للساحسة على ألسنة التسرنا والإهمامية والدعارة والوحشية والقسوة في التعامل والاتحاف والصورة والمخدرات وكل ما تتخيله من أمراض اجتماعية وماذا تنتظر من أناس يعيشون بين أكرام القسامة وطقع المجارى وأنواع المخرشات وتقاسمهم حيواناتهم

من أهم الكتب التي قرأتها في الحس سنوات المنصرمة والتي أوجعت قلبي كتاب عبد خلیل الولی (سكان العشش والعشوائيات - الخريطة السكانية للمحافظات) - الطبعة الأولى ١٩٩٣م - مطابع روزا اليوسف الجديدة.

إنني أدعو كل مسئول في هذا البلد بنواة ب ومسسة الرئاسة وانتهاء ب. ب. ب. مجالس الري وكذا من يحمل على كتفيه مدمر مصر أن يتألم بل ويهرسه بإيمان، ليدرك حقيقة الأوضاع في وطننا وما تعانيه القاعدة الشعبية العريضة من ذل ومهانة وتحقير، وما تعيش فيه من حرمان أبسط حقوق الإنسان وأن ما يهت في الجهاز اللعين (العلاقات) والذبح وما ينشر في الصحف القومية: شغباً وجذلاً وضلع في القرن، وأن الصورة الصحيحة لمعيشة ٨٠٪ من المواطنين بالغة السوء والبشاعة والتجبر والدمامة، وأن الذين يعتقدون أن بقاء هذه الأحوال أمر جائز وأحسن، ولي يوم قريب سوفيقون من وهيم على هدير صيحات هذه الملايين للطعنة والشرومة والمحيطه والمنهضة. كنت أتمنى أن أنقل صفحات من هذا الكتاب الرائع والمزمل في ذات الوقت، أو أذكر البيانات والإحصائيات التي يحمل بها ولكن يتسحق المجال عن ذلك وستكتفى بـ أقل القليل:

في تعداد ١٩٨٦ م أي منذ عشرة أعوام ٦٩.٤٪ من سكان مصر يعيشون في بيوت ريفية مطبقة أي سيئة من الطين، و ١٠.١٪ في غربة أو أكثر داخل وحدة سكنية و ٥.٩٪ في غربة

مسكنهم وتضرعهم الأمية وتفتش فيهم العلل والأدواء، ودخلهم ضامرة مهزولة وتكاد تكون معدومة، ومحرصون من فرص التعليم ومن أهم المرافق الحيوية وأبسط الحقوق التي تتمتع بها البهائم في عزب ومزارع المترفين!!

ورغم ذلك كله قرأنا في رمضان أن تكاليف بناء مسجد النور ارتفعت إلى ٣٧ مليون جنيه وأن جرائز حفظ القرآن وصلت هذا العام إلى عشرة ملايين جنيه فإذا أضفنا إليها ثلاثة ملايين أخرى - وهذا أقل تقدير لتغطية مصروفات استقدام المتسابقين من أركان الدنيا الأربعة واستضافتهم وانقالاتهم وأعاشتهم وأجور المحكمين ورجال الحراسة والأمن .. إلخ يبلغ المصروع خمسين مليون جنيه، وإذا كان متوسط بناء شقة سكنية شعبية من غرفتين بمساحة ٥٠ مترًا مربعًا هو عشرة آلاف جنيه كان مدلول ذلك أنه كان من المستحيل بذلك المبلغ بناء خمسة آلاف شقة لمن هم في أمس الحاجة إليها!!

ولكن .. في ميزان الإسلام الصحيح أيها أولى بهذه الملايين المحسن:

تشهد مسجد النور وجوائز مسابقة القرآن أم بناء مسكن لهؤلاء المواطنين الثعساء الذين وصف الكتاب أحوالهم وذكرنا هنا نقلاً منها ٢٢.

أنا لن أجيب على هذا السؤال لأنني - كما يعصني خصوصاً - شيخ أصر ومضى للماركسية وشيوعى أنفخى وراء غيتي .. الخ.

وسيتولى الإجابة:

مصر بن عبد العزيز خامس الراشدين كما أساء الإنام الشافعي والذي يشهد له الجميع بالورع والفقه في الدين: كان خلقاً بنى أمية قبله في كل عام يتفخرون بالرائع بكسرة غالبية (بداية تكلف ألف الدنانير) تأكيدها منهم العامة على أنهم يعرفون للإسلام قدره ويقدمون شعائره ولا جاد تحت الشمس والتاريخ يعيد نفسه، فلما صار خليفة كتب إلى واليه على مكة:

(إني رأيت أن أجعل ذلك في أكباد جامعة فانه أولى بذلك من البيت).

-أصل الخبر وعبارته الخليفة من كتاب المجلدون في الإسلام للشيخ أمين الهولي ص ٧٨ طبعة ١٩٩٢ - الهيئة المصرية العامة للكتاب.

وتعريف عنه هذا الحد لأن مسلح عمر بن عبدالمزيم ومقلته لا يفركان مجالاً لأي شرح أو تعقيب.



مصر

نقابة المهندسين شمولية الإخوان.. والطريق إلى تدويل الأزمة!

مكاسب إخوانية في النقابة تظهر هذا التنازل الكبير . يومها ترقعت أن يرشح الإخوان واحدا منهم لمنصب نقسب المهندسين وهو ما حدث الآن بالفعل حيث تقدم د . محمد على بشر الأمين العام للنقابة لهذا الموقع . حدث هذا في ظل وضع لم يعد من الممكن فسيه لكتلة أصحاب الشهادات الجامعية والدرجات العلمية أن تنسجم - ولو ظاهريا طبعا - لتتجه الإخوان في التمتع التام على الصراعات - مع وضع يقره فيه الحركة انصاف متعطلين وكبار أصحاب الأراضي والمتاجر من الحرس القديم ، خاصة وأن لحظة ذروة الصدام بين الجماعة والسلطات ، أي تلك التي بدأ الرئيس مبارك يهاجم فيها الإخوان علنا وبالأسم لأول مرة ، جنبا إلى جنب مع تشديد الهجمات الأمنية على أوكار الإرهاب ، أنيكبت الجهاز القديم ، الذي اعتاد على عمليات بئانية من الكر والفر السياسي ، وتركت انطبعاها بأن المراجعة الإخوانية تحتاج إلى كادر جديد وإلى موقع جديد . ير د . حبيب في تلك اللحظة ، غير أن المسابقات الإخوانية نفسها يبدو اكتشفت أن عبد العليمين (حوالي ٤٠ ألفا) محدود نسبيا ، وأن النقابة محدودة الموارد والإمكانات ، وأن ٩٠٪ من العليمين بالتاسية هم خريجو كليات العلوم يعملون

مصباح قطب

إشارات

هل لاحظ أحد كيف خفت صوت الحديث عن الصراع على منصب المرشد العام للإخوان في الشهرين الأخيرين فجأة؟ هل تذكرون كيف ظهر د . محمد حبيب رئيس نادي هنية التدريس بجامعة أسبورت وأستاذ الميولوجيا ، على مقعدة المسرح بقعة منذ عام عندما وقع أحد بيانات الجماعة باسمه ، وعندها رد بإجابات مكتوبة ، على أسئلة صحفية ، من أكثر من صفحتين وجريرة ، سلمت إلى الجماعة في مقر التوليكية ، لقد رشع د . حبيب نفسه في نهاية العام الماضي لمنصب نقب العليمين ، في تحول إخواني له دلالة حيث اعتاد الإخوان من قبل الهيمنة على مجالس النقابات وترك مقعد النقيب لوجه رسمي أو مقبول من الحكومة : غير أن د . حبيب تغلى فجأة عن الترشح - وتنازل - مع غيره - ليفوز بالمنصب رئيس أكاديمية البحث العلمي ، وذلك دون أن يتفاوض د . حبيب حتى على تحقيق

ستغل نقابة المهندسين لأمد طويل نسبيا محور اهتمام الأوساط السياسية والإعلامية ، في البلاد وخارجها ، خاصة وأن ضراود ستعرض إليها هنا ، تشير إلى أن النقابة انغلقت من طور كونها حزب لجماعة " الإخوان المسلمين" إلى طور الدولة الإخوانية ، لكل ما لذلك من تداعيات على المانهين الاخواني ذاته ، والرسمي . ثم جانب المجتمع المصري من قبل ومن بعد . ولقد كتب الكثير من النقابة في صفح الجهار الإسلامي ، وصف المعارضة ، والصفح الحكومية ، لكن أحدا لم يجبه عن السؤال : ما هو مستقبل النقابة في ظل الوضع الراهن ؟ ، وما هو مستقبل الإخوان في ظل الوضع الذي أرى - كنا ستخرج - أن القيادة الفعلية فيه انغلقت من شارع سوق التوليكية حيث مقر الجماعة التقليدي لعمارات الستين إلى ٣٠ شارع رمسيس حيث مقر نقابة المهندسين؟ وبطبيعة الحال لا يمكن التنبؤ بالمستقبل دون النظر إلى التاريخ.



محمد علي بشر

في الحكومة ، كما أن ترجية خطاب سياسي من خلال تلك النقابية لن يكون مؤثرا ، فالأخوان أدركوا الناس بوقوف المجتمع من العلم ، وحتى لو تم خلط الخطاب - وهو ما يحدث في نقابة المعلمين فعلا - بكراتنا أفريقية ودينية وعنانية ، فالمرء سيكرن ضحيفا .

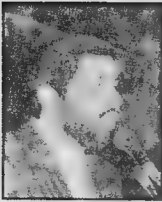
التجاني الإخواني

لم يكن أمام الأخوان إلا واحد من اثنين : نقابة المحامين ، أو نقابة المهندسين ، ذلك لأن نفس الأطباء في العمل السياسي محدود كما ثبت وتأكد . ولما كان الموقف غير محسوم للإخوان في المحامين ، بلض النظر عن سيطرتهم على المجلس ، ولما كان دفع النقابي الإخواني في المهندسين أكثر قوة ، وأكثر ارتباطا بقرى اقتصادية أخوانية نقابية كسبها الأخوان لما قدموا من خدمات نقابية لا يمكن التعميم من شأنها . فقد حدث اتصال بين الإخوان والمهندسين ، وعلى وقت كان الأخوان والمهندسون قد ابتكروا أيضا ، أدوات وأليات في العمل الهرمي ، فجعل وجودهم فيها وكأنه " أبدي " ويكفي أنهم تمكنوا بلا جليلة من دفع النقابي المهندسين حسب الله الكفراوى إلى موقع العجز العام بحيث أنه لم يحضر اجتماعات المجلس الأعلى طوال السنتين الأخيرتين ، كما أنهم نقلوا سلطات النقابي كاملة إلى الأمين العام ، عبر قرارات من المجلس الأعلى وهيئة المكتب ، يصعب الطعن عليها . أضف إلى ذلك أنه لا يوجد موقع يسيطر عليه الأخوان تكاد تتعمق فيه قابلية الحكومة ، والقرى الديمقراطية ، إلى هذا الحد . فالحكومة التي تقدم ٩ آلاف جنيه كسند سنوي ، لنقابية تدبر الآن نحو ٣٠٠ مليون جنيه كاستثمارات وأصول وعملية من تحتها أن تشمر باستغلالها قاما ، كما أنه بات



حبيب الله الكفراوى

يقدمونها أن تحرك آلية لتطوير الخدمات والتمهيلات ، دون حاجة لنقابي يتوصل إلى الحكومة وإلى الجهات العامة ، وهنا قد يبرز التاريخ ، لمن يريد أن يعتبر ويصلح . أن الأساس الذي قامت عليه نقابة المهندسين هو مبلغ الترميمات الهندسية ، والذي وصل هذا العام نحو ٧٨ مليون جنيه (على الحديدا والأستنت) ولقد كانت الدولة الناصرية هي أول من أوجد هذه القابلية أن تعطي للنقابات جزءا من دور الدولة ، كتحصيل ضرائب (ومقات) خصايبها ، وإصدار شهادات مساواة المهنة مقابل أن تتنازل للتقاضي من حريتها وأن تدعم السلطة على طوال الخط طده هي جذور الاختلال الرهيبي ولا يمكن لأحد أن يعيب على المهندسين الآن ذلك ، فتقابة التجاريين حصلت على قانون يعطى حقا مائلا ومقات على الأوراق المرتبطة بالممارسات التجارية) وغيرها من التنازلات الحكومية وبعضها جاز في العهد الحالي كالتجاريين والمعلمين (وأن تعثر التنقيذ في الأخيرة) الملم في هذه اللحظة التي اكتشف الأخوان فيها أنه لا يمر أولاً من الصدام مع السلطة بعد أن هاجمهم الرئيس علنا ، ولأمر من التدرج بوقع يكون آمن موقع الحزب السياسي ، فكم من أزمات في حياتنا شلت أو هي مشلولة ، ولأمر من هجوم تهيبات له القرصة (في نقابة المهندسين ، كما عرضنا) فالتقارب بكل أنقائهم إلى النقابة ، وقد نلاحظ ببساطة أن اسم المهندس " أبو الملا حاضى " الأمين العام المساعد لنقابة المهندسين والرجل الثاني في النقابة ، أصبح أكثر بروزا بكثير من إسم المستشار " مأمون الهضيبي " من



أبو الملا حاضى

التحدث بإسم الأخوان ، وإذا أتبع لك أن مجلس في مكتب التوفيقية ، وفي الدور الثاني من نقابة المهندسين - على الجهة اليسرى المؤلفة تأثيفا جيدا ويكسر أرضيتها الرخام اللامع - فستصل على الفور كيف أن الحركة والبركة كلها أصبحت في الأخير ويكن أن تتوقع في هذه الحالة أن يستخر المرشد العام الحالي ، مرشدا حتى يوفيه الأجل بعد عمر طويل ، إذ واقعا تسهر الأمور في اتجاه أن يكرن مكتب الإرشاد ، مكتب شرعا (الذين يفسرون نقابة المهندسين بأنها حزب الأخوان الذي يدار من مكتب الإرشاد عليهم أن يغيروا رأيهم) فأخوان النقابة لم يعودوا غفط حزبا سياسيا يصدر النشرات ويقوم التنازلات حول اليوسنة والهرمك والشيشان ، ولكنهم يديرون عملا دوليا مكتمل الأركان له تشهده وعلمه ودمغوره وموارد ، لكن أزاى ولله .

الدولة

دخل الأخوان إلى نقابة المهندسين عام ١٩٨٥ ، لكنهم لم يسيطروا عليها قاما إلا في دورة ١٩٨٩ المستدة حتى الآن ، بسبب المشاكل التي تزعم الانتخابات ، جاء دخول الإخوان كحصوله للفصل الذي دعي في النقابة حل أبدي المعلم هشمان وأنصاره ، كما أثبت ذلك الباحث د . أماني جاد قنديل " في بحث قدم إلى المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بعنوان " الفساد في النقابات المهنية - دراسة حالة نقابة المهندسين) وقد نشر ضمن كتاب للمركز بعنوان (المجرم الاقتصادي المستحذ - إصدار ١٩٩٤) وأيا ما كانت صحة القول بوجود علاقات عضوية بين الإخوانية والصشمانلية ، من زمان ، وبكى أن المقاولين العرب مغلل عبيد الإخوان ، فإن

الكمبيوتر، حول تكرارية الحصول على الخدمات (أي المهندس الذي استغفد من مشروع الرعاية الصحية، ومن مشروع التكاثر ومن مشروع الخدمات القانونية والحاسبية في نفس الوقت) فسيثبت أن ماقدنته بشأن نسبة الـ ٢٠٪ صحيح، وإذا ماحدث وتقدم كل المهندسين للحصول على كل الخدمات فلن تستطيع الثقافة تلبية الطلب، ثم سارت الأوضاع حيث راح كل طرف يهزئ مراقبه إلى أن وصلنا إلى الوضع الحالي المعروف من حيث صدور حكم بقرض الحراسة على الثقافة والدياري والدياري المضادة، ومشاكل تطبيق القانون ١٠٠- وتعديله الأخير .. وهناك من يرى أن الحكومة لن تفرص على أن تهمي انتخبات المهندسين قبل انتخبات مجلس الشعب القادم لأسباب تكتيكية. لكن الإخوان أعدوا هم الآخرون للأسر عدته واليك مايلي لتصرف كل هي دولة كما قلنا أم لا؟

- بلغ صد اللجان المشكلة في نقابة المهندسين ٤٠ لجنة قابلة للزيادة، منها لجان عمل لجنة تنمية سبناه ولجنة الصناعة ولجنة الطاقة ولجنة الاستثمار ولجنة الصناعات الصغيرة ولجنة السوق والمعارض ولجنة الجودة وغيرها، وهي لجان لاقتل فحسب اللجان المزمرة في حزب سياسي، لكنها تدير أعمالاً وأموالاً

تبعاصي، رغم صميم القانون كما قال لي المهندس "الكفراوي" الذي يحظر العمل السياسي في النقابات فلما من الحكومة فيما يبدو بأن ذلك ينفس عن الطاقة السياسية المكتوبة لدى الإخوان ولم تتحرك الدولة إلا عندما وصلت العمليات الإرهابية إلى درجة خطيرة، وكان واضحاً لدى الكثيرين على الأقل - أن الإخوان، وإن كانوا لا يمارسون الإرهاب، إلا أنهم يفتلون بالدعم التكري والجنوي، ويقطنون ثماره، هنا صدر القانون ١٠٠، وفكرته الأساسية حث الأغلبية السلبية، على أن تشارك في التصويت، والاهتمام بالعمل النقابي (يقض النظر عن لاديرقراطية إصدار هذا القانون وعمومه) لقد خمنت الحكومة أن الأغلبية، ٥٠٪ من المهندسين يعملون في الحكومة والجهات العامة، لو شاركت فسيبرز تحول من وازتين: الأولى ابتلاع الكتلة الحية للإخوان في النقابة وأنا كمصالح أقدرها بنحو ٢٥٠٠ عضو من بين ٢٧٠٠ ألف وإنجاح مرشحي الحكومة أو أغلبيهم.

والقائمة أن الاهتمام بالحصول على الخدمات سيقتل المخططة الإخوانية القائمة إلى تقديم خدمات تغطي نسبة محددة من المهندسين (أقل من ٢٠٪) لكنها تكفي لاستمرار تراجدهم لأن نسبة المهتمين في الواقع لاتزيد عن ذلك. والعهد لله يؤكد أن الإخوان لم أظهروا مآلدهم من معزومات على

المعلم عثمان يتحمل وحده النتيجة، فقد أدار النقابة من خلال "مزرعة"، ومن خلال "المقاولون العرب" وبتلك قناة السويس (الكتلة المغلفة، كما قالت)، أمانها (أدراها) "شعري" وبالتيسير، وأسس شركاتها بها مزاج وبلادراسات ودمج الشركات النقابية في لجنة التنمية الشعبية بالحزب الوطني، التي أسسها وأنصاه، إلى أن تغير الحال فهذا عثمان يتجاري غير أن أحداً لم يحاسبه أو أتباعه من الحسائر التي لحقت بالنقابة وشركاتها حتى الآن، ويمكن القول أن نجاح المهندس "الكفراوي" ككتيب، كان نتيجة مبراة لمواقفه ضد المعاملة وسطورتهم. جاء الإخوان وبدأ العمل السياسي من خلال النقابة على مهل (لجنة المناصرة وهي تصدر جريدة حتى الآن) وندوات لمناصرة مواقف لا يحتاج المرء إلى ذكاء ليدرك أنها تسير حسب الأولوية السياسية للإخوان، لجنة حريات بدأت بمرفق معاد لمنظمات حقوق الإنسان - فلما بأن اليسار والليبرالية يسيرونها لمصالحهم - لم أصبحت تخفي بالمنظمات وعقود الإنسان أكثر من أي تبار آخر، ثم اكتمل النشاط طابع النشاط الحزبي السياسي، بقيام لجنة التنسيق بين النقابات المهنية وقرورها للمهندس "أبو العلا ماضي" مع عقد ندوات مغلفة أو مقفوعة، ذات طابع تجهيزي، أخيراً كان للبحث عن صيغة للجبهة الوطنية المهم في كل ذلك أن الدولة طلت

الجمعية العمومية بنقابة المهندسين



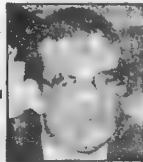
بلغ من تعقدها أن النقابة قوت التعاقد مع شركات متخصصة لتقوم بأعمال الإشراف والإدارة لمشروعات الإسكان بالقنابلة ، جنباً إلى جنب مع لجنة الإسكان ومع إنشاء جهاز إداري لمشروعات الإسكان بالنقابة العامة وتعيين مدير متخصص له وفريق من المهنيين المتخصصين.

تدير النقابة نشاطاً دبلوماسياً واسمياً ، لا يقتصر فقط في إدارة حوارات وعلاقات مع سفارات مجموعة من الدول الإسلامية المختلفة ، والتي يهتم بشأنها الإخوان ، وإنما أيضاً من خلال وضع أهداف ذات طابع دولي صرف للنقابة مثل : العمل على إعادة أعمار لبنان واليمن (مجلة المهندس - تقرير د. بشر إلى الجمعية العمومية ١٩٩٥/٣٢) وعقد ندوات من نوع الشورى الدولية للأمم المتحدة تجاه أزمة البروتست.

تسمى النقابة إلى أن قعد خدماتها " لتعطي كل شيء في حياة المهندس . وعندما قلت للمهندس " أبو العلا ماضي " لماذا لا تقسمون المارة بمصل مشروع لتوصيل الرجسيات الجساجزة إلى منازل المهنيستات الماعلات قال والله لو تقدر تعمل ليه لا . لقد دار بيني وبين " د. بشر " حوار طويل حول خطورة الشورى التي قارسها نقابة المهنيستين ، والتي تشبه زان بشكل أكثر بانيئة وأوسع نطاقاً ، دور دول المعسكراتان القومية الأبرى ، ذلك الذي شل المجتمع المدني وقدره الأفراد على المبادرة . وقتل للتدكير " بشر " أنني أتعامل مع الإخوان على قاعدة : أزوج أفراداً منهم بناتي ، لكنني لا يمكن أن أعطيهم صرتي . أي أنني أتهم قانما الروحية الرقيقة والتعطل الأخلاقي المصالي لدى قلة منهم ، وأحب التعامل بالنصف معهم ومع غيرهم ، قلة مني في أن اليسار الحقيقي ، قادر على تجاوز العمل السياسي والأخلاقي لأي فئة اجتماعية . المهم أنني قلت أيضاً : أنني أن يقوم الإخوان ألف جمعية لتقديم الخدمات للمهنيستين ويهيمنوا عليها لامتاع . لكن أن تقسم نقابة واحدة بكل شيء من الأبرة إلى الصاروخ ، فهذا لا يوجد في أي نقابة ليبرالية للمهنيستين في العالم كله .

والأن أستطيع القول أن الشورى ذاتها ستكون مثل الإخوان والمهنيستين ولن يفهمهم عن ذلك ، توظيف الشورى في إطار النقابة المركزية لقوى الهيسة ، وأصحاب الأيدي التطبيقية ، والإخوان هم قلة في نهاية الأمر وكلما الجهد لأستقل لهم زاد الاختلال ، وزادت معدلات التزعزع عند القرويات ومن شأن التزمع في نشاط النقابة واستثماراتها ، بل وأعمالها التي تلقى عملها أدوار كافة

جمعيات المهنيستين الأخرى ، بما فيها جمعية المهنيستين المصرية (في العالم كله تختص الأخيرة بالنقابة الطبية وقد أصدر إخوان النقابة مجلة علمية مؤرخاً وتختص الجمعية بشروط مزاوله المهنة ، فموضوع إخوان النقابة لاتحمة تتيح لهم أن يتحكموا في شروط العمل المهني والجاهاته) ، ومن شأن التوسع الذي جعل هناك مرفعا لكل من يريد أن يعمل عملا من الإخوان وأنصارهم ، في أي مجال ، حيث لم تترك النقابة مجالاً من مجالات الحياة العقلية والثقافية إلا وأوجدت منظاراً له . فهناك كتب تطبع هكذا فجأة لمن يريد أن يقول كلمتين ، وأعمال للصفتين والرسامين والمخاططين ، وأعمال تجارية وهنسية وماتية واقتصادية وتكنولوجية وزراعية وصناعية ومحاسبية وسياسية واسعة النطاق ، وكلما تفلقت أعداد أكثر تم خلق أطر أكثر لاستيعاب الجاهيب القادمين : لجان استشارية للشعب ، لجان للقيام بأعمال يفرض أن يقوم بها الجهاز الإداري للنقابة ، لجان لمشروعات وهمية لتفصية الابتكارات وكل شيء . وقد وصل التعرول الآن الى مدها ، بحيث يمكن القول أنه مهما كانت جذبة ونظافة الفلاشي " د. بشر . المهندس أبو العلا ماضي . د. صلاح عبد الكريم (الزكيول مع المهندس سعد الراجسي والأخعيم الكرم سنا وهو عضو لجنة التعليم بالحزب الوطني ومؤيد قوي للإخوان



صلاح
الدين
الكريم



محمد
حامد
خفرسي

الإخوانية ، سيصبح الفساد أكثر شراسة وقوة بحيث يمكن أن يهدم النقابة على الجميع كان هذا شأن كل دولة شمولية في التاريخ وسيكون.

إلى هنا والآ

إنذ يمكن أن نخمن أن الدولة ستركز جهودها على إعادة الإخوان والمهنيستين ، إلى وضع الحزب السياسي أولاً ، بدلا عن وضع الدولة ، وذلك بالألعاب التشريعية والنفوذ طرقي في تقديم مصالح من داخل الهيئات الحكومية والجهات للمهنيستين ، حتى ينتخبوا مرشحيها ، وحتى تسحب البساط من الإخوان ، ويمكن أن تتوقع أيضاً أن يكتفى اليسار والليبراليون بمراقبة الموقف ، والتفندي ، ولو بصوت خافت ، بفكرة عمل لجان في مواقع العمل ، التي لم يكتروا بتحسين لها من قبل ، على أساس أنها مشجع كعلة أكبر على التصويت ، وأيضاً السعي ليعكس تحالف الحكومة مع الإخوان ، في منتصف المسافة ، لقطع الطريق على أي اتجاه ، جديد ، وفي كل الحالات فإن الحكومة لابد أن تدفع لأحداث التطور في الأسس التي قامت عليها قوانين النقابات بحيث تكون منظمات حرة بخدمة أعضائها من زاوية علاقات العمل وشرطه أساساً . (ضمن أسئلة أزال يطور حولها الإخوان مع د. بشر طلبت عند الشكاوى التي وصلت النقابة حول اعتصام العمل وموقف النقابة منها) مع النظر جدا في ضرورة الانهاء إلى التعددية النقابية ، استجابة الانهاء إلى التعددية النقابية ، استجابة للمصر ، وليس لدور هيمنة الإخوان فقط . وإذا لم تعمل الحكومة ذلك ، وإذا لم يتنازل الإخوان عن مرفقهم (دولتهم) ، خاصة وأن مجلة تكريم الدولة واستقطاب دور مكتب الإرشاد ، جنباً إلى جنب مع كل التشوين الإخوانيين ، إلى نقابة المهنيستين أصبحت تدور حتى رغبا عن الجميع ، بحيث أن مصير الإخوان أصبح بالفعل سرفهنا بمصيرهم في نقابة المهنيستين ، إذا لم يفعل الطرفان ، أي بكر أمام اليسار والقوى المستقلة والليبرالية ، وأمام الأقليات (أ) من أعضاء النقابة ، سوى لتفول الأمانة . والشكرى إلى المنظمات المهنية الدولية من التحيزات الثقافية والنقابة للإخوان ، ومن التسلسل التشريعي والإداري للدولة ، ولا تضحكوا من فكرة التدويل ... فغدا سوف نرى .

(المهر : هناك حوار لم يكتتمل بعد مع المهندس د. بشر والمهندس أبو العلا . ولا زالت الأسئلة التي أطلب إجابة عليها تتناهي) .

الخصخصة والمصالح الإسرائيلية وراء محاولة تدمير صناعة الأسمدة في مصر

٣- علم وراء الشركات بالتزاماتها:

جميع الشركات المنتجة للسماذ لم تلتزم بمعاييرها مع التعاونيات - على مختلف مستوياتها - ولم تسلمها كميات الأسمدة التي قامت ببيعها مقدما قبل الموعد المحدد للتسليم.

٤- الاستعانة بالخارج في تجهيز الأسمدة:

بطبيعة الحال - ومع حرمان التعاونيات من التعامل في السماذ وتسليمه للقطاع الخاص - أن تنشأ حالة احتكارية تتحكم في الاتجار فيه وأن تظهر وتتمثل حاليا في سوق السماذ إلى حد أن يصل الأمر إلى ما يتردد عن تحكم رجل أعمال واحد في تصريف مليون فدان ، كما نشر بصحيفة الوفد في ١٩٩٤/٩/١٩ ، وإلى أن ترتفع أسعارها بمئات المئتين بحسب إبراهيم - مدير التعاون الزراعي بأسوان - من أنه قد ظهرت حديثا حاليا تتحكم في أسلوب أسعارها بطريقة جنونية.

أسباب هذا الظهور:

أولا : الخصخصة على الطريقة المصرية ، يعني الخلافة في الأخذ بما يسمى آليات السوق ، لدعوة ترك حصة الشركات الاستراتيجية في الانتاج الوطني نهبا للإنتاج الخارجي والتدمير الداخلي ، ويختل ذلك - فيما يتعلق بقضية السماذ المصري - فيما يلي:

١- رفع الدعم عن السماذ - ضمن كافة مستلزمات الإنتاج الزراعي - بدون أدنى تقدير لما يؤدي إليه ذلك ليس من زيادة الأرباح على المزارعين فحسب ولكن أيضا من تدمير الإنتاج الزراعي .

والطريف أن د. يوسف والي - بصفتيه الأمين العام للحزب الوطني الحاكم - قد استبعد ، على الدعم المادي بدعم آخر - أكثر وقتا - وهو دعم نقسي وفلسفي لقد أعلن

عزبان تصنف

- فإن هذه الصناعة معرضة للانهيار ، فراقها التآكل كما يلي:

١- المعجز الكبير في السوق: فقد وصل المعجز في الحطة المستهدفة في الفترة من أكتوبر ١٩٩٤ حتى مارس ١٩٩٥ - وفقا لتقدير المهندس سعد هجرس رئيس مجلس إدارة الجمعية المصرية للأسمدة - إلى أكثر من مليون طن سواء من البورينا أو النترات أو النتريت ، بالإضافة إلى ما هو متوقع من عجز تجاه الاحتياجات الصيفية في شهر الثروة (مايو - يونيو - يوليو) لن يقل عن ٥٠٠ ألف طن.

٢- الارتفاع الجنوني للأسمدة: فإذا كان تقرير " استراتيجية التنمية

الزراعية في مصر في التسعينيات " الصادر من مجلس الشورى عام ١٩٩٢ ، يقرر أن أسعار السماذ قد ارتفعت كثيرا في الفترة من ٨٨ - ١٩٩٢ ما يقرب من ٣-٤ مرات بسبب رفع الدعم عنه ، فإن المهندس أبو بكر الهاليل - رئيس لجنة الزراعة والري بمجلس الشعب - يقرر على ضوء الزيارة الميدانية التي قامت بها اللجنة لبعض المحافظات في شهر يوليو ١٩٩٣ أن سعر السماذ قد تضاعف ١٠ أضعاف خلال عامين.

والفلاح المصري - أمام هذا الواقع - ليس أمامه سوى خيارين كل منهما أمر من الآخر ، إما أن يشتري السماذ اللازم لزراعته بهذه الأسعار متحملا للمزيد من الأعباء - وقد أصبحت فوق طاقته ، أو يخفف من كمية السماذ اللازم ما يخفف من تاجره الزراعي.

في الدراسة الاقتصادية / الاجتماعية الهامة التي أعدها د. آلان ريتشاردز وترجمها د. أحمد فؤاد سيف النصر عن التطور الزراعي في مصر ، يؤكد الباحث على أهمية " السماذ " واستخدامه في الزراعة المصرية ، ليس فقط كإضافة إنتاجية ولكن أساسا كمتغير عن الواقع الاجتماعي والطبقي في الريف.

ووفق الدراسة أنه في الفترة من ٣٦- ١٩٥٢ كان كبار ملاك الأراضي يسيطرون على التعاونيات ويستخدمونها في الحصول على السماذ بقرائن منخفضة للغاية مما أدى بطبيعة الحال إلى أن يكون الناتج الزراعي من أراضيهم أعلى بكثير من تاجه باقي فئات الفلاحين ، وأن الوضع قد تغير بعد ١٩٥٢ . وخاصة في الستينيات - عن طريق التوسع في التصنيع المحلي للأسمدة التي يحصل الجانب الأكبر منها إلى الفلاحين - وبشرط ميسرة - عن طريق التعاونيات ، مما أدى ليس إلى زيادة الإنتاج الزراعي فحسب بل إلى الإسهام في إحداث التغيير الاجتماعي في القرية المصرية.

ولاشك أن صناعة السماذ قد رسخت في الواقع الاقتصادي والاجتماعي المصري كأحد الصناعات الاستراتيجية الهامة . إنقصة استثماراتها تصل إلى عشرات المئات من المليونيات . وطاقنتها الإنتاجية تبلغ حوالي ٧,٦ مليون طن سنويا (٦ مليون منها أسمدة آزوتية والباقي فوسفاتية) .

وتقدم عليها العديد من المصانع المحلية في أسوان وطلخا والمنيا والسويس والاسكندرية وأبي زعبل وأسيوط وكفر الزيات ، تضم آلاف العمال المهرة ومئات الكوادر الفنية المتخصصة .

ماذا يحدث اليوم للسماذ المصري؟

بالرغم من كل تلك الأهمية للصناعة المصرية للسماذ - وربما من أجل تلك الأهمية

سيادته في النادي السياسي للحزب الوطني في ١٩٤١/١٢/٤ - أنه هجره حالها دراسة مشتركة مع قطاع الأعمال تستهدف خفض أسعار الأسمدة من خلال دعم حرية الزراعة في شرائها.

٢- فتح باب الاستيراد للمساد على مصرانية مع تقديم كافة التيسيرات المصرفية - للقطاع الخاص ، بالرغم من أن ذلك - وفقاً لما حذر منه د. مصطفى شميان عام ١٩٩٢ بصقته رئيس اللجنة الاستشارية للأسمدة بالشركة القابضة للكيماويات - يتم تحت دعوى غير حقيقية وهي احتجاجات الزراعة المصرية - فالتأنيج المحلي كفيلاً بذلك - بالإضافة إلى أن تخفيض الرسوم الجمركية - يعني - من وجهة نظر سيادته وهي الصحيحة - التنازل عن جانب من حصص المصارف لصالح المنتجين الأجانب ومنع للفرصة للصناعات الخارجية للتوسع على حساب الصناعة المصرية.

٣- التوسع في التصدير على حساب احتياجات الزراعة المصرية. ويضخ ذلك من أرباح التصدير لشركة واحدة فقط هي شركة أبو قير فقد صدرت في السنة من أكتوبر ١٩٩٤ حتى يناير ١٩٩٥ ، الكيماويات التالية: ١١٦ ألف طن بوريا ، ١٢١ ألف طن نترات . ثم صدرت في مارس ١٩٩٥ ١٠٠ ألف طن نترات. وتبلغ جملة صام تصديره من المساد المصري منذ أكتوبر ١٩٩٤ حتى الآن أكثر من مليون طن ، في الوقت الذي يعاني فيه السوق المحلي من المجز و يتم الاستيراد لتغطيته.

ثانياً:- التصفية الكاملة لقطاع التعاون في توزيع المساد.

ولعل شكاوى الفلاحين ، والمذكرات المقدمة من المزارعين التعاونية - بهذا الشأن - إلى الدكتورين رئيس مجلس الوزراء ووزير الزراعة ، قد أصبحت غير ذات جدوى بعد أن صدر قرار مجلس الأسمدة - برئاسة د. صبري عجلان - بمشترش وزير قطاع الأعمال - في ١٩٩٤/١٢/٢٠ ، الذي يقضى بوقف تسليم أي كيمايات من الأسمدة للبنك الرئيسي للتنمية والائتمان الزراعي - الذي كان يسلها بالتالي للحركة التعاونية الزراعية - بحجة أن الكيمايات التي تسل إلى لا يقوم المستهلك بشرائها لارتفاع أسعارها عن القطاع الخاص. ومعنى هذا أن كل الإنتاج المصري من

الأسمدة - المتبقى بعد التصدير - يتم تسليمه للقطاع الخاص لينفرد بالتعامل فيه بينما عن الحركة التعاونية بكل مستوياتها. وإذا كان البعض يعلن أن هذه هي الأساليب الحقة - فليعلم أن البهاان - وهي بلا شك أكثر منها أسالة في الررسلة - لا تكفي لتقديم المساد مدعوما للتعاونيات - لتوصيله إلى الزراع - بل أن الدولة تدعم الحركة التعاونية ذاتها بما يمكنها من تصنيع المساد وإنتاجه وتوزيعه.

ثالثاً: محاولات لتصدير صناعة المساد بوسائل مختلفة:

١- الارتفاع المالي فيه لسعر الكهرباء اللازمة لتقيام المصانع بإنتاج المساد ، بالرغم من أن الكهرباء ، هي المادة الخام الرئيسية لهذه الصناعة.

٢- ولاكتفى الحكومة بذلك ، بل تزيد من مشاكل إنتاج المساد - كما صرح المهندس أسامة الجاني عام ١٩٩٢ بصلته ورئيس مجلس إدارة شركة أبو قير - بقرض ضريبة صبهات عليه بصفته - من وجهة نظرها وعلى خلاف الواقع - منتجاً نهائياً.

٣- بل ويصل الأمر إلى أن تطرح لجنة علي مستوي عال مشكلة من عدة وزراء - في أوائل ١٩٩٣ - اقتراحاً بتحويل شركة كيما إلى صناعة أخرى " مرعبة وتاجعة" على حد قول هذه اللجنة.

في الوقت الذي أصبحت فيه هذه الشركة إحدى القلاع الصناعية الهامة في مصر ووصلت قيمة إنتاجها السنوي إلى ١١٢ مليون جنيه سنوياً ، وارتفع ربح السهم بها إلى ١٩٨٥٪ بعد أن استرد قيمته أكثر من مرة.

ولعل هذه التعديلات لصناعة المساد المحلي هي التي وقعت بالكيمايات طاهر بشر - رئيس الشركة القابضة للصناعات الكيماوية - لأن يعلن على صفحات الجرائد في مارس ١٩٩٣ ، بأنه لا يوجد أي نظام في أي دولة يعامل الصناعة معاملة استغرافية كما تعامل الصناعة في مصر ، ويكفي أن يستمعون لاتعامل معاملة كبار العملاء الذين يستمعون بالخصم التجاري للكبير.

رابعاً:- نقاش عن .. المصالح الإسرائيلية:

أصبح من الأمور الطبيعية في مباحثة أي وضع غيسر طيسعى في هذا الزمن الطبيعي ، أن نقاش عن أصابع أو مصالح إسرائيلية.

وإذا كانت هذه قاعدة عامة ، فإنها تكون أكثر خصوصية في مجال الزراعة المصرية التي يتزايد فيها - لتشييد الألف - نفرة المصالح الإسرائيلية تحت دعوى " السلام " من ناحية والتقدم التكنولوجي من ناحية أخرى. وأمام هذا التدمير لصناعة المساد مصر ، كان من الضروري البحث عن هذه المصالح وقد وضع الأستاذ لطفي واكد عضو مجلس الشعب وناشط رئيس حزب التجمع - في مجال رده على بيان الحكومة في فبراير ١٩٩٥ - يده على الضرور الإسرائيلي في هذا الخصوص يكشفه عن تكوين شركة " تكتوبرين " الدولية والركيزة عن عدد من الشركات الإسرائيلية المتخصصة في المجال الزراعي ، ومنها شركة حيفا كيميكال " لصناعة وتجارة الأسمدة "

من أجل دعم صناعة المساد :

حتى نخرج من أزمة المساد - إنتاجاً وتوزيعاً - فإننا نرى أهمية الأخذ بالبرنامج التالي متكاملًا :

١) تخفيض نفقات الإنتاج ، وبعث ذلك عن طريقين :

أ- محاسبة مصانع المساد على الكهرباء. على أساس التكلفة الاقتصادية للكهرباء. المولدة من مصادرها المائية ، وليس بالتسعير الحالي القائم على أساس نظام الشرائع.

ب- عدم فرض ضريبة صبهات على المساد ، حيث أنه من مستلزمات الإنتاج الزراعي ، وليس سلعة نهائية الإنتاج.

٢) أن تكون الحركة التعاونية الزراعية - بهيكلها المؤنسي وليس كل جمعية على حد - هي الموزع الرئيسي للمساد من خلال تعاملات مباشرة مع شركات إنتاجه ، بما يمكن الجمعيات التعاونية من التعامل في مع الفلاحين في التوقيت المناسب وبالسعر اللازم.

٣) عدم تصدير الأسمدة إلا بعد تغطية كافة الاحتياجات الزراعية المحلية بما فيها مجال استزراع الأراضي الجديدة.

٤) منع الاستيراد إلا للأصناف غير المنتجة محلياً ، مع فرض الرسوم الجمركية اللازمة لمواجهة أي محاولات لإغراق السوق المحلي.

ولعلنا بتكاتفنا من أجل حصول هذه الاقتراحات إلى واقع عملي ، نكون قد أسهنا في حماية إحدى صناعاتنا الوطنية الهامة ، وفي دعم الإنتاج الزراعي في بلادنا.

مراسل الإندبندنت يكتب عن الأوضاع في مصر:

● ملوى.. والحرب من حقول قصب السكر

● السعودية متهمه بتمويل

العصيان المسلح في قرى الصعيد

رئيس الشرطة هناك والذي يعمل بالملجأ منذ أربعة أعوام.

وفي صباح السبت، وخارج مقر إقامة شنتي، هاجم ثلاثة رجال مسلحين دورية وزارة الداخلية وفي تحد للبريات المدرعة التي كانت تحرسها، مستخدمين أسلحة أوتوماتيكية ليقولوا ضابط شرطة وجرحوا ثلاثة آخرين.

العتري

وتلخص كلمة "توت" ما يحدث ملوى تلك المدينة ذات الطرق القلعة التي تعد من محطة السكك الحديدية، وتضامك أعين رجال الشرطة بعضهم بملابس بنية وبعضهم بالجلابية وفي سبتمبر الماضي هاجمت الجماعة في كمين نصبة ثلاثة من رجال الشرطة وقتلهم.

ولقمم التخريب الذي حدث لبنية المجتمع في ملوى، يمكن أن تأخذ جولة بحرية تنطوي عبر المدينة لتعبر في طرق مرصلة وسط صيحات الأطفال.

وهناك يقع مكتب فتح الله خفاجي بائع ماكينات زراعية ومثل محل للتنظيمة المصرية لحقوق الإنسان - صورة لعبد الناصر - بشهره الرمادي وأسائه - معلقة على الحائط.

وخفاجي شعر رمادي قصير وعينان لا تنظران ويحدث بمصاحبة وشجاعة، ليدكر الزوار أن الرجل الذي يطالب بحق الحسياسة للجميع مشكوك فيه من كلا الجانبين الشرطة والجماعة الإسلامية، ويبدو أن المراطيين مطالبون بالانحياز لطرف ما.

ترخمة واعدا

اشرف شهاب

خلفنا، وقد اغتيل حوالي ثمانية عشر رجلا من عناصر الأمن المصري في السبعة أشهر الأخيرة فقط في المنيا ومعلمهم بالقرب من ملوى.

ويقال أن مئات الرجال من الجماعة الإسلامية يختبئون في حقول زراعات قصب السكر، منتشرين حول النيل وعلى جانبيه في ملوى، وهناك دلائل على أنهم يذهبون إلى المدينة عندما يرون، ساكنين شارع المجدي المزدهم والذي يقع قبالة منزل أحمد شنتي

حسن الالفي وزير الداخلية



عده ترجمة أمينة لثلاثة مقالات كتبها وورثت فيسك مراسل جريدة " الإندبندنت " عن طهجة الصراع الدائر بين الحكومة المصرية والجماعات الإسلامية من خلال الأحداث الأخيرة في "ملوى" والقرى المجاورة لها، كشف فيها عن عجز الحكومة المصرية عن السيطرة على الأوضاع الأمنية هناك.

الرحلة إلى الجنوب

قبل أن يأتي رمضان، مشى الرجال المسلحون وهم يحملون الكلاشينكوفات، وحول أكتافهم معاطف جلدية والمناديل ملفوفة حول رؤوسهم لتعطيهم قسوة البرد ورذاذ المطر. رجال من قوات الأمن المركزي، وقوات الأمن الخاصة والبوليس السياسي، وشرطة التحري الخاص. ويبدو الأمر وكأنه لاتهامية. لفرق وزارة الداخلية التي تنتقل من القاهرة لتسحق الثورة الإسلامية في ملوى.

ورأيت بعضهم يستقل قطار السابعة مساءً، وكانوا يرتدون ملابس سوداء وخوذات، مشغلين يلابس سوفييتية قديمة، يحملون صناديق خشبية مليئة بالذخيرة الحربية وينقلونها إلى عربة القطار في رحلة طويلة إلى الجنوب من العاصمة. الرجال تعسا، وجرحهم متعمدة.

أولئك التعسا - الصغار ذوي الشعر القصير، الذين تتأذى أسنانتهم الزوا - ملتصقين عدم إرسالهم إلى محافظة المنيا، وأيتهم ينفقون بقرشهم ومطاطينهم إلى العرية

عبد الحميد بدوي
محافظ للثيا



التصفية

ويقول خفاجي: تستطيع الجماعة أن تقتال أو تصلى أي مواطن يساعد الشرطة، وقد صفت الجماعة في الأربعة شهور الأخيرة حوالي أربعين مواطناً في ملوي، واستهدفت الجماعة الإسلامية مؤخرًا سيدتين قرية عتقة المجاورة لقياساتها برصاصة قطعت أحد أصابعها ولكنها هربت بعد ذلك. ولكن كان هناك آخرون غير محظوظين. فبسمة محقرت الفتاة الصغيرة تم اغتيالها في كمين معد لأحد رجال الشرطة في ٢٣ أكتوبر الماضي، ومحمد بدوي اغتيل أثناء قيادته لسيارة حكومية في ٥ نوفمبر، وطلعت عبد الرحيم اغتيل بعد ذلك بسعة أيام في شوارع القرية لأنه كان يساعد رجال الشرطة.

واغتيل فرج علي مرقوق - أحد معاصري أحداث مسجد الزاوية الحمراء - في ١٨ نوفمبر باعتباره مرشدًا للشرطة وحسنه سيد وهي متزوجة، اغتيلت في ٢٤ نوفمبر بتهمة العمل كمرشدة للشرطة.

مصر والجواز

وهذه القائمة تذكرونا بصراع آخر يدور في الغرب، حيث يتعامل الإسلاميون الجزائريون مع الرجال والسيدات الذين يساعدون الحكومة بشكل تاري وأكثر دسوسة، وليس هذا هو وجه المقارنة الوحيد، ففي ٢ يناير توقفت مجسرة من القنصاة التابعين للجماعة الإسلامية - ملوي - على الطريق الرئيسي المؤدي إلى المدينة وأوقفوا عربة "سيون" بها وأوهصوا الركاب بأنها عملية تفجير روتينية. وأطاع الركاب الأمر - كما يحدث في الجزائر عندما يواجه المواطنون نقاط تفجير مزيفة - وتم إعدام سبعة من الركاب على جانب الطريق، إثنان منهما جيتان بالشرطة. ولملوي تاريخ من المقاومة ضد الحكومة، فهي مدينة محرومة، يغطيها الغراب وتلفها الورش وتجارة القصب، وتتجاهلها الحكومة. وسالة محطة السكك الحديدية بها مخزنة. وشوارعها قلدة وملبسة بالحجر والقهاري.

واللحم النشئة تتدلى من جوانب دراجات الجزائريين في شوارع مغطاة بالمخلفات. ومدينة ملوي التي خرج منها الملازم خالد الإسلامبولي الذي اغتال الرئيس الراحل السادات لاتصرف قواعد اللعبة.

التحول

وحسب الصنف الأخير، كانت حرب الجماعة متمركزة في مدينة أسبوط. وفي ٢٨ يونيو اغتال رجال الشرطة في ملوي أمير الجماعة هناك المحاسب رجب عبد الحكيم وطريقة وحشية كما قالت الجماعة. فأعلن الإسلاميون في مساجد المدينة أنهم سيقومون بعملات إنتقامية. ومنذ ذلك الحين اغتيل حوالي ١٤٥ مواطناً في ملوي والقرى المجاورة لها.

ويقول خفاجي: إن هناك ثلاثة اتجاهات لأزمته، أولها أن ٤٩٪ من ميزانية الدولة يذهب إلى القاهرة، و٦٨٪ فقط لصعيد مصر، بينما تحصل الإسكندرية على ١٣٪ أي ضعف نصيب محافظات الصعيد الثانية، وكل ما يثار عن الاستثمارات الحكومية في صعيد مصر هو مجرد دعاية. ما يجعل من هذه المنطقة تربة خصبة للعنف والتطرف.

ديمقراطية مزيفة

وهناك الرؤية السياسية. حيث أن الأحزاب السياسية المصرية غير قادرة على عقد لقاءات جماهيرية والانتخابات مزورة. لذلك لا تستطيع المعارضة المشاركة في المجالس المحلية، وهناك ديمقراطية مزيفة. ونحن نحتاج إلى التعبير عن وجهات النظر المختلفة حتى تكون هناك حيوية سياسية، فلا يجب أن تكون الجماعات هي المسطر الوحيد على رأي الشارع، والمواطنون معاصرين حالها بين وجهتي نظر فقط، إما الحكومة وإما الجماعات الدينية.

وهناك ما يسميه خفاجي "المشكلة الثقلانية". ففي هذه الفترة لدينا "الثقلانية الصحراوية" للجماعات الإسلامية وهناك ما يسمى بثقلانية "البترول" القادمة من الغرب وبرايمه العليقونية التي تعرضها الدولة، والمنطق والعقلانية. وثقلانية البترول المتحلة. ولذلك تبدو مصر مدفوعة في هذين الاتجاهين ضد هويتها الثقافية الخاصة، وللخروج من هذا المأزق، يجب أن يكون لدينا أحزاب سياسية حقيقية ذات برامج خاصة بها. وعلينا أن نوقف الهجوم على حقوق الإنسان والحريات العامة، وأخرج مكتب خفاجي من مرتبة سيادة مصفحة بملو صورت تقيرها على أصوات

أطلقا للدعوة وعلى صوت مؤذن المسجد.

الرعب

تهدو ملصقات "مطلوب" وخمسة، فهي عبارة عن أوراق صغيرة ملصقة على حوائط محطة السكك الحديدية . وهي عبارة عن لقطات فوتوغرافية لصور البطاقات الشخصية لأشخاص ملتحقين، نظرتهم حذرة، وأعنتهم على الكاميرا، في منتصف العمر أو سفار جدا . وملصقة السكك الحديدية بالنها منبهة للسواح، فسادتها وشبابك تذكركا منبهة لتعكس النمط القسري . ولكن رجال الشرطة أصبحوا ينظرون إلى القربا . بشكل ودية . وتحت تلك الملصقات مكتوب بخط واهن يبدو أنه خط رجل مخاضرات " هؤلاء إرهابيون، أبلغ الشرطة عنهم " . ومن أعلى يسار أحد الملصقات ينظر إلينا شاب صغير، رغا طالب في كلية، ولكنه مرتعب المهيئ، كسا لو كان يدرك أن الدور سيأتي عليه . وعمره حوالي ١٧ سنة فقط.

اغتيال المسيحيين

ويدرك الناس في المنيا وملوى والفكرية، ماذا يعني الحرق ويسرى حظر التجول من السادة مسا، واعتزلت لنا إحدى السيدات المسيحيات بقولها: نحن لانخرج من منازلنا كما تمردنا ولكن نقلى داخلها معظم الوقت . فهل تستطيع أن تلومها ؟! ووسمها، تهاجم الجماعات الإسلامية رجال الأمن وسروا في الحكومة فقط، ولكن بالنسبة للمسيحيين في صعيد مصر فهناك معنى خاص لأديبات الجماعات التي تقول لنصارها " إن طاعة هذه الأرض سوف يلتصق نهايتهم بلمرة السيف فقط " .

ولناخذ على سبيل المثال حالة نادي شودة الذي يحصل نفس اسم بابا الأقباط، ولكن لاتوجد بينهما علاقة، وهو يقيم في " المحرق " . فقد اغتاله مسلحون في ١١ نوفمبر بتهمة مساعدة رجال الشرطة في العثور على أماكن أعضاء الجماعات الإسلامية، وسام وأسامه لجهب الذين اغتيلوا أمام منزلها في " وسم " في ١٣ نوفمبر، أو لجهب عطاالله، يقال من " نوى " ولحق أن يسبع الطعام للإسلاميين ودفع حياته ثمن ذلك في ١٥ سبتمبر.

وتم اغتيال مبخايل فرج في بلدة " أم تسحة " زعم أنه " مسلح " والقوا به في أحد المصارف، وبعد وجود بندقية بجوار جثته على أن الجماعات لم تقتله للحصول على سلاحه . وهناك حالة بشاري مرزوق المدير

المالى لأحد مكاتب التصدير في المنيا الذي اغتيل أثناء قيادته لسيارة حكومية . وجميعهم مسيحيين.

الحكومة ضد المجرمين

وتفضل السلطات في القاهرة أن تتجاهل أن الصراع إسلامي - مسيحي وتتحدث عن الحرب في صعيد مصر على أنها الحكومة ضد الإرهابين، والشرطة ضد المجرمين، وهو بالضبط ما تفعله الحكومة الجزائرية التي تدعى أنها تحارب عصابات مافيا وليس انتفاضة إسلامية . والجراند التي تشير بلحق إلى عمليات القتل غير القانونية والرعب والمرت الجماعي هي جرائم الممارسة فقط، وعندما تولى المحامي عبد الحارث مدني في السجن، تم اعتقال زوجته لفترة وحلوا من الحديث إلى الصحفيين ثم أفرجوا عنها . وهي الآن صامتة مثل العديد من الصحفيين الذين يرغبون في مقابلتها . وقد هدو وزير الداخلية ثلاثة مراسلين أجانب على الأقل بسبب ذلك، وعلى الرغم من أن حقوق الإنسان هي أكثر ماتنادي به السهاسة الخارجية الأمريكية في

الشرق الأوسط إلا أنها لاتساوى شيئا في مصر.

أموال سعودية

ويهتم الرئيس مبارك في أحاديثه العامة إيران والسودان بأنهما وراء العصيان المسلح . ولكن رجال المخابرات في الصعيد يقولون - في السر طمعا - إن أموالا سعودية باتى إلى الجماعات عبر البحر الأحمر، تتسول من تلك الدولة التي تحشد مصر دائما على دورها في السلم العربي، وتخشى من تصادها السكان، فلماذا إذن تظل مصر في مأمن من خطر الثورة الإسلامية . وبالنظر إلى الكارت الشخصي لمتخصص الزيات المحامي الحالي للجماعات الإسلامية أمام المحاكم العسكرية، وعرض المنظمة المصرية لحقوق الإنسان نجد أن ثاني رقم تليفون في الكارت هو جسد ١٧٧٧٧٦٦ (ص ب - ٢٨٧٦ جده) .

فهل لهذا السبب تم اعتقال متتصر الزيات في ١٨ مايو الماضي مع ٣٧ محاميا آخر، بينما كانوا يشاركون في احتجاجات نقابة المحامين ضد موت عبد الحارث مدني، واحتجازه لعدة شهور، بحجة أنه يعمل

عبد الرزمن



كمنسحق بين قيادات الجماعات الإرهابية داخل وخارج مصر . وتم اعتقاله وقاينها وبدون توجيهه أي اتهام له، ثم تم الإخراج عنه في نوفمبر/بكتلة تزارى حوالى ٩٥ جنبها إسرائيلها . وهو الآن أيضا صامت . وتخشى المنظمة المصرية لحقوق الإنسان، والتي تضم معارضين بكرة المتشددين الإسلاميين من أن التصديرات على قبراين مكافحة الإرهاب المصرية قد جرمت الأنشطة التناسية والسياسية.

اجتماعات سرية

قد لعبت الولايات المتحدة مع إسرائيل دورا غربيا في مصر - ونظر إليها عادة بانها الريح الصليبية ضد الإرهاب الإسلامى - فتمتد عاين عقد دبلوماسيون أمريكيون محادثات سرية في القاهرة ضد الجماعات والتفرا في العام الماضى مع أعضاء للجماعة غير الشرعية والمعروفة "الإخوان المسلمين" ولكن مشاركه قد تحول حتى ضد أولئك الإسلاميين القرائين، واعتقل ٢٧ منهم في ٢٢ يناير الماضى، حيث وصلت قوات البوليس إلى منازلهم قبل الفجر وصادرت كتبهم وأوراقهم . ومن بين المعتقلين مهتدى عمره ٨٩ سنة، والأمين الصمام لتنشيط أطباء الاسكتلندية وعصام العربي عضو مجلس الشعب سابقا.

عقاب جماعى

وسجلت تقارير المنظمة المصرية لحقوق الإنسان أحداثا أكثر اضطرابا، مثل اعتقال عائلات بأكملها، العقاب الجماعى، هدم منازل أقارب الشعية فيهم من أعضاء الجماعات، وتدمير محاصيل ومزارع القصب. وإعدامات في القرى يقوم بها رجال من قوات الأمن الخاصة وهناك خط واحد يظهر أكثر من غيره في تقارير المنظمة المصرية لحقوق الإنسان وهو أن الحكومة المصرية وعلى حد قول التقرير لا تهتم بتقاريرها.

العقاب على الطريقة الإسرائيلية

مارست الشرطة المصرية أصلا وحشية ضد منزل عائلة زيدان فقد هدمت جدران المنزل وطمخت الأثاث وجبركت الباقي في الطين . وهدمت منزل أحمد خليفة الذى يعد الآن كومة من الطوب والخشب العظيم، يلتقطه الجيران الذى يقيمون في أحد الأروقة المتفرعة من الطريق المؤدى للقاهرة، وسامتهلعه السلطات هنا بمراتبها في صعيد مصر هو نفس العقاب الجماعى على الطريقة الإسرائيلية.

والوصول إلى "مهراش" شمال ملوى عبر

الطريق السريع تتضح الصورة قأما: فدان يعد فدان من زراعات القصب التى أحرقتها الشرطة خوفا من الجماعات الإسلامية التى يقيم أعضاءها فى حقول القصب، مستخدمينها كغطاء طبيعى لرصد السيارات الحكومية وقطارات الساتلين التى تمر مساء غرب النيل إلى القاهرة، ولأعمال تبدو حقول القصب كرماد، لوحة من الدخان بين حقول السريع والقنوات المتفرعة من النيل لتبدو كشاهد على فشل الحكومة المصرية فى سحق أعدائها الإسلاميين . وفى لبنان وهدمت إسرائيل حقول الموز على جانبى الطريق الرئيسى فى ١٩٨٥ ولتفنى الصب، وقاما كسا بقمطن حاليا حينما يصرون منازل الفلسطينيين المطربين.

أشرف في عيون الشرطة

ويبدو رجال الشرطة المصرية في نقاط التفتيش خائفين فيقفون بجانب عرابتهم المسفحة المحضراء، أسرى الساتلين بالمرور ويبدو، خوفا من الاغتيا، ويبدو الريفيين البسطاء الساذجين كما لو كانوا في حاجة إلى شجاعة جديدة ليتكلموا بعد أن روعتهم وحشية السلطات المصرية، وقال في أحدهم - وهو يرتدى ملابس زرقاء - لقد فعلوا ذلك في الرابع والخامس من يناير، لقد دمروا أولا منزل أحمد خليفة ثم ذهبوا بالدفردوات إلى منزل محمد وعبد السلام زيدان ودمروا ستة منازل في هذا الشارع واعتقلوا ٤٠٠ رجل من كل قرية.

قاديمة العائلات

وجاءت إلينا سيدة متحسسة تحمل طفلا بين ذراعيها وقالت: لقد فعلوا ذلك بدون سابق إنذار والعائلات هنا كلها "سيئة" وكلمة سيئ في صعيد مصر تدل على أنها عائلات دينية محترمة واستمر الرجل ذو الجلباية الزرقاء، حكاية القصة قائلا: إن ابن محمد زيدان كانا مطلوبين فهما من أعضاء الجماعات وكان هناك ابن ثالث ولكنه لم يكن عسكسرا للجماعة الإسلامية وجاءت الشرطة وصوبوا على رأسه أسام أعين والده وكنت واقفا وأرايتهم "وحرك الرجل ذو الجلباية الزرقاء ذراعا قائلا لقد كان ذلك منذ ٣٥ يوما مضت وكسر قرنه لقد قتله وكانوا يرتدون زيهم الرسمى عن أن لم يفعل شيئا.

عقاب عائلات الأشخاص المطلوبين هو ظاهرة جديدة في صعيد مصر . ولكن ليس هناك شيء غريب عن شهادات الرجال وفى حقول القصب حولى أحضر البوليس

المصرية انتصارات كبيرة ضد الجماعات ولكن الجيث التي تنقل إلى كبرى تظهر بها إصابات بالرصاص فى الظهر ولحت الأكلاب وأحيانا مؤخرة لرأس، وإختصار بسمونه الإعدام وهاجمت مجموعات حقن الإنسان لمدة شهر مايسى ممارك الهادق "وهي أكثر قليلا من غارات الالتيان التي تتنقل منازل الشيعية بهم.

وأحيانا تبدو عمليات القتل كما لو كانت متعمدة فعلى سبيل المثال "فرلى تروني" اغتال البوليس في حقول القصب خارج ملوى فى ١٥ سبتمبر . وقال والده محمد إغضاء مظنات حقوق الإنسان أنه قد تم اغتياله إلى ثلاثة الفتي بعدما بشهر للتعرف على جثة ابنه وقال أنه كانت هناك فتحات بالرصاص الرأس والرقبة وأن البوليس قد هدده بأنه سيقلى تقبل الصلوات اليه يندلج المجتهدو.

ويعد هذا الحادث بثلاثة أسابيع تم اغتيال ثمانية من أعضاء الجماعات فى حقول القصب خارج ملوى . وقال شاهد عيان لاهى منظمة حقوق الإنسان أن الثمانية كانوا معتقلين، ولكنهم اقتيدوا إلى حقول القصب لإعدامهم وقول القويون أنهم جميعا قد أصيبوا فى الجمجمة كتم اغتيال رجب مسعد أحد أعضاء الجماعات بعد إطلاق سراحه بمشتر ساعات، وتم اغتياله هل سلط منزله.

الرهائن

ويقتل البوليس الآن عائلات الشعية ليسهم ويحفظ بهم كرهائن حتى يسلم الشخص المطلوب نفسه، ويقول أحد رجال الأعمال من ملوى أنه "أحيانا يأخذون السيدات والزعب هنا ورتين يومى لهم فقط في مراكز البوليس الكبيرة ولكن حتى في أصغر أقسام الشرطة والمادة العادية هي القتل، واستجواب المواطنين معصوى الإيعن والصعق بالكسرية أو خلف الأذن وفى أماكن محساسة أخرى من الجند . والرجب أيضا هو هدم منازل آباء أعضاء الجماعات . قد بدأ هذا بعد اغتيال سبعة من رجال الشرطة عقب إخراجهم من المبنى باص وفى ٢٢ يناير الماضى ومن بين المعتقلين في الأشهر الماضية ٢٧ شابا لا تتجاوز أعمارهم ١٧ سنة وتم تدمير صالون على ٢٢ منزلا فى "مهراش" والروضة ودندة وملوى.

اتفاق المجتلمان

وقبل أن تبدأ الممارك هنا فى الصيغ الماضى كان هناك تنسيق بين الجماعات والشرطة على حد قول رجل الأعمال ولكنه كان نوعا من اتفاق المجتلمان ولكنه إنتهى الآن.

جولة كريستوفر في الشرق الأوسط الآمال القليلة والنجاحات الأقل

استكمالاً لما بدأ في قمة القاهرة التي شاركهم فيها أسحق رابين ، وترتيباً لجولة كريستوفر لإزالة العقبات التي تعترضها ولكن بعدما من هذه القمة الفلاحية ، فإن قمة القاهرة والاجتماع الوزاري الذي أعقبها وشارك فيه الجانب الأمريكي يعد بمثابة تجهيز لجولة كريستوفر لإحداث اختراق في ملفات المنطقة الشائكة برمتها بما فيها العلاقة على المسار الفلسطيني- الإسرائيلي والحلال المصري- الإسرائيلي حول التوقيع على معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية.

وقمة القاهرة التي جاء أثر قمة "عروبية" الطابع سبقتها في قمة الاسكندرية أثارت العديد من التساؤلات حول جدواها على مستوى إحداث تقدم حقيقي في عملية السلام لصالح الأطراف العربية المشاركة في العملية ، إضافة إلى اعتراضات القاهرة عليها "قمة القاهرة" ، وإذا كنا نعتبرها جزءاً من عملية الإعداد لجولة ناجحة للوزير الأمريكي في المنطقة فإن هناك من يعتبرها إما تلبية لمتطلبات وقعت على الحكومة المصرية وإما عملية استدرج لا يتم الانتباه لها ، حيث تعد هذه القمة أول مشاركة إسرائيلية في مؤتمرات القومية ، ولذلك وصفها شيمون بيريز أنها حققت لإسرائيل مكاسب كبيرة دون تنازلات ، بينما الجانب المصري وافق في هذه القمة أربها على مفاوضات سابقة أثناء قمة الدار البيضاء. عندما رفض اقتراح أمريكي إسرائيلي تركي يبحث ترتيبات الأمن الاقليمي فيما بعد السلام.

* زيارة أولبرايت لسلطنة عمان

زعم أن هذه الزيارة كانت ضمن جولة أولبرايت مندوبة الولايات المتحدة الأمريكية في مجلس الأمن في كل الدول الأعضاء في مجلس الأمن ، إلا أنها تدخل أيضاً ضمن الإعداد لجولة كريستوفر في منطقة الشرق الأوسط إذ أن أحمد دوافع الجولة هو الحصول من دول الخليج على صك موافقة على التوجه الأمريكي المتشدد تجاه العقوبات الدولية المفروضة على العراق ، إضافة إلى دعم التوجه الخليجى أو القروشى على دول الخليج لرفع المخاطرة الاقتصادية العربية عن إسرائيل.

ولها حصلت أولبرايت مسبقاً على صرت عمان لهذا لفتا. العقوبات على العراق.

* "إشاعة" الاتصال بالعراق للضغط على سوريا

قبل جولة كريستوفر بأيام أذاعت إذاعة

صلاح صابر

ولكن رغم ذلك التشاؤم الواسع في نجاح الجولة فقد سبقها العديد من الخطوات والإجراءات التي قامت بها أمريكا من ناحية وإسرائيل من ناحية أخرى أملاً في الحصول على بعض النجاح لكليهما من الجولة قبل تنفيذه. ولعل أبرز ما يذكر في ذلك مايلي:

* الحصار البحري للصناعات اللبنانية:

قبل "الجولة" بأسبوعين زار أسحاق رابين رئيس الوزراء الإسرائيلي جنوب لبنان وقال أنه سيكون هناك سلام مع لبنان خلال تسعة أشهر ، ثم جاء ، بعد ذلك حصار إسرائيل البحري لموانئ صور وصيدا والناصور في لبنان في ظل استمرار الاحتلال الإسرائيلي لجزء من جنوب لبنان ، وهذا التصعيد الإسرائيلي الجديد إضافة للتحذير القديم والمستمر لها بنصب ضرس الضغوط التي تقارصها إسرائيل على لبنان لإجبار الأخيرة على الدخول في حوار معها وكأنها تريد إحياء اتفاق ١٧ مايو عام ١٩٨٣ الذي تسفحه القوى الوطنية في لبنان بمساعدة سورية ، وربما كانت إسرائيل تراهن هنا على الرغبة اللبنانية في تقوية عملية الإصرار وجلب الاستثمارات الأجنبية التي لا تأتي بقرعة عالم يتم عمل تسوية مع إسرائيل . ولهذا فقد تخلت إسرائيل عن حصار الموانئ اللبنانية يطلب أمريكي تصدير أمام العالم وكأنها تقدم التسهيلات لنجاح جولة كريستوفر وتسى أنها البادئة بعملية التصعيد أساساً.

* قمة القاهرة والاجتماع الوزاري:

قبل مجيء كريستوفر للمنطقة تحدثت بعض المصادر السياسية في القاهرة عن عقد قمة ثلاثية (مبارك - الحسين - عرفات)

لأن هذه الجولة لوزير الخارجية الأمريكي وارن كريستوفر في الشرق الأوسط تتعلق بقضايا كبرى وشائكة ، ولأن هذه القضايا رغم عدم جدتها - من ناحية الشكل - قد أكتسبت الأحدث والتطورات الخلاقة درجة كبيرة من التشابك نعت عنها إطار التفاؤل في الحل كما كان يرى البعض في الدخول في عملية التسوية السلمية انطلاقاً من منبره ثم التوصل إلى إعلان المبادئ الفلسطينية - الإسرائيلية بعد أواسط في عام ١٩٩٣ لكل ذلك فإن هذه الجولة الجديدة لكريستوفر لا يتوقع نجاحها أو قدرة الوزير الأمريكي على تقديم الجديد بما يحرك المياه الراكدة في بحيرات هذه القضايا.

وربما دعم هذه الرؤية الأوضاع الماخذية في أمريكا وإسرائيل وسوريا على وجه التحديد ، فالحكومة الإسرائيلية لليلة على انتخابات عامة ترغب في كسبها لن تتمتع بدعم الأنشين إذا ما قبلت تنازلات مهمة متعلقة بالأرض وسيفوز في هذه الحالة حزب "الليكود" المتشدد حسب استبيانات الرأي الإسرائيلية ، كما أن الأمريكيين يمانون انقساماً قوياً بين الإدارة الديمقراطية والكثير من الجمهوريين وفي ظل ضعف الأولى وعجزها عن ممارسة الضغوط بعيداً عن إدارة الكونغرس فإن الآمال في تحقيق كريستوفر لنجاح صا - وإن كان صبوراً لدى الإدارة الأمريكية - يعد ضئيلاً للغاية ومنها فهناك من يعتقد أن جولة كريستوفر في المنطقة ستكون الجولة الأخيرة له ومن هؤلاء يروجون أن ساذة تاريخ الشرق الأوسط في جامعة أكسفورد.

أما الجانب السوري المعروف ببعده عن التصريح والانفراج فإنه في مثل هذه الظروف لا يوجد ما يرضيه لتقديم أي تنازلات خاصة وهو يرى المصلحة الإسرائيلية لتفكيك ما تائق عليه مع الفلسطينيين في أواسط ثم القاهرة ، ويرى أيضاً الأردن وهي لم تحصل على الأموال التي كانت ترجوها جراء سرعة توقيعها على المعاهدة السلمية مع إسرائيل.

الجيش الاسرائيلي خبراً - بعد مرور على الرقابة التي اجازته طبعاً - مفاده أن الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات أبلغ وزير الشرطة الاسرائيلي موشى شاحال أن العراق راقب في تحسين العلاقات مع إسرائيل ، وأنه لم يتخذ موقفاً معادياً منها منذ توقيع الاتفاقيات مع الفلسطينيين والقصر من هذا الجهر العلني بالورقة العراقية للضغط على سوريا أملاً في إجبارها على تقديم تنازلات مع جولة كريستوفر ، وكذلك إثارة قلق مصر بإثارة احتمال إقامة علاقات عربية اسرائيلية عبر الأردن لإقامة خط فاصل بين سوريا ومصر.

في الجولة .. ست محطات وخمس ملفات

تعد هذه الجولة في الجولة الثامنة لوزير الخارجية الأمريكي كريستوفر حسيماً يرى المحللين والناظرين الثانية عشرة له في المنطقة حسيماً صرح بنلسه في القاهرة بعد لقائه مع الرئيس مبارك . وقد بدأ بالقاهرة في يوم ٩ من شهر مارس وانتقل بعد ذلك إلى عدة مدن وعراصم في القتالي عمان ، تل أبيب ، جدة ، غزة ، دمشق ، وقد تمصر خلال مسروره على هذه المحطات الست إلى خمس ملفات أو قضايا حامة دون تحقيق نجاح في معظمها وهذه الملفات / القضايا هي:

- الخلاف النووي بين مصر وإسرائيل

قبل قدوم كريستوفر للمنطقة وصل " الخلاف النووي " بين مصر وإسرائيل إلى درجة كبيرة حيث صدرت الإذاعة الاسرائيلية لنس معلومات خاطئة مغلوطة عن الموقف المصري استغرقت إصدار الخارجية المصرية لبيان في ١٩٩٥/٢/٢٥ أكدت فيه قسكها بمرقها القاضي بربط تجديد مصر على المعاهدة بالتوقيع الاسرائيلي عليها في أن اللزوم - حسيماً صرح مصدر موسي أنذاك - يتخلق بالأن الاقليمي في عمومه إزاء وجود برنامج نووي إسرائيلي مشترك في أنماده ، كما أن هذا أبعاداً ثنائية باعتبار إسرائيل الجار المباشر لمصر ، إضافة لرغبة مصر الهام على إيران بدلا من إسرائيل في مسألة امتلاك أيهما للسلاح النووي إذ أن الدليل على استهلاك إيران للسلاح النووي غير متوفر عكس توافر ذلك بالنسبة لإسرائيل .

ولهذا فبعد محادثات بين مبارك وكريستوفر في القاهرة استمرت ٤٥ دقيقة لم يخرج الوزير الأمريكي في حل الخلاف المصري الاستراتيجي حول هذا الموضوع وأكد كريستوفر أن مد سرمان المعاهدة بعد ذا

أولوية قصوى بالنسبة للولايات المتحدة وأن الأخيرة تعمل بقوة من أجل تجديد هذا إلى أجل غير مسمى ، وأشار إلى أن الرئيس مبارك يتخضم ذلك وأن الولايات المتحدة بدورها تتخضم قلق مصر في هذه القضية وأن الجانبين اتفقا على تطبيق استراتيجيتين هما : " أن معاهدة على الانتشار النووي على أساس أنها محور وكيزة للأمن والسلام في العالم وأن هناك اتفاقاً على ضرورة مناقشة هذا الموضوع ثنائياً بشكل يتسم بالصرامة بحيث يقدم الشراكة المصرية الأمريكية " ولم يحدد كريستوفر تأييداً للرؤية المصرية الجديدة التي تقبل فيها مصر لجذور زمني لتقدم خلال إسرائيل بالتحلل من أسلحتها النووية.

٥ المسار السوري - الاسرائيلي:

حملت سوريا بقوة الجانب الاسرائيلي فشل المفاوضات (باراك - الشهابي) التي كانت فرصة من وجهة نظر سوريا لفرص بموافقة الأخيرة على إرسال العماد الشهابي أحد أبرز المصلين السوريين ، وعدم التعامل الجدي مع تلك الخطوة والاكتماف بتقديم مقترحات معينة اعتبرها الطرف السوري لاتصبر إلا عن طرف يرفض السلام ويرغب في اليمين على النقطه.

ولذلك فقد أقدمت سوريا بدورها على اتخاذ خطوة سبقت جولة كريستوفر لها دلالتها حيث التقى عبد الحليم خدام مع تايك حرافقة (في الوقت الذي يحمل الشقائي زعيم الجهاد الفلسطيني من خلال سوريا) وهو ما يعني دعم سوريا للمعارضة الفلسطينية لاتفاق أوسلو الذي لالتزم به إسرائيل نفسها . وفي محادثات الأسد - كريستوفر طرحت نقطتين أساسيتين هما : استئناف المفاوضات الثنائية بين المفسرين السوري ولید المعلم والإسرائيلي إيتسهار رابنيتشيتش ، والتهديدات الأمنية في الجولان بين السوريين والاسرائيليين وكان الهدف الأمريكي من ذلك هو استئناف الاتصالات وعدم توقفه لفترة أطول أملاً في توليت الفرصة على معارضي التمسرية السلمية وعدم توسيع الهوة بين الاسرائيليين والسوريين.

وفي هذا الإطار ذكرت مصادر أمركية أن الجنرال دانيال كريسمان المستشار القرب من رئيس أركان القوات الأمريكية جسون شاليكاشفيل والذي وافق كريستوفر في جولتين سوف يزور هيئة الجولان من الجهة السورية لتعديد كيفية الانسحاب الاسرائيلي . وأعلنت مصادر أمركية قوما بعد عن

اتفاق الجانبين السوري والإسرائيلي على استكمال المفاوضات.

إلا أن السوريين أكدوا تسكهم بالمطالبة بانسحاب كامل من الجولان قبل القيام بأي خطوة في مجال تطبيع العلاقات لاتعادم الثقة في إسرائيل ، وشدد السوريون على أهمية " مضمين المحادثات مع الاسرائيليين وليس المحادثات ذاتها .

٥ المسار الفلسطيني وقضايا أخرى:

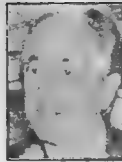
في غزة ناقش كريستوفر مع عرفات قضايا اقتصادية تتعلق بمواجهة أزمة السلطة الوطنية الفلسطينية اقتصادياً ، وأكد كريستوفر على أهمية دعم الإدارة الأمريكية الجانب الفلسطيني بالسعي لدى الدول المانحة لتقديم المساعدات.

بينما الأمر الأخرى المتعلقة بدفع المسار الفلسطيني الإسرائيلي فقد جاءت قول " الجولة " باجتماع عرفات مع بيرز والأعلان عن أن الاتفاق حول إعادة انتشار القوات الاسرائيلية ستكون في أول يوليو القادم وكذلك تجديد موعد للاتخابات.

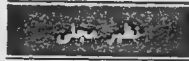
وإن كان بيرز قد قرر ثلاثة أشياء لن تجعلها إسرائيل قبل الانتخابات العامة في ١٩٩٦/١٠ وهي: عدم التعامل مع مشروع القدس ، وعدم التعامل مع تجديد حدود دائمة وعدم مناقشة المستوطنات . وهي إشارة واضحة إلى عيشية القول بتقديم مالي المسار الفلسطيني الإسرائيلي.

وفي عمان العاصمة الأردنية ركزت محادثات كريستوفر مع الملك حسين على الدين الأردنية والبحث في سبيل تذليل الصعوبات التي تعترض طريق الفاء . هذه الدين خاصة وأن الأردن تأمل أن يشطب الكومبريس الأمريكي . ٢٢٥ مليون دولار من هذه الدين هذا العام وحوالي ٢٢٥ مليون دولار أخرى في العام القادم.

أما محطة كريستوفر الخليجية (جدة) فقد كان هدفها الأساسي الحصول على موافقة خليجية كاملة على توجه أمريكا بإبقاء المعنويات الدولية على العراق . خاصة وأن مجلس الأمن كان ينظر في هذا الموضوع آنذاك وأن وزير الخارجية العراقي كان يجري محادثات في هذا الشأن في دولين أمريكيتين هما قطر وعمان للتصافيتين مع العراق . أما الهدف الثاني فكان دفع الدول الخليجية لاتفاء مقاطعتها الاقتصادية لإسرائيل ، ويبدو أن كريستوفر حقق في جدة نجاحاً فشله في تحقيقه في محطات أخرى .



صراع الرفيقين اللدودين فى إسرائيل



رسالة حيفا

وبالأساس بالعسكريين بل هناك من يقول أن راينين يقسم حكومة ظل إلى جانيه ، هي الحكومة الفعلية عناصرها الأساسية من العسكريين والبلقية خبراء ومعتقون معدودون على قرى اليسين داخل حزب العمل ، هم الذين يحددون خطراته ومؤثرين عليه . منهم يختار مندوبيه إلى مفاوضات السلام .

وإن سالت المفاوضات الفلسطينية هن ذلك يقولون لكان رجال راينين فى المفاوضات خبراء فى الماطلة والعزيق وقد تولد لديهم الانتطباع بأن راينين بات نادوا على العملية السلمية ويسمى للتراجع . وزير القضاء فى السلطة الوطنية الفلسطينية ، فريح أبو مدين ، يقول : " راينين يخرب على العملية السلمية " وأما بيرس - يضيف - فهو يريد تمجيد العملية السلمية لكنه لا يقر ولا يوتر .

وروى أبو مدين حادثة وقعت له مع بيرس فى واشنطن قبل بضعة أشهر . فقال : تفاوتنا حول موضوع ما ، وإذا بالسيد بيرس يقترح إصدار بيان مشترك بما اتفقتا عليه . فسأنته : وهل بإمكانك التوقيع على اتفاق نهائى ؟ تعال لأمضك على بحثنا فإذا لم توافق على الاتفاق بالتفصيل لا يكون اتفاقا . فنهضك بيرس وأجابنى : هل الرفع عندكم أفضل ؟ أنتم أيضا يجب أن يرك كل شئ عن طريق ياسر عرفات . فقلت له : الفرق بيننا وبينكم أننا نعتز بوضعنا لكن أنتم تحكمكم فرد واحد . هو راينين ، وتزعصون أن عندكم ديمقراطية .

ومعل هذا الكلام يضيق إنسانا مثل بيرس . فهو الشلف المتحضر ، رجل السياسة صاحب الحلم الكبير والأفق الواسع ، يعرف أن ما قاله السيد الرئيس الفلسطينى صحيح منذ بالية وهو لا يقبله ولا يتحمله . لكنه يقاومه بهوء . بيرس أخذ على عاتقه أن يتقو هذه المنطقة إلى سلام ، ونظريته بهذا الشأن معروفة ، وإنه مصمم على حل هذا هو أنسب طرق فى تاريخ المنطقة لتحقيق السلام الذى يخدم مصلحة الجميع دين أن يضر بمصالح إسرائيل . فالعالم بعد انهيار الاتحاد السوفيتى وبعد حرب الخليج العالمية أصبح محكما بقره واحدة هى الولايات المتحدة والولايات المتحدة هى حليف إسرائيل الاستراتيجى . ومهما تكن هناك دول عربية لها علاقات مع أمريكا ، فإن الأنظمة ستبقى لإسرائيل " فهي النظام الثابت والعنصر الدائم فى الديمقراطية وهى الدولة القوية .. الخ . فى هذا الوضع يمكن تحقيق السلام الذى يحقق

والسقى بيرس راينين وأخبره بما جرى . لكن دراسة الأمر كانت على مستوى آخر فى وزارة الخارجية ، مع نائبه بيرس بيلين وكبار موظفيه ، ثم مع مجموعة المقربين الذين يدرهم بيرس إلى بيته فى كل يوم جمعة . ويجب أن نتقدم على المسار الفلسطينى - قال بيرس - ولا فإن كل ماينتهى مستبعد .

جنار المسكر

كما هو معروف ، أن رئيس الحكومة إسحاق راينين كان وزع العمل بينه وبين بيرس ، منذ بداية المفاوضات السلمية ، المفاوضات المتصيدة الأطراف أعطاها لبيرس ، وهو وطاقته السياسى والعسكرى أخذ المفاوضات الثنائية .

والسبب فى ذلك ، أن راينين لا يثق ببيرس ولا يقره ثقته بمحضره فى خبراته وعشرته ،

فى اللقاء الأخير الذى عقد بين وزيرى الخارجية ، عمرو موسى وشمعون بيرس ، فى واشنطن .. اجتمع النقاش واشتد للغاية لدرجة أن الوزير المصرى صرخ فى وجه زميله الإسرائيلى ، لم يكن الخلاف بينهما فقط حول موضوع التسليح النووى ورفض مصر التوقيع على اتفاقية نزع السلاح النووى من منطقة الشرق الأوسط طالما أن إسرائيل لم توافق بل هذه المرة كان الخلاف حول موضوع مفاوضات السلام . وصرخ موسى فى وجه بيرس قائلا :

اعلموا أن المشكلة الفلسطينية هي لب النزاع بدون حلها الجذرى وعلى أساس مرض للشعب الفلسطينى ، لن يتحقق أى سلام آخر . ولن يكون هناك أى تطبيع بينكم وبين العالم العربى . ولو مع الشعب المصرى .. ألا تركزون سافا يحدث ؟ هاهى ١٥ سنة مورت على السلام مع مصر . فلماذا تعتقد أن الملايين لا يأتون إلى إسرائيل ؟ نحن أيضا لا ندهم أن نذهبوا ، طالما أن السلام الشامل لم يتحقق . حتى السلام مع سوريا صيرط بالسلام مع الفلسطينيين . تقدروا هنا يحصل تقدم هناك .

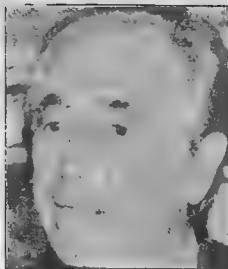
شمعون بيرس لم يسكت بالطبع . ورد هو بالمثل واتهم مصر بتشجيع الأطراف العربية الأخرى على التصنت . ويتحريض الدول العربية على إبطاء التطبيع أو حتى الامتناع عنه .

لكنه حينما عايد إلى البلاد ، شعر أن ما قاله الوزير المصرى يستحق التفكير والعلاج ، خصوصا وأنه يسمح كلاما شويها من أوساط أخرى عربية وأوروبية وفلسطينية . لكن أن يأتى الكلام من مصر ويحضره أمريكى ويهله اللهجة .. هذا شئ جديد .

رايخ



بهرس



في النصب الأول - رئيس الأركان لأوسل
سليرا لإسرائيل في الولايات المتحدة وبعد
حرب أكتوبر ١٩٧٣ كان حزب العمل الذي
حكم إسرائيل منذ قيامها وقبل ذلك حكم
الحركة الصهيونية وتنظيماتها ، في وضع
انهيار ، فقد اتهم بالقساد الكبير جداً ، وقائع
الحرب الباردة والحسابات الفادحة وكاد يسقط
عن الحكم واضطرت القيادة القديمة إلى التفتي
واخلاء المراكز القيادية لعناصر شابة " غير
ملوثة بالقساد " فتم جلب راين من واشنطن
ليترأس الحكومة.

وراين حطى بمكانته مميزة برصده رئيس
الأركان الذي قاد الجيش الإسرائيلي في
انتصارات حرب حزيران ١٩٦٧ ، ومع أنه كان
الحل الأمثل لإتقاء العمل ، فقد حاربه من
داخل حربه كادر القيادات الشابة لنشأت
وتطورت في العمل الحزبي وعلى رأس هؤلاء
شمعون بهرس ، فهو الشاب الذي عمل إلى
جانب دافيد بن غوريون وليف أشكول ونسب
له الهجازات كبرى في العمل السياسي
والعسكري ، أبرزها إقامة المفاعل النووي في
ديمونة ، وقد شعر بالثقل جراء أنزاع قائد
عسكري للحزب بالظلمة.

ومن هنا تطور الصراع بينهما على
السلطة. وقد استعاد بهرس من سقوط حكومة
راين سنة ١٩٧٧ ، وصعد الليكود إلى
الحكم ، وفتح بهرس في إسقاط راين عن
قيادة الحزب أيضاً ، وبلغ الصراع أوجها عندما
أصدر كل منهما كتاباً يهاجم فيه الآخر ويكيل
إليه الاتهامات السياسية والشخصية.
وخلاف هذه السنوات جرت عدة جولات

مضانات أمنية جادة لإسرائيل . وظل يتحدث
عن المستقبل الذي يتصوره لأطفالنا
ولأحفادكم . أن يعيشوا بلا حروب . أن
يتنافسوا على العقول التكنولوجية . على
الأموال الثقافية . على البناء والحجر . لكن
بهرس يعرف أن مشكلته الأساسية في بعده
وليس في العالم العربي . فالعرب في نهاية
المطاف ، لا يريدون شيئاً سوى حقوقهم
المشروعة والقرى الظلمية التي ترفض السلام
وتقاومه بالإرهاب . هي قوى معادية ليس
فقط للسلام بل لكل السات الحضارية
للمجتمع الإنساني . فهي معادية للديمقراطية
. ومعادية لحرية الرأي والفكر . ومعادية
للإنسان ومعادية لنظام العدالة الاجتماعية .
أي أنها معادية لشعبها العربي وتقدمه أكثر
من عدائتها لأي شيء آخر . ولاشك في أن
تحقيق السلام العادل والشامل في الشرق
الأوسط ، سيضعف تلك القوى إلى حد كبير.

طرح تاريخي محسم

مشكلة بهرس إذن داخل إسرائيل .
هنا يواجه الحقيقة المرة أن راين هو "
الكل بالكل " وعليه أن يعرف كيف يجد
الطريق إلى قلبه.
كل متفتح للحياة السياسية والحزبية في
إسرائيل يعرف أن صراعاً تاريخياً يدور ما بين
راين وبهرس ، منذ بداية فارستوجا الحياة
السياسية في القيادة.
راين دخل الحياة السياسية في مطلع
السبعينيات ، عندما أنزى خدمته العسكرية

المطالب الإسرائيلية الأساسية:

• الاعتراف بإسرائيل ، وهذا تم عليها من
الجميع .

• التوقيع على اتفاقيات سلام .

• ضمانات الأمن لإسرائيل ، بموجب
اتفاقيات وبموجب إشراف أمريكي مباشر .

• إلقاء المقاطعة العربية وفتح الطريق
لتطبيع كامل ، بين إسرائيل وجميع الدول
العربية .

• إقامة أساس اقتصادي تنموي لتجديت
السلام ، وذلك عن طريق المشاريع الاقتصادية
المشتركة .

ومن هنا جاء مشروع بهرس لشرق أوسط
جديد ، الذي يعتمد طريقة شيك كل دول
المنطقة بروابط اقتصادية مع بعضها البعض ،
بحيث لا يعود مناسباً إقامة حروب وعداوات
فيما بينها ، ويظل أربح لها وضع السلام.

وحتى الآن كان بهرس يتضابق من اتهام
عربي له بأنه يتآمر مع راين لتفرض سلام
مشوه على العرب ، وبأن السلام الذي يسعى
إليه هو سلام المتعصبين بأنه يريد استبدال
الاحتلال العسكري باحتلال (غزو) اقتصادي
. فقد نصت بهرس إلى الاتهامات العربية
جونا ورد عليها بطريقة فاضحة أ ن مشروعه
للشرق الأوسط مبني على التعاون المشترك
والقوائد المتبادلة . وإن السلام الذي يريده هو
السلام الذي يتضمن للعرب وإسرائيل مفرقهما
وأمنهما . وبلغ إلى أنه لا يعارض قيام دولة
فلسطينية إلى جانب إسرائيل ، إذا ضمن أنها
لا تسيء لإسرائيل من الناحية الأمنية . وأنه يؤيد
انتساعها كاملاً من الجولان بشرط وضع

من الصراع بينهما وقد انتهت عندما تمكن رابين من هزم بيرس ، فسهل الانتخابات الأخيرة للكنيست (سنة ١٩٩٤) . وتقول انتيت ، لأن بيرس سلم بقيادة رابين ويات على يقين من أنه لن يستطيع هزيمه داخل الحزب ، وأن الوسيلة الوحيدة لتفوز حزب العمل بالسلطة بأن يجد وسيلة للتصالح مع رابين . وهذا لن يحمي إلا إذا كان رابين رقم واحد وبيرس رقم اثنين .

وعندما أدرك بيرس هذه الحقيقة راح يفتش عن السبل للتأثير على سياسة رابين ، ولجئ بيرس في دفع رابين إلى العملية السلمية والاعتراف بتنظمة المستعمر الفلسطيني والمراقبة على الانسحاب من معظم الأراضي العربية المحتلة مقابل ضمانات أمنية . ورأى في هذه المهمة دورا تاريخيا يحق له لنفسه ولبلاده ، مع الثقة بأن العالم لن يطعن أحده وسيجعل له هذا الدور وهكنا كان حتى الآن .

ولذا كان رابين قد شقيق الحناق على بيرس في بداية المفاوضات وحصره في المفاوضات المتعددة الأطراف ، فقد لجح بيرس في التسلل إلى المفاوضات الثنائية أيضا . ويات ملازما رابين فيها . بل إنه أرسل إلى الرئيس عرفيات حل عسك من المشاكل المستعصية أكثر من مرة . لكن الأمر ظل يد رابين . وهو الذي يقصر متى يفرض بيرس وكيف وبأي حجم وفي عدة أحيان كان رابين يرفض ما توصل إليه بيرس مع الفلسطينيين ، ليس بسبب لأنه لم يفتحن ، بل لأنه يريد أن يذكر بيرس دائما أنه صاحب القرار الأول والأخير .

يبدو أن الوضع اليوم بات يهدد المسيرة السلمية تماما . إذ أن رابين يحاول في تطبيق اتفاق أوسلو والقاهرة بشكل فظ . الانتخابات التي كان من المفروض أن تجرى في تموز / يوليو ١٩٩٤ حسب الاتفاق ، لم تجر حتى اليوم . لأن رابين يرفض تطبيق البند القاضى بانسحاب كسراته من داخل المدن والفقرى الفلسطينية . السجون . المفروض أن يكونوا قد تحرروا ، مازال تسعة آلاف منهم يمحرون في السجون الإسرائيلية . المستوطنات التي كان من المفروض أن لا يمتد بناء إضافي فيها مازالت تتسع ويزداد فيها البناء . وهذا عدا عن الحصار المضروب حول غزة وأريحا وعدا عن التوسع الاستيطاني الاستقرازي في القدس العربية المحتلة وعدا عن الممارسات اليومية ، القتل والتعذيب والاضطهاد وعدم



اليهود .. الخ .

وفرق كل هذا ، يشترط الإرهاب لتتابع المسيرة . وهذا شرط غريب وغير العادي للإرهاب كان قاتما قبل مسيرة السلام ونفذ في الوقت الذي كان فيه رابين " ولي الأمر " في المناطق المحتلة ، ولم يستطيع منه واليوم مازالت الضفة الغربية يهدد رابين ومنها بالأساس تتلظى عمليات مقاومة الاحتلال ، وبينها عمليات إرهابية تطال المدنيين ولكن بالمقابل توجد عمليات إرهابية يهودية أيضا .. بعضها من المستوطنين المتطرفين ولكن هناك أيضا أعمال إرهاب تقوم بها أجهزة الاحتلال نفسه ، العملاء والمستعمرون وقوات الجيش والمخابرات .

لذلك ، شمر الجميع أن رابين يضع شروطا تميزه لمرحلة مسيرة السلام . وهذه من ذلك هو : مناقشة قرى البصين الإسرائيلية المعادية لهذه المسيرة تماما والظهور أمام الناس أنه أشد منها حرصا " على الأمن " .

فهو يهزم أن يفتح حزب العمل في الانتخابات كان بفضل رئاسته للحزب ولقائمه مرشحيه . ويدرك أن رصيده الأساسي يكمن في تاريخه العسكري وفي ثقة الناس بأنه ليس يساريا ولا يمينيا ، بل وسط ليهربي حازم وصارم (يهيمسا ينظر إلى بيرس على أنه يساري ..) ويرى أن يحافظ على هويته هذه حتى يفرز في الانتخابات القادمة .

وما يحاول أن يقيم بيرس به هو أن تتأرجح المفاوضات السلمية ، حتى الآن ، ليست مقنعة للناس . فإذا استمر هذا الرضع متفصر الانتخابات القادمة حتما . والحل الوحيد أماتا هو الاندفاع قديما في مسيرة السلام ، لاتنها المفاوضات مع الفلسطينيين وكذلك مع سوريا ولبنان . وتعرض الانتخابات القادمة وفي هذا انجاز السلام ، فمهما يكن الشمن باهنا ، سيقبلنا الناس وعطرونا الشقة ،

بفضل الانجاز الأكبر - تحقيق السلام .

وهنا دخل بيرس في صراع مع حكومة الظل عند رابين . فهؤلاء يفتخرون المحافظة على الطابع اليميني العسكري الصارم لقائدهم ويعتقدون أن المواطنين صوتوا لحزب العمل بسبب فشل سياسة اليكود الاقتصادية - الاجتماعية وحشون رابين على الاهتمام بهذا الموضوع أكثر من أي موضوع آخر . فالمواطن يهيمه جيبه أولا ، وبعد ذلك يأتي أمنه وحياته .

وبالفعل ، يلاحظ أن الموضع الاقتصادي يستحوذ على اهتمامات رابين . وفي العشرين من آذار / مارس خرج بخطبة اقتصادية اعتبرها المراهبون " خطة انتدابية " السنة القادمة سنة انتخابات برلمانية في إسرائيل) تقضى بتخفيض الضرائب بنسبة ٥ % عن المراهبون وتخفيض الفوائد البنكية بنسبة ١٥ % . ومع أن هاتين الخطوتين وافقتهما خطة مضرة بالمراهبون وملائمة لشروط صندوق النقد الدولي (تخفيض ميزانية الدولة على حساب الخدمات المقدمة للمراهبون وتخفيض عدد المصالحين في مؤسسات الدولة بنسبة ٢ %) ، إلا أن الانطباع العام الذي تركه كان إيجابيا .

وتعود إلى رابين الذي لا يفر من الناس طريعا ، فقد وافق على رؤية الموضوع الاقتصادي الجديدي أساسيا ، ودعم البرنامج الاقتصادي الجديدي بكل قوته . ولم يتأخر أيضا في الماضي ، في تأييد خطوات اقتصادية أخرى . لكنه أكد أن الموضوع الاقتصادي وحده لن يكتفي وأضاح : السلام سيجلب رخاء اقتصاديا أكبر وسيفتح باب الأمل لكل الياثسين من الأوضاع الاقتصادية الصعبة التي تركها لنا اليكود .

والصراع مستمر طويلا ..

وشمعون بيرس يعتقد أنه لجح في إنقاذ رابين يفرسقه . لذلك خرج تصريح (أ٤١٩٩٥/٣/١٩) لوسائل الإعلام قال فيه : لهذه الحكومة حتى ٢٠ شهرا سوف تشغلا كلها من أجل إنهاء مفاوضات السلام وستنتج في ذلك .

لكن الفلسطينيين والسوريين واللبنانيين ، المجالين على طاولة المفاوضات لا يشعرون بذلك بهذا .

الماضي وأثناء انعقاد جولة المفاوضات البعثة حتى الآن حول النازحين.

القضية الأولى ، تتعلق بالتهجيرات الجارية من جانب السلطات العسكرية الإسرائيلية لطرد ٢٦ ألف مواطن فلسطيني خارج الضفة الغربية ، فقد بدأت أجهزة الشرطة والمخابرات الإسرائيلية بحملة واسعة من الاستدعاءات والمهاصات بهذا عن هؤلاء المواطنين ووضعت قوائم مفصلة بأسمائهم من أجل البدء بحملة واسعة من أجل إلقاء القبض عليهم وترحيلهم . وتدعى السلطات الإسرائيلية بأن جميع الذين سمع طردهم جاءوا إلى الضفة بتصاريح زيارة ولم يفادروا بعد انتهاء مدة هذه التصاريح . ومن المثلث للاشياء أن سلطات الاحتلال ترفض في نفس الوقت إعادة أي مواطن فلسطيني صادر الضفة أو القطاع بتصريح إلى الأردن ، إذا ما انتهت مدة تصريحه أثناء مكوثه في الخارج . وقد بلغ عدد هؤلاء المهجرين بتصاريح أكثر من ٨٠ ألف مواطن غادروا المناطق المحتلة بتصاريح رسمية ولكنهم لم يعودوا إليها في الوقت المحدد ، أي أن هذا الإجراء الإسرائيلي هو مثل النشار يأكل ضحيته في الأجيال .. في الدمار وفي الإهانة .

هذه هي القضية الأولى ، أما القضية الثانية فتتعلق بالحملة لتجهيز مواطني القدس العربية حيث استطاعت وزارة الداخلية الإسرائيلية مصادرة حوالي ٧٦٠٠ بطاقة إقامة من مواطنين فلسطينيين . وقد جرى الاستيلاء على هذه البطاقات بعد تقديم هؤلاء المواطنين لطلبات جمع شمل أو التقدم بطلبات لتجديد بطاقات الهوية أو تسجيل مواليد جدد في البطاقة . وباتى هذا الإجراء في إطار سياسة الأطواق والمحصار المفروض على مدينة القدس ومصادرة وإقامة البؤز والأحزمة الاستيعابية بهدف ترقيع المدينة المقلعة بشكل تدريجي من مواطنيها العرب وعزلها عن محيطها العربي.

وبالرغم من إحسان وزارة الداخلية الإسرائيلية في نيسان من العام ١٩٩٤ بأن للزوجات المقدسات الحق في التقدم بطلب للحصول على جمع شمل لأزواجهن غير المقدسين - أي من حملة هوية الضفة - إلا أن أكثر من ٨٠٠ بالمائة من هذه الطلبات قد رفضت وجرى سحب هويات مقدمات الطلبات بحجة عدم تلبيةهن للترتيبات المطلوبة بأنهن من سكان القدس . ومن الأوراق الثبوتية المطلوب إبرازها في حالة تقديم طلب جمع الشمل أو تسجيل مولود جديد في البطاقة أو تجديدها

الاتفاقات الرسمية في واد وأجراءات إسرائيل في واد آخر!!

خنا عصرية

رسالة القدس

فوق الموقف الإسرائيلي الرسمي والإجراءات الإسرائيلية ، فإن مشكلة النازحين لم تعد مشكلة فلسطينية وإنما مشكلة داخلية إسرائيلية تخضع لاعتبارات أمنية بحتة.

ولعلنا فلم يوافق يورس حتى على إعادة مائة عائلة فلسطينية كإجراء رمزي للدليل على حسن النوايا ، ولعلنا أيضا فإن الإجراءات الإسرائيلية ضد المواطنين العرب لاتزال مستمرة بالرغم من الاتفاقيات المقترحة مع الجانب الفلسطيني ولاسيما على صعيد إجلائهم عن ديارهم.

وعلى الصعيد العملي يمكننا انطرق للقضيتين هامتين تكونان عدم جدية إسرائيل أو استعاضادها وغيبتها في الالتزام بتنفيذ الاتفاقات المقترحة معها ، وبالنسبة فإن هاتين القضيتين جرى الكشف عنهما في شهر آذار

اجتماع اللجنة الرابعة المشكلة من وزراء خارجية مصر والأردن وإسرائيل ومثل عن السلطة الفلسطينية حول عودة النازحين الذي عقد في عمان في شهر آذار الماضي ، جاء متأخرا وأخضع مثل غيره من الموضوعات للقضيات الأمن الإسرائيلية.

لقضية إعادة النازحين ليست مجرد موضوع إجرائي يقضى بإعادة جميع النازحين منذ عام ١٩٦٧ ، وإنما هو ، من وجهة النظر الإسرائيلية موضوع أمني وكان كل فلسطيني عائد هو قنبلة مؤقّلة ستفجر في شوارع تل أبيب ، لهذا فإن هذا الموضوع يتطلب تشكيل العديد من اللجان ، وإجراء مفاوضات مفصلة تتناول كل نازح على حدة ، وهذا يعني أن هذه المفاوضات ستستمر سنوات عديدة وأن النتيجة قد تشمل في إعادة بضعة آلاف فقط من النازحين الذين حسب ادعاءات وزير الخارجية الإسرائيلي شمعون بيرس ، عددهم غير معروف ، وعودتهم مرفوضة بإمكانية استيعابهم من حيث توفير أماكن السكن أم أماكن العمل.

وكان من الطبيعي أن تصطبم هذه القيود والاستشراطات الإسرائيلية بموقف الأطراف العربية التي دعت إلى احترام قرارات الأمم المتحدة حول عودة النازحين والسماح بإعادة جميع النازحين إلى ديارهم وهنا فإننا لحدث بجسري عن حوالي ٦٥٠ ألف مواطن فلسطيني.

ويبدو هنا أن الاتفاق الرسمي مع إسرائيل على إعادة النازحين ، وفق تصور اتفاق إعلان المبادئ في شرم وأما الترجمة والتطبيق فيها شيء آخر ، وأما الإجراءات الإسرائيلية على الأرض فهي في جبري معاكس تماما .



هذا الاجراء التمييزي يطبق فقط على العرب. أن هاتين القضيتين هما غيض من فيض عن الاجراءات الاسرائيلية التي تستهدف ترحيل المواطنين العرب وليس إعادتهم إلى أرض الوطن ، ولهذا فإن المفاوضات حول عودة النازحين يجب أن تخسر من الطوق الأمني الإسرائيلي المفروض حولها ، كما يجب أن تستند هذه المفاوضات إلى مرجعيتها الأساسية محملة بقرارات الأمم المتحدة بهذا الخصوص ، وهذا يتطلب عدم الخوض في التفاصيل أولا ولذا الاتفاق على المبدأ العام ، ألا وهو مبدأ عودة النازحين ومن ثم مناقشة التفاصيل ثانيا ... هذا إذا أراد الجانب الفلسطيني عدم الرجوع في نفس الأخطاء التي وقع فيها أثناء المفاوضات حول القضايا الأخرى .

للمواطنين العرب طيلة السنوات السابقة منذ عام ١٩٦٧ ، هي التي أدت إلى ما بات يعرف الآن بالهجرة الصامتة خارج حدود المدينة ، ويسود أن الوقت قد حان من وجهة النظر الاسرائيلية لتجريد هؤلاء المواطنين الذين بات عددهم يوازي عدد المواطنين العرب داخل حدودها من هوياتهم المقدسة بعد أن انتزعت منهم حقهم الأساسي في العيش في مدينتهم . وتشير المصادر الحقوقية إلى أن إسرائيل تستخدم مجموعة من القوانين من أجل تقييد مخططاتها لتهود القدس ، من بينها ما يعرف بقانون المفادرة إلى خارج إسرائيل والذي ينص بأن من يقادر المدينة لأكثر من سبع سنوات يفقد حق الإقامة في القدس ، وهذا القانون لا يقتصر على الذين يقادرون إلى بلدان أخرى بل يشمل المقدسيين الذين يعيشون قسرا في الضفة .. وبقي أن نقول أن

وصل دفع ضريبة البلدية ، عند إيجار لبيت في المدينة ، فاتورة الكهرباء ، فاتورة المياه أوراق رسمية وشهادات من مدارس داخل المدينة وعلى أن تكون جميع هذه الأوراق القبولية سارية المفعول منذ سنتين على الأقل من موعدها .. أما بالنسبة للأزواج من حملة هوية الضفة ، الذين يتقدمون بطلب تصاريح للعيش مع زوجاتهم في القدس فقد رفضت طلباتهم لأسباب أمنية !! أي أن زواج العرب هو أيضا قضية أمنية إسرائيلية. وتجدر الإشارة هنا إلى أن هناك أكثر من ٨٠ ألف مواطن مقدسي يعيشون خارج حدود القدس وبالتحديد في ضواحي المدينة التي تعتبر وفق إجراءات الأمم الاسرائيلية جزءا من الضفة الغربية. إن القيد الصارم على الينا المصري ضمن حدود مدينة القدس والاستئذان عن المفاوضات على رخص بناء



المخابرات الأمريكية وأزمة البحث عن الذات

أزمة هوية
ولعل أسنق التدهيرات عن أزمة
التي تسمى "آي-إيه" هو التدهير الذي يصفها بأنها
أزمة هوية فهي تبحث لنفسها عن شخصية
جديدة ودور جديد بعد أن فقدت عدوها
الأساسي التقليدي بعد أن أصبحت أسرار هذا
العدو وحلفائه مرسوعة أمامها مثل كتاب
مفتوح تلج فيه كما تشاء. وقتما تشاء. وقد
أصبح معروفا أن ملفات وكالة أمن الدولة
السوقياتية السابقة (المسوقة باسم
كي. جي. بي) أصبحت مزار الباحثين
الأمريكيين... وبينهم طبعاً رجال المخابرات،
يتبنون فيها عن أسرار السوقيات، مامعها
السوقيات من أسرار الدول الأخرى.

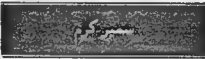
وإذاً لقد انتهت الأزمة الأمريكية-
الفرنسية بشأن التجسس الأمريكي على
الأسرار الفرنسية التكنولوجية الصناعية...
وبقيت أزمة للمخابرات الأمريكية، لتجهد من
يحدد لها خط سيرها.

ولقد قبل في تفسير الأزمة أنها تعجت
لقطع عن قضية الجاسوس الأمريكي أو
لدرش إيس الذي تبين أنه من موقع مسؤول
في وكالة المخابرات المركزية عن مكافحة
الجاسوسية السوقياتية قد تجسس لحساب
المخابرات السوقياتية وبمعدا المخابرات
الروسية، ولكن التطورات الأخيرة أظهرت أن
الأزمة أعمق وأوسع من ذلك.

عندما أدلى جيمس وولسي مدير وكالة
المخابرات المركزية الأمريكية المستقيل
بشهادة الأخيرة أمام الكونجرس، في آخر يوم
له في هذا المنصب، قال بوضوح إنه لا يوجد أي
ضمان أكيد بأنه لن يخترق الوكالة جاسوس
على غرار أولدرش إيس أو شبكة جواسيس
لحساب دولة أو قوة أجنبية كل ما يمكن قوله
أن إدخال تدهيرات أساسية في الوكالة يمكن
أن يفضي احتلالات ظهور إيس آخر.

وعندما طالبه بعض زعماء مجلس
الشيوخ- من أعضاء لجنة المخابرات في
المجلس- بأن يبيّن أن من حق الشعب
الأمريكي أن يحصل على تأكيدات أكبر من
تلك التي يقدمها وولسي رد الأخير قاتلاً:
يستطيع ولن يستطيع مدير للبي : أي.
إيه. أن يضمن لكم أنها لن تخترق.
التمييز الجنسي

فيما عدا ذلك فإن وولسي جاب خلال
شهادته الأخيرة ما يمكن أن يعد خريطة
الصراعات في العالم كله مستعزاً ما وصفه



رسالة واشنطن



ثم وكالة المخابرات المركزية تعاني وضع سقيمة
تأهية في عرض البحر بلا قبطان. فهي بلا
مدير لها منذ استقالة آخر مديرها جيمس
ولسي حتى أنه يمكن القول، مع كثيرين من
برقيين أزمة المخابرات الأمريكية منذ نهاية
حلبة الحرب الباردة أن الشيء الذي يساعد على
تلاشي أزمة الجاسوس الأمريكيين في فرنسا
هو أنها بدت تاهية للقاية إلى جانب أزمة

× انقضت بسرعة مجاوزات كل توقعات
المخالفين الضجة التي أحدثتها أزمة الكشف
على نشاط عدد من الدبلوماسيين الأمريكيين
في السفارة الأمريكية في باريس في
التجسس على أسرار فرنسا التكنولوجية
والصناعية.. ومحاوالتهم "تجهيز" مسزولين
فرنسيين في مستعربات عليها للمسؤولية
للحصول لحساب وكالة المخابرات المركزية
الأمريكية (السي. آي. إيه).

أسابيع قليلة وبدا كأن الأزمة لم تلمح
أبدا... على الرغم من أن أحد أبعادها كان
يرى بأنها قابلة لزيد من التفجير والانتعاش
خاصة عندما اتهمت المخابرات الأمريكية بأنها
هي مصصبر الكشف عن نشاط هؤلاء
الدبلوماسيين الجاسوس وأن عدلها من ذلك
كان التأثير على نتائج الانتخابات الرئاسية
الفرنسية.

لقد كان هذا الجانب من الأزمة- عندما
كانت تتدفق فرق السطح أي قبل أن تعود إلى
التدهيرات الضخمة للصراع بين أمريكا
وحلفائها- دليلاً أكيداً على أن تفرزات كثيرة
قد تراكت نتيجة خلافات سياسية ومناقصات
الاقتصادية خطيرة بين واشنطن وباريس على
مدى السنين.

أما كيف استطاعت الدولتان واستطاع
جهاز المخابرات لهما حصر الضجة التي نشأت
عن إعلان قرار باريس بطرد الدبلوماسيين
الأمريكيين الثلاثة المتورطين في التجسس
خلال أيام وجعلها تخفت إلى حد التلاشي.
فإن الحصول على إجابة على هذا السؤال تدور
من أخص أسرار الجهازين، لكن المثير للدهشة
حقاً أن "أخما الفتنة" إذا جاز التعبير. ثم في
وقت تعاني فيه المخابرات الأمريكية أزمة من
أعقد وأعمق أزمتها منذ نشأتها حتى الآن.



شعار الوكالة المركزية

بعد نهاية الحرب الباردة عما كان أثنائها .
من خلال أدارتها الخاصة ومراكزها
العلمية وتحت الولايات المتحدة بقدر في كل
مجالات الحياة في بلدانها ، تحتل المواقع
الاستراتيجية وتؤثر على تطور العمليات
السياسية والاقتصادية في روسيا . إن
استخدام المراكز العلمية في أنشطة الغارات
والأنشطة الهدامة ضد روسيا تكثف طابعها
شاملا .

الناقص الوحيد

وقد تركزت الإدارة الروسية لمكافحة
التجسس على نشاطات عشرات من المنظمات
والمراكز الأمريكية التي تستغل جو الانفتاح
الروس السراي للاغتراف في أعمال هدامة .
مخططة للزعماء الأسرار وكبت حركات روسيا
بصفتها دولة قادرة على أن تصبح منافسا
للدولة الأعظم الواحدة والوحيدة . وتضهر
التقرير إلى الشبهة التي تثيرها حقيقة أن
مجموعات من جامعات هيرمان وكرولمبيا
وديون (الأمريكية) اعتصت في كانون الأول
(ديسمبر ١٩٩٢) بالانتخابات البرلمانية
الروسية منظمة استطلاعات ضخمة وجهت
أسئلة تفصيلية كثيرة عن خلاياها المواطنين
الروس الذين استجابوا للاستطلاعات وعن
أعمالهم وأنشطاتهم . لقد كان مدى اتساع
هذا المسح اسرا غير مسبوق . فقد استطاع
الأمريكيون أكثر من ٢٥ ألفا من الروس في
حين أن مراكز البحوث الاجتماعية المحلية
تؤكد أن عينات تتراوح بين ١٠٠ و ٢٥٠٠
شخص تكفي في استطلاعات الرأي .

ويشير التقرير انهما آخر عهد الممارسات
الأمريكية في روسيا ، فقد انهم المنظمات
الأمريكية لا تستغل الريح (كما تصف
نفسها) بأنها أطلقت العنان لعملية زيف
أدوية من روسيا ، أي سحب الكفالات العلمية
التكنولوجية الروسية لاضاع روسيا علميا
واكاديميا وعسكريا ، إن البرامج الدراسية
الأمريكية قد صممت بحيث تجلب الروس إلى
الولايات المتحدة للعمل أو الدراسة بهدف
تشجيعهم سياسيا جدد قادرين على
تنفيذ منهج موالا لأمريكا .. إن يرسل
المشركون الذين يقع الاختيار عليهم لهند
تشكيلهم وحققهم بالقيم الامريكية .
تضمن التقرير أيضا اتهامات متعددة إلى
منظمات أمريكية يفترض انها قامت لنفسها
مراكز في روسيا لتقديم المساعدات والحريات
على سبيل المثال تبهم التقارير والصدوق
العلمي الدولي الذي أنشأ جوردن سوسون
(وهو الممول اليهودي الذي تقدر ثروته بعدد

تكتفي بجمع المعلومات - أي التجسس - لرفع
تقارير عن الأوضاع والاحتمالات التالية .. أم
أن دورها يتجاوز حدود التقارير المعلوماتية ؟

اتهامات شاملة

لم يقل وولسي كلمة واحدة عن هذا .
ويبدو أن المخابرات الروسية لم يعجبها
تكتف وولسي التهام - حتى وهو يودع منصبه
المخطوطة - عن نشاطات السي . أي . إيه داخل
الإدارة الاتحادية الروسية لمكافحة التجسس
تقرير لها عن نشاطات المخابرات الأمريكية في
بلادها ، بحيث يمكن اعتبار التقرير المخابراتي
الروسي تعريضا من الصلصات الحارة في
شهادة وولسي (٠٠) .

ولقد فاجأ تقرير روسي الإدارة الامريكية
بالأخص وكالة المخابرات المركزية بما احذر من
اتهامات شاملة - بل كاسحة حسب وصفها -
ضد كل ما هو أمريكي في روسيا الآن . على
الرغم من العلاقات الطيبة الودية والتعاونية
التي لربط واشنطن وموسكو الآن والتي لم
يسبق لها مثيل حتى في عهد روسيا
القوية السابقة .

فقد انهم التقرير الروسي مراكز البحوث
الامريكية والمنظمات المصورة والمحاد التي
تعلم الروس اسرار النظام الرأسمالي على
الطريقة الأمريكية كذلك «فيما يتعلق السلام»
الأمريكيين التي تعمل في روسيا مساعدة من
يحتاجون إلى مساعدة في كافة المجالات ..
اتهامهم جميعا بانهم يمارسون التجسس على
روسيا . جل انهم يعملون من أجل تقلد روسيا
كنافس للولايات المتحدة .

بعض مسئولو المخابرات الاسريكية
يقولون: هذه ليست سوى الطلقة الأولى في
الحرب الباردة الثانية بين روسيا والولايات
المتحدة ونقول غيرهم ليست هذه مجرد طلقة
.. هذه قنبلة ، إن لم نقل صاروخا استراتيجيا
في حلبة جرمية واسعة النطاق .

لقد وجد تقرير مكافحة المخابرات الروسية
طريقه إلى الصحافة الروسية ومنها إلى
الصحافة الأمريكية . لكنهم في الصحف
الأمريكية لم يجد له مكانا في الصفحات
الأولى التي تشغلها بالأحرى معارك الشيشان
في مقاومة الهجمات الروسية ، وتشغلها
معارك الجمهوريين والديمقراطيين بشأن
المشكلات الاجتماعية الأمريكية ، وتشغلها
بالدرجة الأولى غطية المحاكمات والضحايا
من كل نوع وفي مقدمتها التجمعات الرأسي أو
جى ستينون (٠٠) .

والحقيقة الأساسية التي يؤكد هذا التقرير
أنه لم يتغير شيء في سلوك أمريكا تجاه روسيا

بأنه مناطق الاضطراب والتهديدات في العالم
من روسيا إلى إيران ، من ليبيا إلى كوريا
الشمالية ، ومن العراق إلى كندا .. حتى
اضطر النشاور الديمقراطي غلي روبرت كيري
أن يذكره بضرورة التركيز على أولويات
المخطر .

وترطقت شهادة وولسي - في الجانبي
الأكثر من رده على أسئلة الأعضاء - إلى
التصميم ما يصطلح الآن على تسميته
بمفوضية التمييز الجنسي (يعني التمييز بين
الجنسين) داخل وكالة المخابرات المركزية التي
انتهت بمفوضية خارج المحكمة ودفعت فيها
الوكالة مبلغ ٤١٠ آلاف دولار لسيدات آمن
دعوى تنهم الوكالة باضطراد خلال سنوات
عملهم داخل الوكالة وتفضيل الرجال في
التعيينات .. بل حماية الرجال من مرضى
الوكالة ضد شكاوى زوجاتهم بالتمرض لهن
بالضرب فضلا عن شكاوى الصحرش
الجنسي (٠٠) .

خلال هذا كله لم يقل وولسي - ولم يسأله
أى من الأعضاء المحليين في لجنة المخابرات
شيئا عن نشاطات التجسس التي تتدبر بها
السي . أي . إيه حاليا ، أو التي ستقوم بها
في أي وقت في أنحاء العالم .

ويرا لأن هذه المسلمات البديهية ولا
فلماذا وجود الوكالة والميزانية الضخمة التي
بعد الزعماء الجمهوريين الذين أصبحت تزيهم
الأغلبية في مجلس الكونغرس بزيادة اتهامات
براصلون الصراخ بضرورة تخفيض النفقات
الحكومية على البرامج الاجتماعية .. من
مكافحة الفقر إلى توصيات البطالة
وفكرهم حتى بإلغاء وزارة الترقية . ووزارة
الطاقة .

ولقد استمع هؤلاء القادة إلى وولسي
-فيما اعتبر شهادة وأدعية - يعلم من أن
مستقبل روسيا مشحون بالفتنجات وأن أحد
الاحتمالات أن تعود الدولة السلطوية نتيجة
للفراع الزمان القائم بين الروس والشيشان ،
أن الحكومة الروسية يمكن أن تفقد السيطرة
على الأوضاع في موسكو ونجد نفسها تدور
في الفراغ . أن الدكتاتورية أو الديمقراطية
ليست المحييين الوحيدين المحتملين
للمستقبل في روسيا .. هناك احتمال
لوضع مفكك يصح فيه الهكل التنظيمي
للمحكمة في حالة التباس وقضى .. وأظن هذا
احتمال يثير قلقا عميقا بالمثل لدى الولايات
المتحدة .

ماذا تفعل السي . أي . إيه في روسيا
الآن ؟ هل تستطيع أن تفعل شيئا ؟ هل

من مئات المخابرات من الدولارات باستغلال المتح التي يقدمها لروس لشراء البسطة على آلاف الاكتشافات العلمية والاختراعات التكنولوجية الروسية الجديدة ، بما فيها تلك التي يشتريها من علماء روسيا طبق قواعدهم داخل منضم عسكري روسية مطوقة .

وقبل أن يظهر أي رد فعل روسي أو غير روسي من جانب الحكومة الأمريكية إزاء هذا التقرير - ومن المرجح أن لا يظهر أي رد فعل من هذا القبيل - وكان المخابرات الأمريكية ستوروس يتصدى بخطر من يحسن إليهم . وهم الروس . فقد بحث برسالة من سكره في نيويورك إلى وزير البعث العلمي بأنه تم تسريبات لهذه الاتهامات وجزء من خطة سياسية لإعادة فرض العزلة على البحرث العلمية الروسية إعادة فرض الرقابة الشمولية على الحياة الفكرية في المجتمع الروسي .

وهذه ستوروس في وسائله إلى حد مطالبة الحكومة الروسية بأن تعيد التأكيد رسمياً بأنها بحاجة إلى استمرار منظمته في القيام بجهودها في روسيا .

أسئلة معلقة

وقدر عدد العلماء والأكاديميين الروس الذين يحصلون على مساعدات مالية من خارجهم إليها - حسب تقرير ستوروس - والصدق العلمي الدوله بأكبر من ٥٠ ألفاً (١٠٠٠) .

ومن المنظمات الأمريكية التي ذكرها التقرير على وجه التحديد ضمن المنظمات المتشبهة بالتجسس على روسيا مجموعة أمريكية تطلق على نفسها اسم «مركز مبادرة المواطن» ويقول التقرير أن هذا المركز يطلب من الروس الذين يقدسون إليه طلبات للحصول على مئة مائة وثلاثة أن يرفعوا إليه تقارير تفصيلية عن خططهم العلمية مسجلة على أسرار تجارية وكثيره من المنظمات الأمريكية فإنه لا يمكن جمع المعلومات الخاصة عن روسيا ، إذا يقدم أيضا محاولات للحصول على أسرار الدولة والأسرار التجارية .

وما يملأ التقرير الروسي على واحد من أسباب معارضة امبراطورية المخابرات الأمريكية - كما يسميها خصومها - فخص ميزانيتها السنوية بعد أن انتهت الحرب الباردة وخسرت أمريكا والسو ، أي : إنه الخضم السوفياتي . فهي لا تزال تعتبر روسيا خطراً دائماً لا بد من التجسس عليه ومحاولة تقديمه . لكن التقرير - من جانب آخر - يشير

سؤالا مهما ، ويرا أهم من كل الأسئلة المتعلقة بالمواجهة بين المخابرات الأمريكية والروسية: هل الأساليب الأمريكية التي أفاض تقرير مكافحة المخابرات الروسية في تفصيلاتها أساليب تخص بها المخابرات الأمريكية روسيا... أم أنها العادات نفسها التي قارنها مع كل الدول الأخرى ، الأعداء السابقين والأصدقاء الخاليين والمستقبليين على السواء ؟

إن درس مايجري في روسيا من نشاط المخابرات الأمريكية لا يمكن أن يخفى على أحد . وهو على أي الأحوال ليس درسا جديدا . منذ القدم كانت المساعدات والمبادلات العلمية والتكنولوجية واستطلاعات الرأي العام في الدول الأخرى تقوم بأدوار أحصته طرودة ، أجهام مختلفة لاقتحام مجالات لا تسع الجاسوسية مفرصها العسكري التقليدي بالقتحامها إلى حتى الاقتراب منها .

ولقد كان الاعتقاد في الماضي أن السرية الشديدة التي تحيط بميزانية وكالة المخابرات المركزية ، وسريتهات وكالات المخابرات الأمريكية الأخرى المديدة لا تتجاوز كونها التحكم المنطقي على الرقم الكلي لتفقات المخابرات ، ولكن تبين أن حسابات المخابرات الأمريكية التي تتفق منها في كل ميدان تنتشر في سيرة داخل ميزانيات الولايات والولايات الأمريكية العلنية... حتى وزارات الزراعة والتنمية ، فضلا عن وكالة الإعلام ووزارة الطاقة ، الخ . في كل منها اعتمادات تنفق منها المخابرات الأمريكية دون معرفة أو رقابة ، حتى من الكونغرس الذي يملك الكلمة النهائية في تحديد الميزانية للوكالة ، ثم لا سبيل أمامه للتدخل والمحاكمة من أوجه الاتفاق التفصيلية .

قائمة للتقنين

اليوم وكالة المخابرات المركزية في دائرة الضوء بعد سلسلة من النضائح بعضها يتعلق باختفاء الوكالة - مثل قضية الجاسوس إيس وقبلة برلاند ونهذه ووكر - وبعضها يتعلق بسلوكيات لا أخلاقية مثل التحرش الجنسي بنساء وكالة من جانب بعض الممثلين الكبار فيها . تسمع تأكيدات بأن اللجنة الرئاسية التي تبحث إعادة بناء الوكالة ونظام عملها توشك أن تعلن توصياتها خلال شهر قليلة وأن هذه التوصيات ستتناول التغيرات التي أصبحت ضرورية ومطلبا من الرأي العام الأمريكي .

والرأي العام الأمريكي يعرف جيدا أنه

سمع هذا الكلام كشيء من قبل في ظروف سابقة ، وأن كثيرا ما تلقى تأكيدات من رئيس أمريكي وراء أخصر بانه سيمتص نهاية للتجارب والأخطاء والاختلافات التي تقع فيها السو . أي : إنه... ثم انلث الأمور أن تعود إلى سابق عهده . ميزانية سرية ضخمة في أيدي مجموعة من المسؤولين «السريين» ونظمت سرية لمعاملات تشمل كل بقعة في العالم ومبدأ المراقبة والمتابعة والمحاكمة مبدأ يكا وتعيد تطهير عمليا .

في السنوات الأخيرة انضم إلى قائمة المتقنين «السو» أي : إنه عدد من المساسة الذين يعطون من بين حكم الحياتيين بعضهم أعضاء في مجلس الشيوخ وفي مجلس النواب . وبعضهم قادة عسكريين سابقين . وحتى بينهم من سبق أن تولى رئاسة الوكالة المركزية لفتحات سابقة وبن هؤلاء من يطلب بالإنفاذ كسيرة . لقد تحولت في نظره إلى «تاد للجواسيس» يحافظ الأعضاء فيه على مصالح بعضهم بعضا... وعلى سمعة بعضهم بعضا ، وأخيرا على وجود بعضهم بعضا ، كل مهم استمرار السرية والميزانية والتفرد .

وقد وصل الأمر إلى حد اعتبار استقالة وولسي زعيم ركني الوكالة نتيجة طبيعية لاستسلامة لخطر ومزارات كبار رجال الوكالة الذين خشوا من بقائه إلى ما بعد ظهور توصيات اللجنة الرئاسية لإعادة بناء المخابرات ، خاصة بعد أن نجحوا في لقاء صفة في مركز المخابرات الأمريكية الاستراتيجية والدولية في واشنطن في الصيف الماضي على أن يرد مايقوله أعداء المخابرات لقد قال «أن في الوكالة مقامين ولقد سادت فيها ثقافة يحكمها شعور بالثقة والرفاهية بين الاخوان يصل إلى درجة التخوة والغفرية» .

ويومها كذا بعض المحضر في هذا اللقاء - وهم من صفوة المجتمع السياسي في واشنطن - أن وولسي ليس أكثر من رجل مهلب وضع في موقع قذر... بمن المكر أن يدركه إلى أي حد وصلت الرقابة والفتنة بين الاخوان إلى حد يخلط بين الصواب والخطأ . لقد اخفى في نادي الجواسيس الأكبر للسو . أي : إنه ، وهو حقيقة أنها هزمت في حرب المخابرات في مواجهة المخابرات الروسية... حتى الاتحاد السوفياتي نفسه يخسر الحرب البرادة ويتفكك ويستسلم هكذا بشخص الوضع الراهن الصخفي الباحث لأصركي سيمسون بيرش (مؤلف كتاب الجاسوس الشيشيني» الذي كشف أكثر من غيره أسرار

الترسانة النووية الإسرائيلية ودور أمريكا فيها وفي التغطية عليها). أما الساتنور باتريك صويتها عضو لجنة المخابرات في مجلس الشيوخ - والذين ترصف مقره بشؤون الوكالة وأنشطتها التي ترقى إلى مستوى عدائه للشوعية فيقول «أن إحقاقات الس. آي.إيه. في تقاريرها عن روسيا هي أخفاقات بالغة الأهمية.. هذا هو سجلها فسادا نحن فاعلون! لا شيء.. إن نظامها يقوم على جمل الرئيس يشير أننا قادرون على عمل كل شيء، تقريرها السري الهوسي الموجه الذي لاتقع عليه عهنة أحد إلا الرئيس، وربما أقرب مساعدته غالبا ماظهر أنه ملئ بالأخطاء.. بل أنه مضلل في حد الكارثة. وأجل في رأى الساتنور صويتها ليس في ادخال تغييرات شاملة ودراستات ثقافية الحل هو في الغائيات

الضائعات
لقد أصبح بإمكان خصوم الس. آي.إيه. - الذين لم يعد بالإمكان الادعاء بأنهم اليساريين دون غيرهم - أن يقولوا أي أسرار الس. آي.إيه. التي انفضحت أخيرا تزيد عددا وتنفق توصية الأسرار التي أمكن للوكالة جمعها في السجلات الأخيرة.

وهذه بعض أسئلة أسرار الس.آي.إيه التي يفضل كثيرون تسميتها بالفضائح كما كشف عنها أكثر من ١٠٠ مسؤول سابق في الوكالة في مقابلات أجراها ديفيد كورن الباحث الأمريكي وهو يجمع المعلومات لكتاب يعزم نشره خلال شهر قليلة.

من خلف ظهر الكونغرس انقلت الوكالة ٣٥٠ مليون دولار لانشاء مبنى في إحدى ضواحي واشنطن على أرض تبلغ مساحتها مليون قدم مربع تحيط بها غابات مساحة ٦٨ فداناً، وذلك ليكون بمثابة مقر جديد لمكتب الاستطلاع القومي أكبر المكاتب التابعة للوكالة سرية والذي يشرف على برامج التجسس بواسطة الأقمار الصناعية بالاشتراك مع مكاتب مماثلة تابعة لوزارة الدفاع الأمريكية.

سرا أقامت الوكالة إدارة للمخابرات في هايتي عام ١٩٨٥ بهدف مكافحة تهريب المخدرات، وخاصة الكوكايين... لكن هذه الوكالة انخرطت في أعمال الاغتيال السياسي ضد المعارضين في هايتي والأدعي من هذا أنها انخرطت أيضا في عمليات تهريب الكوكايين. الى أين؟ الى داخل الولايات المتحدة.

سرا قام رجال الوكالة المركزية بتهريب طن كامل من الكوكايين التي من محطتهم في

فنزويلا عام ١٩٩٠ الى داخل الولايات المتحدة حيث بيعت في شوارع المدن الأمريكية وعثمتا انكشف أسر هذه العملية قال المسؤولون في مقر الس. آي.إيه. الرئيسين خارج واشنطن: هذا حادث مؤسف (...).

مجال كبحار المسؤولين في جنته الوكالة مع عملاء جنتهم محليا في إيران غير مأمونة. الأسر الذي أدى الي القبض على ٣٠ على الأقل من الإيرانيين أسفقا الس.آي.إيه. تبين أن كل عميل محلي جنته الوكالة للعمل معها في ألمانيا الشرقية (قبل عام ١٩٨٩) وفي كوبا كان عميلا مزدوجا يعمل سرا في خدمة مخابرات بلاده.

تبين أن عملاء الس. آي.إيه. في بيروت انخرطوا سرا في عمليات تهريب غير مشروعة للأسلحة الصغيرة لتسليم داخل الولايات المتحدة.

تبين أن كبار المسؤولين في الس. آي.إيه. نامروا على اكتشاف وجود أجهزة تستت داخل السفارة الأمريكية في موسكو في مبنائها الجديد في أواخر الحقبة السوفياتية.. فلم يلفوا القواعد السياسية في واشنطن ولم يتخلوا آية إجراءات بشأنها لعدة سنوات.

كانت التزاعسات على الصلاحيات مستعسرة بين محطات الس. آي.إيه. والخارجية الأمريكية.. خاصة في أكثر المقاطع أهمية في الخارج، وخاصة «كثير» التي كان يوجد فيها أكثر من ٦٠ رجل مخابرات وتعد أهم محطة مخابرات أمريكية في أوروبا الغربية.

كان تقدير الس. آي.إيه. لعدد عملاء جهاز المخابرات السابق في «ألمانيا الشرقية» لا يتجاوز ٢٥ ألف عميل. ثم تبين أن الرقم الحقيقي لهم هو ٢٢٠ ألفا.

قليل من كثير والواقع أن معظم هذه الأسرار السوداء أو الفضائح اكتشفت عندما قمت ألمانيا بأوروبا جهاز ستاس (مخابرات أمن الدولة في ألمانيا الشرقية في الحقبة الماضية) أمام رجال المخابرات الأمريكية للاطلاع على ملفاتها السرية.

تبين أن تنازع الاختصاصات بين الس. آي.إيه. والبنجارجين أدى في أحوال كثيرة الى فقدان أرواح بعض المتتبعين الى الجهازين معا.. ومنهم على سبيل المثال الكولونيل وليام هيجنز الذي شق في لبنان ١٩٨٨.

دفعت الس. آي.إيه. من خلال ادارتها المسلحة مركز عمليات التصوية القرمي مكافآت لعملاء أجنبي- خاصة الكوبيين-

تبين فيما يبدو أنهم كانوا يعملون لحساب حكومتهم بينما استمروا على قوائم المرتبات في الوكالة بعقود دامت ما بين ٢٠ و٣٠ سنة. ولقد تلقى بعض هؤلاء أكثر من مليون دولار.. لكل منهم على حدة.

وملا قليل من كثير من الفضائح الأخيرة لإمبراطورية المخابرات، وضاف اليها ما نقله التقارير ألا تكف على دراستها واللجنة الرئاسية لاعادة بناء المخابرات الأمريكية- من أن مصيعة محاولات الوكالة المركزية للتجسس على دول تعتبر مصادر خطر من وجهة النظر الشمالية لكساد سوريا وإيران وليبيا وكوبا السبالية لانتكاد استجارت نقطة الصفر. وضاف اليها أيضا ما نقله الباحث الصحفي الأمريكي ديفيد كورن- في كتاب له عن الوكالة لم ينشر بعد- من أنه لا يوجد أدنى شك لدى كشمير من مسؤولي التسمية في الوكالة-سابقين وسابقين- أن عددا كبيرا من رجال المخابرات الأمريكية ينفقون تقاريرهم السرية ويضعون فيها معلومات لا أساس لها. أو على الأقل يبالغون فيها ويقول كورن أن هذه الطريقة في وضع التقارير أدت على سبيل المثال في فترة حكم جوبارتشوف أي السجلات الأخيرة من وجود الاتحاد السوفيتي الى تقييم سياسات جوبارتشوف وقبضا (البريسجوركا) بأنها مجرد خداع ومتاورات... وأدى ذلك الى أكبر فشل للمخابرات الأمريكية في تاريخها كله. وهو فشلها في التنبؤ بفساد الاتحاد السوفياتي....).

وعلى الرغم من هذا كله فإنه عندما أراد الرئيس كلينتون خفض ميزانية الوكالة للسنة المالية ١٩٩٥ (التي بدأت في أول أكتوبر ١٩٩٤) رفض الكونجرس المحاولة بأغلبية ٣١٥ صوتا ضد ١٠٦ أصوات.. حينما كانت الأغلبية لاتزال للحزب الليبرالي. وبذل هذا على مدى ثمان عشرة المخابرات من تأييد الكونجرس. وهو أمر يعاكس كثير مما تبين أصبحت الأغلبية للجمهوريين الذين يعتبرون أن مييزاتات «البنجارجين» والمخابرات من مقدرات الأمن القومي الأمريكي.

هل العولمة قدر على الثغوب الفقيرة؟ خيبة أمل في كوبنهاجن



رسالة كوبنهاجن

الذين لم يأتوا لم يقدم دفع الدين فإن المؤتمر لم يقدم مقترحات جديدة فيما عدا قرار الحكومة السويدية بفتح مديونية البلدان الأقل نمواً، وقد أكد المؤتمر في هذا المجال على ضرورة مواصلة بلدان العالم الثالث بدفع مستحقاتهم للتركة الأجنبية، أما فيما يخص البلدان الأقل نمواً فقد لا يتجاوز فيها معدل دخل الفرد 500 دولار، والذي تراجع المؤتمر عن الجانب الإنزاسي للسحب للمديونية وتركه لنادي باريس ونادي لندن حرية التصرف في أحسن السبل لإدارة هذه الأزمة. كما دعا المؤتمر البنك الدولي ومستوى النقد إلى التعامل بفسلفة جديدة مع مديونية بلدان العالم الثالث بدفع أي ضوابط أو مقترحات عملية أو أي جدول زمني.

أما فيما يخص مساعدة البلدان النامية فقد دار النقاش حول مقترح 20 - 20 والذي إلى تخصص 20% من مساعدة البلدان المتقدمة إلى التنمية الاجتماعية في البلدان النامية شرط أن تحوّل هذه البلدان 20% من ميزانياتها نحو الجانب الاجتماعي - لأنه أثناء النقاش وأمام رفض البلدان المتقدمة وبعض البلدان النامية لهذا المقترح فقد وقع المؤتمر الجاني الإنزاسي لهذا المقترح. كما دعا المؤتمر إيجابية وضرورة توظيف 7% من الدخل القومي الخاص الحكام للبلدان المتقدمة نحو مساعدة البلدان النامية والتي تم إقرارها في مؤتمر دوي جاترو البرازيل منذ ستين.

أما فيما يخص سيولة الرأسمال العالمي وطابع المضاربة الذي ميز دورتها فقد دار النقاش حول مقترح الاقتصادي الأمريكي TOBIN. فحاصص جزارة نوبل والذي إلى دفع رسم أو ضريبة على المضاربات المالية و 9% يقع تخصيصها إلى

اتعمد في كوبنهاجن (الفرار) من ٩ إلى ١٢ مارس المؤتمر العالمي حول التنمية الاجتماعية بحضور عشرين من ١٨٤ دولة. وقد حضر نهاية اشغال المؤتمر أي يومى ١١ و١٢ حوالى ١٢١ رئيس دولة أو حكومة تبتنى مشروع برنامج التنمية الاجتماعية، وقد أغلب التفلخين وعملى الدول على أهمية وضرورة الاهتمام بالجانب الاجتماعي في العملية الاقتصادية.

لقد أت هذا المؤتمر في ظرف تميز بنمو العولمة وتوسارح وتيرة السيولة النقدية العالمية وانكسارها السلبية على الاقتصاديات الرطنية وعلى المؤسسات الاقتصادية وقد جاءت الأزمة للكتيكية لتذكر أن عولمة رأسمال العالم ترمى إلى تنمية البلدان بل تسمى إلى تحقيق أكبر ربح ممكن في أسرع وقت بفضل النظر عن العوائقات الاقتصادية من جهة أخرى جاء إعلان بنك BARINGS الإنجليزي لسيور لسيور أن المؤسسات الرأسمالية ليست بمنع عن اغتار العولمة.

أما على مستوى البلدان النامية فقد كان لسياسات التعديل الهيكلى والتي تسمى لحد من الحماية الاقتصادية الوطنية ولحاج حماية البلدان بالاقتصاد العالي عدد الآثار السلبية على المستوى الاجتماعي كنمو الفقر وتعمق وتفتيت النسيج الاجتماعي الناجل لهذه البلدان ومن هنا جاء اعتقاد على الاحتياج وبشاراته الثلاث المهد من الفقر، خلق مواطن الشغل وتنمية الاستجم الاجتماعي كصيفة ركزة لعل من مؤسسات الأمم المتحدة بتانية الذكرى الخمسين لولادتها أمام الآثار السلبية واخطار العولمة على الإنسانية.

في هذا الإطار يمكن لنا تقديم نتائج المؤتمر العالمي للتنمية الاجتماعية وقوة الدول والمجتمع الذي المالى عملا في النقطات الغير الحكومية في التعامل مع العولمة ومع المؤسسات والهيكل التي تقودها وتحصنها كالتك الدولي وصندوق النقد - وهنا لا يمكن لنا أمام بلبهية نتجت هذا المؤتمر - إلا لإقرار بمرعة القوى المتأدية بضرورة وضع بعض الضوابط الطاغرة العولمة والتنشيط بهيمنة جديدة على قاعدة الهيمنة الخشاصي للسفر، للقوى الليبرالية الناصرة للعولمة على مهابص ضعيفة مديونية العالم الثالث والأرض من تناسي الأصوات المناهضة بضرورة إنهاء المديونية وعدم دفع

مساعدة البلدان الأقل نمواً - وبالرغم من تأكيد الرئيس الفرنسي ميتران على أهمية هذا المقترح فقد امتنعت البلدان الغنية من إدماجه في جدول أعمال المؤتمر ودعت السحب الكبار إلى دراسة هذا المقترح في يوليو المقبل في اجتماع القمة بكتنا.

في إذن وبالرغم من تناسي الأخطار والتهزات في الاقتصاد العالمي والتهاجه عن العولمة بدون ضوابط فلم يتمكّن المؤتمر من ضبط بعض المقترحات السلبية للحد من الآثار السلبية للعولمة، بل بالعكس فقد تراجع المؤتمر عن الجانب الإنزاسي لبعض المؤثرات السابقة في مجال المديونية وصاعدة البلدان النامية.

وقد أثارت هذه النتائج الهزيلة للسفر ووه فعل العديد من الأطراف الحاضرة في المؤتمر، أكدت التفتات السلبية على أن هناك ضرورة للعمل على المستوى العالمي لكالمحة مصادر الظلم وعدم المساواة بين الأمم ودخلها، ويعنى هذا تخفيف الدين الخارجي للبلدان النامية وإفائها، ورضى إعادة نظر جدية في سياسات وإجراءات التفتات المالية الدولية حتى تسهم في إلحاز أهداف القمة، ويعنى ترسيم ظروف عادلة للفتارة الدولية، واعتبارها أكثر الطرق فعالية لمواجهه ضغوط الحماية، والمثل هناك حاجة إلى عمل على السحب الوطني لتعميد الشكاشية السلبية الحقيقية والديارطية الغالبة حكا كشرط للتنمية الدائمة والعدالة، وقد أكد هذا الببان على ضرورة أن لا يقتصر التعدي في كوتنهاجن على أعضاء المؤتمر أو العمل على متعاطية التفتات للفتارة وتنبهنا لن تحقق القمة الكبير.

نفس الاستعيا، مجهد عند المنطقت هجر الحكومة المشاركة في المؤتمر، والتي نطقت عددا من التدرات الهامة على حاش المؤتمر - وقد أثار الببان احتياسي لهذه النقطات ضرورة التيام هراجة جدية للمواقع الخالي للاقتصاد العالمي، وأتت على أن السياسات السائدة في إدارة الأزمة الرأسمالية لم تكن من تجاوز الأزمة وتزدى في تمهيتها وقد تيزت أفعال هذه النقطات مشاركة عامة للفتكيدو صميم أمتي التي قدم تقريبا حول واقع الأزمة في إفريقيا والوطن العربي أثار اهتمام كل الملاحظين والصحافة المالية. وقد أكد هذا التكرير على مسؤولية سياسات البنك الدولي وصندوق النقد في الواقع المترو الذي تمهيه البلدان النامية، وأثار إلى ضرورة ضبط وتحديد سياسات جديدة من شأنها أن تدفع التمر وتحم بدفع المستوى المضي لبلدان وشعوب العالم الثالث.

في الختام نقول: إن نتائج هذا المؤتمر كانت دون الأمول بكثير، وهنا لابد من إعادة النظر بصفة جدية في واقع العولمة وانكسارها السلبية على الاقتصاديات الرطنية وعلى شعوب العالم، ووجا التقويم ضرورى لينا، سياسات ومؤسسات جديدة تسمى للفرص في الواقع الحالي والمجازي القوضي والتهيار الذي يهدد الاقتصاد العالمي.

مصرع صحفي

الذي كان يعمل بصحيفة كسمولسكايا برافدا وقام بنشر عدة مقالات وتحقيقات مطولة عن فساد قيادات الجيش الروسي في ألمانيا الشرقية واتجارها أثناء الاستعداد للاستحباب من هناك بكل موارده وممتلكات وعقارات الجيش في صفقات زكمت وانتحيت الأثوف . وحينئذ لم يخف ديمتري خولدوف أن وزير الدفاع بافل غريغورينتشوف أحد المتورطين المستفيدين من تلك العمليات . وعقب نشر تلك القالات فوجئت الأوساط الإعلامية باعتقال خولدوف أمام باب منزله على نحو غامض . كان اعتقال خولدوف عملية سياسية أشار فيها أصعب الاتهام إلى وزير الدفاع - ولعل مفسر خولدوف حادثا فرديا . لكن خيوط الدماء التي انشالت من صدر رؤس فيلادسلاف ليستيف جرت في اتجاهات عديدة وصبت في قضايا أوسع من مجرد التحقيق البوليسي والقاء القبض على قاتليه . وكان أول ما أشارت إليه تلك القصة هو حالة اللامبالاة التي تتم أوساط الشعب الروسي الذي - وبالعقوبة - يكي مقدم برامج معروف ولناظم صفحا كل يوم بالعشرين ألف شخص نحو مشوي الصحن الشهير دون أن يهكي بعشر هذا القدر أبناء الشهاب الذين يلقاقون في الشهبان ، أو أبنا الشهبان . بعد اهتز المجتمع لاعتقال محبوه الفرد ، دين أن نهز الكارثة العامة التي تجلّت في تدمير جمهورية بأكملها . وبينما كان مصرع ديمتري خولدوف إشارة إلى سطوة الدولة التي لاتتعف عن اللجوء للاعتقالات في مواجهة كلمة جريئة فإن مصرع ليستيف كان إشارة إلى سطوة المال الذي يتحكم كل مجالات الحياة والشركات الخاصة أحد أهم أشكال تلك السيطرة . وتوقفت البنوك ألسها في أنواع الاستثمارات كشراء الأراضي والعقارات وتبديل العملة والطرقات وكل ما يخطر على بال . وذات يوم صرح المستشار السابق لشئون المالي الروسي الأميريكي بيجينسكي بوجينسكي بقوله : " إن البنك الروسية هي أكثر الطليبين طفيلية في العالم كله " وفسر تصريحه بأن تلك البنوك استثمرت في روسيا عام ٩٤ فقط ٤٥٠ مليون دولار ، على حين هربت للخارج ١٢ مليار دولار . وتشير صحيفة ألمانية هي : " دي وولت " إلى أن القيمة الإجمالية للأسواق التي هربت من روسيا بواسطة البنوك والشركات بدءا من عام ١٩٩٠ لاتقل عن مائة مليار دولار نصفها مودع في البنوك السويسرية . وقد شرعت تلك القوة

أخبار الجيش

رسالة موسكو

حر بالتوازي مع قطاع تلفزيون الدولة . وكان القرار بتنظيم الإعلانات في التلفزيون الجديد من أول القرارات التي اتخذها فيلادسلاف ليستيف الذي اكتشف على حد قوله - بعد أن ألغى وساطة شركات الإعلانات - أن دخل التلفزيون من التعاقد المباشر مع المعلنين قد وصل شهرا إلى ثلاثين مليار روبل شهريا (مليار يساوي ٢٢٢ مليون دولار أميركي) بعد أن كان خمسة مليارات فقط . ويوسع القرار بمسبة بسيطة أن يترك حجم الحساسة التي منيت بها الشركات الوسيطة التي تتزعمها مجموعات من البلطجية من ذوي القبضات الحديدية . وليس بالحتم أن قرار ليستيف كان في مواجهة تلك الشركات ، فالأرجح أنه كان نزاعا على الحصص والنسب بينه وبين تلك الشركات ، خاصة أن ليستيف نفسه من أصحاب المشاريع الاستثمارية وصاحب شركة " فيد " لإنتاج البرامج والمواد التلفزيونية .

وتختلف قصة مصرع هذا الصحفي قاما عن قصة مصرع الصحفي ديمتري خولدوف

انثقت حجارة الإعلام الروسي عن صرخة استغاثة تلاقت فيها أنفاسه المكروبة ذعرا وغرقا من سطوة المال والرياح على مصير الإعلام . وهي صرخة لم تسمح من قبل على هذا النحو منذ صدور قانون حرية الصحافة في ٢٠ يونيو ١٩٩٠ ، ولم تطلق تلك الصرخة على الرغم من القضايا العامة والهزات الاجتماعية والاقتصادية الهائلة التي تخرجت لها روسيا ، فقد أجهز الإعلام بوطأة عملية تخصيص القطاع الإعلامي ، وتقل قبضات المستفيدين من ذلك التخصيص وسرعة نفاذ رصاصهم إلى أكبر رأس أبا كان . كان ذلك مساء الأول من مارس ، عندما غادر فيلادسلاف ليستيف أحد أشهر مدققي البرامج المرتبة مقر التلفزيون في الشاذنة والنصف بعد أن قدم للمرة الأخيرة برنامجيه المعروف " ساعة اللوة " ، فاستقل سيارته متطلعا إلى بيته ، واتصل وهو في طريقه إلى منزله من هاتف السيارة بزوجته يقول لها : " أيتها .. ساكن عندك بعد نصف ساعة " . إلا أن أصدقاء الذين كانوا ينتظرونه في البيت فوجئوا في العاشرة إلا ربع بأصوات طلقات نارية ، خرجوا على دريها ليجدوا فيلادسلاف ليستيف مضرجا بدمائه عند بسطة السلم ، وعندما وصلت عربة الإسعاف كان الصحفي الراحل قد فارق الحياة في عز مجده وشهرته عن تسعة وثلاثين عاما برصاصتين الأولى استقرت في صدره والثانية في جبينه . ولم يكن ثمة شك في أن قاتليه (اتان كما أفاد الشهود) من المحرلين الذين لم يهتموا حتى بالاستيلاء على الدولارات التي كانت معه (٣ آلاف دولار) ، والريولات (مليوني روبل) .

وكان ليستيف قد عين بفرسوم ورثا في يناير ٩٥ مديرا عاما لهيئة التلفزيون الخاصة التي تقرر إنشاءها كقطاع تلفزيوني

المالية تسبب ببطء نحو الحكم ، ووجدت متبراً لها على المستوى السياسي في حزب يهودو جايدلر " خيار روسيا" الذي يمثل الاتحاد لرووس الأصول النيكية الكبيرة مع رجال الدولة مثل جايدلر وأنتاتولي شتوباشيس ، ويوتا يتزيمس جايدلر الحزب قبل الينج يهودي يتزيمس مجسم المالى وبنك ناسيونال كريديت الروسى أصبح رئيساً للجنة التنفيذية لخراب جبار روسيا . وصل عدد البنوك التجارية في روسيا إلى حوالي ألفى بنك ، وعدد فروعها ٤٨٠٠ فرع ، ولايزيد عمر أقدم بنك فيها عن خمس سنوات ، وطبيعة الحال كان المؤسسين الكبار لتلك البنوك من بين رجال الدولة أنفسهم ، وكان البنك من دور رجال الدولة الرئيسيين للزراع الخرافية التي جنحتها تلك البنوك بالتشاك مع المسئولين داخل الحكومة عن منع العروض بشروط مسهلة جداً مقابل رشوة كبيرة جداً . ثم انتقل مركز الثقل في العلاقة بين البنوك والدولة إلى مجال توزيع المخصصات والاعتمادات الحكومية على الأقاليم والوزارات والهيئات الحكومية ، وكانت الدولة نفسها معني توزيع تلك المخصصات عن طريق البنك المركزي ، لكن نظام عمل البنك المركزي البليد دفع قادة الأقاليم لتحصيل مخصصاتهم إلى البنوك التجارية التي تعطي نسبة هائلة من القوائد (بالبرول) - دون أن تسبب شيئاً سوى تحويل نفس تلك المبالغ إلى الخارج . وانتقلت البنوك من رفوة قادة الأقاليم والوزارات ليهودرو أموالهم فيها . وعلى سبيل المثال فإن التحولات الضخمة التي عملت وجرى القوات الروسية في ألمانيا كانت قد دائما عبر بنك جباري واحد محدود ، وأصبحت التحولات هي النقطة الأكثر أماناً والمرحمة التي يتم فيها الانتماء بين رجال الدولة وعالم المال . حيث تنقل الرشوة إلى مجال الشرعية . فكيف يمكن ملاحا محاسبة مسئول حكومي عن أنه يردع أموال وزارته ويخسده في بنك يحميه نسبة أرباح عائلته لكن البنوك والمصارف الخاصة شرعت مغزرا في الانتماء إلى مجال الإعلام وشرأ - الصحف والقرنات التلفزيونية ، وبدلاً من المضاربة على الأراضي والمعارات ، اكتشفت البنوك أن المضاربة على حكم روسيا عمل مربح للغاية كقول بأن يعود عليها بأكر النفع مستقلاً . وبرز من بين تلك البنوك مجموعة "موسك" المحدودة التي تتألف من بنك "موسك" وشركة "موسك" وأكثر من عشر شركات أخرى ، ويصل عدد الشخصيات الاعتبارية فيها

إلى أكثر من أربعين شخصية ، ويصل فيها مايزو على خمسة آلاف شخص . وتسمى هذه المجموعة الآن بمجموعة موسكو . وبينما لم يكن بنك موسك - حتى يناير ٩٣ - يعد بين المائة مصرف الأولى في روسيا ، فإنه احتل بعد ما واحد المرتبة التاسعة عشرة وسط العاصمة بأسماء ورموز تافهة في مزادات شكلية . ثم حصل البنك على حسابات شركة الخطوط الجوية ابروفولت ، وعلى كسروش بالمهارات من شركة " روس فيروجنينه" الحكومية التي تتاجر في السلاح ، ثم شرعت وزارة الدفاع في إيداع مائتين ثلاثين إلى خمسين مليون دولار في نفس البنك بفائدة سنوية ٧٪ لمدة خمس سنوات . وعام ١٩٩٤ فرضت مجموعة موسك عليها سيطرتها على جزء من ميزانية حكومة العاصمة موسكو ، وفعت الإدارة المالية لعنده موسكو حساباً لها في موسك بنك ، كما قامت بفتح حسابات عمالة الإدارة العامة لشرطة موسكو وإدارة المرور وغيرها . وعام ٩٣ بدأت مجموعة موسك ذات الصلات الوثيقة بيهودو روسيا - بالتعاون مع مصرفي " ناسيونال كريدت " و " ستروليشني " في توليف مبالغ هائلة في المجال الاعلامي ، وأخذت تصدر صحيفة "أست مرموقة الأي صحيفة " سفيردنيا " الشائعة لليهود بوضوح ، وفي يونيو ٩٣ تأسست مجلة " إن.تي.تي. في التلفزيونية المستقلة التي تقدر قيمة الاستثمارات الموفقة فيها بضع عشرات الملايين من الدولارات . وفي نهاية ٩٣ اتخذ قرار على مستوى رفيع بخصوص القناة الرابعة التلفزيونية الحكومية لمحلة " إن.تي.تي. في " الجديدة . وفي نهاية ٩٣ أيضاً عرضت مجموعة موسك دعمها المالي على مجلة "إذاعة" إيفورسكي - (صدى موسكو) بفتح خط قروض للمجلة مقابل الاستيلاء على ٥١٪ من أسهمها . وتقوم نفس المجموعة بتحويل على صف أخرى وتقديم الدعم لها كصحيفة "موسكوفسكي كسموليسكي" وغيرها . وتحاول نفس المجموعة الآن الاستيلاء على القناة التلفزيونية الأولى " أوستانكينو " و " التنا الخامسة " محطة سانكت بطرسبورج " وشكلت " موسك " هيئة أمنية خاصة بها تضم حوالي ألف شخص من بينهم قوادات كبيرة سابقة في ك.ج.بي.بي. السوفيتي ، منهم ق. بوبوكوف - النائب السابق لرئيس المخابرات السوفيتية . ويدير صراع جاد بين تلك المجموعة ومجموعة مالية أخرى هي

لوجوفانس " من أجل السيطرة على القنوات التلفزيونية التي تفل أكبر وسائل تشكيل الرأي العام الروس في ظل ارتفاع أسعار الصحف .

وقد عاشت الصحافة والاعلام السوفيتي ٧٢ عاماً كاملة في ظل قانون للطورين - منذ أن صدر قانون المطبوعات الأول بعد الثورة في ٢٧ أكتوبر ١٩١٧ - حتى دخل الإعلام السوفيتي مرحلة جديدة بدأها من ١٩٨٥ انتقضت عليها في مارس هذا العام عشر سنوات .

وعاش الإعلام السوفيتي من ١٩٨٥ - ١٩٩٠ مرحلة ازدهار وحيوة تضارست فيها الحريات المخوفة دون قانون روسي مع استمرار القوانين السوفيتية السابقة القيد .

ثم عاش الإعلام السوفيتي مرحلة جديدة بدأها من عام ١٩٩٠ مع صدور قانون المطبوعات الجديد الذي نشر في ٢ يونيو نفس العام وقانون تطوير الإذاعة والتلفزيون وظهر المطبوعات الحرة والمطحات الإذاعية والتلفزيونية المستقلة .

ثم عاش الإعلام التفجرات التي وقعت بعد انقلاب أغسطس ١٩٩٠ وترجيحه ضربة قاسية للصحافة الحزبية ووقف العديد من صحفها ومقارها .

وأقرا دخل الإعلام مرحلته التي ير بها الآن والتي بدأت بحمد التسلام الرابع بين الرئيس الروسي ولمان حسمبولالانك - روتسكي في أكتوبر ٩٢ ، والتي انتهت بإقرار الدستور الروس في ديسمبر من نفس العام ، حيث تم تشريع وتثني حرية الإعلام دستوريا .

وانتقل الإعلام المسموح له بأقصى قدر من الحريات للبرهية من القبة القلاية للجنة المركزية للحزب ، إلى الحرية التي سرعان ماتلورت في مناخها قبضة أخرى أشد بطشا - هي قبضة رؤوس الأموال التي تتنافس على الشروات التي يدنو الإعلام خاصة في قطاع التلفزيون ، وتتنافس على مصاحبات الحكم والحكومة ، حتى أفرجت روسيا وجعلتها تطلق صرخة استغاثة مدوية بعد مصرع الصحفي فلاديسلاف ليمتيف ، صرخة كصفارة الإنذار ، لم يسبق لها أن ترددت في أجيال روسيا على هذا النحو . ورأى محتاج أوضاع الإعلام الروس ومشكلاته في ظل الحريات الرافعة نظرة أشمل إن كان لذلك ضرورة ، خاصة أن تلك القضية وثيقة الصلة بسياسة الديمقراطية في المجتمع السوفيتي ، وفي روسيا الحالية .

برامج أهم المرشحين في انتخابات الرئاسة

أحد ماذا سوبحث خلال من أحداث سياسية مؤثرة ، إضافة إلى الضغوط الذي يخلف إجابة المستجوب إذ أن هناك غارفا بين تنبهه بالفائز وبين أمنيته أن يفوز مرشح معين ، وفي ظل نسبة ٥٢٪ من المواطنين لم يحددوا بعد وصتي الآن اختيارهم النهائي ، تظل نتائج الاستطلاعات رغم أهميتها ومؤثراتها تؤخذ بحلو شديد .

لكن مبالى قلب المصادلة (ترتب المرشحين رأسا على عقب بهذه الصورة غير المتوقعة ؟ حيث بدأت الحملة الانتخابية تتضح وتأخذ أبعادا جديدة وحاسمة سيحدد من خلالها حصصا صلاحيات المرشح الأكثر حظا للوصول للقصر الإليزيه (مقتر رئاسة الجمهورية) ، خاصة بعد انشراح بعض السحب التي غطت مسرح الأحداث السياسية وساحت الحد كبير في النظرة الضبابية التي ميزت آراء المحللين والمراقبين في الفترة الأخيرة .

تطورات الموقف في معسكر اليمين : تعتبر أهم السحب التي انتشحت بها هي إعلان رئيس الوزراء الأسبق رينون مار عن انتمى ينتمى لجمعية أحزاب اليمين والوسط UDF في ٣ مارس عن عدم ترشيح نفسه حتى لا يتيف تعقيدات جديدة على الموقف المعقد أصلا - على حد قوله -

ثم إعلان الرئيس السابق جيمسكار ديمستان في ٦ مارس عن عدم ترشيح نفسه أيضا ، وذلك لأنه وبعد أن الفرنسيون لاشاركونه أفكاره التي طرحها منذ فترة وبالتالى أثر الإستحاب ، وبهذا أسدل الستار عن إمكانية أن يتقدم أحد للانتخابات الرئاسية في سنة ١٩٩٥ من مجموع UDF مرة ، وإذا كان المراقبين قد توقعوا أن يسهل عدم الترشح من تأييد UDF المطلق لرئيس الوزراء ، الحالي بلاديير ، إلا أن هذه الفكرة انكسرت على صخرة الأحداث السياسية التي أظهرت أن ديمستان ومؤيديه من تاديه السياسى قد قرروا مساندة جاك شيراك مرشح الحزب الجمهوري (اليميني) RRR (التجمع من أجل الجمهورية) ، وإذا كان رينون بار لم يعلن تأييده لأى من المرشحين إلا أن شارك ميرون زعيم مجموع الـ UDF فى البرهان والقرع من ديمستان أيضا أعلن تأييده علنا لجاك شيراك وبقه أكثر من عشرين نائبا برلمانيا يفتنمون لتجمعه . وقد استمت الحملة الانتخابية لشيراك ومؤيديه في الفترة الأخيرة بجموية كبيرة ، إذ تمحوروا في الوصول إلى الشارع بفعل ماأده شيراك نفسه كرجل يعرف التعامل مع الجماهير ، واستطاعه جذب عدد كبير من



رسالة باروس

شيراك على معدل ٢٨٪ ، وحاز جوسبان على معدل ٢٢٪ ، بينما حاز بلاديير على ١٩٪ ، وفي الدور الثاني للانتخابات أوضحت الاستطلاعات أن شيراك سيفوز بنسبة ٦٤٪ إذا ماكان متنافسه هو بلاديير ، بينما سيفوز بنسبة ٥٩٪ إذا ماكان متنافسه جوسبان ، وهكذا تجد أنفسنا أمام موقف مخالف عشيبة الدور الأول في ٢٣ أبريل استطلاعات الرأى التي يعتمد عليها القرب في ديمقراطية أيضا مضلة ، علاوة على تأثيرها في دفع الناخبين نحو مرشح معين ، وبالتالى تنتهك الديمقراطية والحرة للحرية باسم الديمقراطية والحرة (راجع مقالة الزميلة نجلاء المصري في نفس العدد) ، إلا أنها مشابهة باروسفر لمديري الحملات المصنوعة للمرشحين بحيث يتدخلون تحت المرشح على تفسير استراتيجيته أو التركيز على عنصر دون آخر وهكذا . وعلى الرغم من أن هذه الاستطلاعات تعتمد في عملها على الشروط العلمية الواجبة في اختصار المعينة المسئلة ، إلا أنه علينا أن نتوصل الحذر في التعامل معها حيث أن نتائجها تشير فقط إلى نية المستمعين لدى التصويت ، وهي تتجدد هذه النية في الزمان المعدد ، والذي أجرى خلاله الاستطلاع ، ولا يمكن تعميمها على زمان آخر قادم لايعرف

ترامت الأحداث السياسية الانتخابية بشكل كبير في الفترة الأخيرة ، وبشكل فاق كل التوقعات ، فبعد تربع إدوار بلاديير لشهور عديدة على عرش استطلاعات الرأى باعتباره الرئيس الفرنسي القادم الذي سيخلف فرانسوا ميتران ، ويات الجميع يرتبه أروافه على أساس هذه الحقيقة التي لم تعد تنتظر - لكى يعلن عنها رسميا- سوى مجيى السابع من مايو موسعد الدور الثاني من هذه الانتخابات التي سيبدأ دورها الأول في الثالث والعشرين من أبريل . انقلبت هذه المعادلة الآن على إثر الأحداث السياسية على الساحة الفرنسية والتي ستحدث عنها .

والجدير بالذكر أن بلاديير في منتصف شهر يناير الماضى حمىها أفادت استطلاعات الرأى كان يهزم على ٢٩٪ من الأصوات ، بينما كان يهزم كل من شيراك وجوسبان على ١٧٪ لكل منهما ، ووصل رئيس الوزراء الفرنسي المرشح لأعلى نسبة مئوية في نهاية شهر يناير نفسه حينما حقق ٣٠٫٥٪ ، بينما حقق خصمه شيراك ١٨٫٥٪ ومرشح الحزب الاشتراكي جوسبان ١٥٫٥٪ . وبداية من شهر فبراير أخذت استطلاعات الرأى منحى عكسيا لبلاديير فحقق أول تراجع له ، رغم احتفاظه بالتمة ، حين وصل إلى ٢٨٪ ووصل جوسبان إلى ٢٠٪ ، بينما تراجع شيراك إلى ١٨٪ ، ثم بدأ هذا المنحى يأخذ اتجاها خطيرا لبلاديير في نهاية شهر فبراير حيث تراجع لأول مرة بمعدل ثمانى نقاط مرة واحدة حين حقق ٢٠٪ من الأصوات وأحتل المركز الثالث ، بينما احتل شيراك لأول مرة أيضا المركز الأول بمعدل ٢٤٪ ، وأحتل جوسبان المركز الثانى بمعدل ٢٣٪ ، وفي آخر استطلاعات الرأى التي تمت في الصف الأول من شهر مارس حاز

وطالبت الحكومة الفرنسية ترحيلهم للولايات المتحدة ، وتساءل المتهنون عن مصدر تسرب هذا الموضوع لوسائل الإعلام في هذا الوقت بالذات ، وبادر وزير الداخلية بأنهم الأمريكيون ، وكذبت السفارة الأمريكية أن يكون المصدر أمريكياً ، وطلب رئيس الوزراء من وزرائه عدم الخوض في هذا الموضوع بعد أن أصبح على كل الألسنة ويتبعى الحديث في الموضوع ، وتوضيح صيغة بلاديير رئيس الحكومة المرشح ، حتى أن البعض من معسكر شيواك قد تبرع بالقول بأن من ضمن طالع شيواك ألا يقبضه وزير الداخلية الحالي الذي تسب من قبل في خسارته ، وهو يقوم بنقل المهمة مع رئيس الوزراء ، وبلاديير يشعر بأن باسكوا أصبح فعليا عبئا عليه ، إلا أنه في

شوليه له بالرفسة وشليس قريب من وزير الداخلية باسكوا ، وذلك للضغط على د. مارشال الذي يقوم أحد أقرانه من القضاة بالتحقيق في فضيحة مالية خاصة بالاسكان الشعبي في المنطقة الانتخابية التابعة لوزير الداخلية ، وعلى الرغم من أن بلاديير تقي علمه بتفاصيل الموضوع متعللاً بأنه قد أعطى معلومات خاطئة ، وقدم المسترول البوليسي استقالته ، إلا أن الرأي العام يعرف أن المسترول الكبير خلف هذه العملية هو شيواك باسكوا نفسه وزير الداخلية والذي يساند رئيس الوزراء في انتخابات الرئاسة ، وحتى ينزل آثار هذه الفضيحة من الأذهان أعلن عن كشفه شبكة التجسس الأمريكية المكونة من دبلوماسيين أمريكيين يعملون في السفارة ،

المحققين والفنانين أعلنوا تأييدهم له ، والبعض منهم كان محسوبا على اليسار مثل فريدريك ميتران المذيع المعروف وابن أخ الرئيس ميتران ، وبيير بيرجيه الرئيس السابق لمؤسسة إيف سان لوران وغيرهما ، وصاحبت الحموية التي اتسمت بها حملة شيواك متعاقب كبرى لرئيس الوزراء إدوار بلاديير ، إذ أن ممارسة السلطة تعرض صاحبها لتيارات شتى غير متوقعة وتجعله عرضة لتقلبات المناخ السياسي ، فإلى جانب مظاهرات طلبة المعاهد الفنية ضد قانون يحد من استمرارهم في الدراسات العليا ، وقد تم سحقه ، نجد الفضيحة التي باتت تعرف باسم مارشال - شوليه وهي الخاصة بتصريح رئاسة الوزراء لسلطات البوليس بالقبضت على د. مارشال وذلك بعد ساعات من اتهام



في استطلاعات الرأي شيواك وجريبان
بخطيان بلاديير

نفس الوقت لا يستطيع التدخل عنه ، فأرأى رئيس الوزراء ، كنيتسمن ، خلال وجوده في صوفيه مؤيداً شرعية الحزب الديمقراطي إذ أن بأسكرا شخصية صامتة ومؤثرة تاريخياً في الحزب ، إضافة إلى أنه شخصي ، ويعرف التعامل مع الجمهور . وهذا مايفتقده بلايدر شخصياً ، والا متصدق عليه الشائعات من حيث أنه أرستقراطي ولا يحسن التعامل أو التفاعل الجماهيري . ولأن المصائب تأتي جملة دائماً فقد نشرت جريدة " الكاناز أنشيه " الأسبوعية أن رئيس الوزراء قد باع أسهما يمتلكها عقب تميمته رئيساً للوزراء محققاً فائداً للقيمة قدر ٢ مليون فرنك ونصف ، وأن هذه الأسهم قد اشتراها من الشركة التي ترأسها بشتن تفصيلي ، ويقام لفظ آخر يعضل رئيس الوزراء على إثره نشر قائمة بملكوته . هذا ومازالت سماء رئيس الوزراء مليدة بغيرهم أخرى فإشرايات صال ومرفوق جزيرة كوروسيك دخلت أسبوعها الثاني للمطالبة برفع الأجور ، وكذا يطالب صال رينو في إضرابهم إضافة إلى العاملين بشركة فرانس أنصير الجوية الذين بدأوا إضراباً احتجاجياً على التنظيم الجديد للشركة والتي لمعرض البهمن منهم للجدال . كل هذا يوضح جلها أسباب قلب المعادلة الانتخابية وتراجع رئيس الوزراء .

تطورات الموقف في مسيكر
 البشارة في هذا الجانب أيضاً انقسمت بعض السحب ووضعت الرؤية بعض الشيء ، فما كان يمكنه بالأساس أصبح اليوم والما إذ قدس الحزب الراديكالي المحسنان مع الاشتراكيين ترشيح زعيمه جان فرانسوا أوردي لانتخابات الرئاسة ضد رغبة بعض الأعضاء القنصلي في الحزب ، ولعل أهم ماسيكر هذا الترشيح هو اعتراض نجم الحزب برنارني جيل ترشيح أوردي وإعلان مساندته لرفع الحزب الاشتراكي ليوتيل جوسبان ، والمعروف أن الحزب الراديكالي يدين لنابيه في تحميمه نسبة كبيرة من الأصوات في الانتخابات الأوروبية الماضية باعتبارها شخصية تجذب وسائل الإعلام إليها ، ولعل هذا الموقف سوف يؤثر كثيراً على ماسيكر أن يحصل عليه مرشح الحزب من أسوات كسا رأينا في استطلاعات الرأي ، تراق هذا مع إعلان جوسبان مرشح الحزب الاشتراكي الداخل في المعركة الانتخابية متأخراً لبرنامجهم والتي انشغل على موضوعات خاصة بالمجتمع ، ويبرز الإيزد ، والمأرة ، والإصلاح الاقتصادي ، ويتطرق في برنامجهم لشئ التفصيل

التفصيل . ويتواكب مع إعلان البرنامج حديث غايية في الأهمية الأولى مساندة " حركة المراطيين " المنشقة عن الحزب الاشتراكي برئاسة جان بير شيفانغ ، وزير الدفاع الأسبق لجوسبان كمرشح للاشتراكيين بعد فترة تردد استمرت طويلاً وذلك بسبب اعتراضهم على التوجه اليساري الذي أخذته الحزب الاشتراكي في الفترة الأخيرة ، هذا ورغم استمرارهم في معارضة توجه الحزب فيما يتعلق بمعاودة مساعيهم التي ما تزال ترفضها الحركة . الحدث الثاني هو خروج الرئيس ميتران عن صمته ليعان أخيراً في ١٢ مارس أن ليوتيل جوسبان قادر على بلورة أمل وحائق اليسار إذ يؤمن بأن يفعل ، ولهذا سعى سراً - حسبما أعلن ميتران - أن يصوت له ، بل ويتبنى من كل من وقفوا معه حتى اليوم أن يفعلوا مثله ، في إشارة واضحة لن أعلنوا مساندتهم أخيراً لعمدة باريس جاك شيراك . ورأى هذه المساندة لتقطع الشائعات التي انطلقت عن موقف الرئيس الذي لم يكن قد أعلن بعد ، ولما نفس الوقت لتعطي شرعية لمرشح الحزب من أهم شخصية تاريخية عرفها الحزب الاشتراكي الفرنسي ، وقبل أسابيع من مفادته لقصير الإيزيد .

برامج المرشحين ومن خلال التطورات التي استعرضناها نستخلص أن رئيس الجمهورية المقبل لن يخرج عن المرشحين الثلاثة شيراك وجوسبان وبلايدر ، ومن هنا سنحاول فيما يلي عرض أهم ما جاء في البرامج الثلاثة خاصة فيما يتعلق بثلاثة موضوعات لها الأهمية القصوى هنا خاصة للمرشح المعادي وهي: العمل ، والتعليم ، وهياكل الدولة .

العمل
 - بلايدر : ويشمل برنامجهم على خفض عدد العاملين من ٣ مليون حالياً إلى ٢ مليون وحتى سنة ٢٠٠٠ . باعتبار أن هذا هو هدف أول ، إضافة إلى تخفيض ما يتحصله الشركات اجتماعياً على مرتبات موظفيها ، خاصة للمرتبات الصغيرة ، وتمتية عمل النصف وقت الذي ينبغي أن يشكل ٢٥٪ من فرص العمل ، كما سيساعد على تشجيع المرأة على الانسحاب من سوق العمل ، وأخيراً منح العاملين الحق في التعليم لثلاث سنوات لتفسير توجهاتهم ووظائفهم المهنية وهو يقترح إعطاء منحة قيمتها ٦٠ ألف فرنك لثراء ، لتزول الأول للتزوج حديثاً .

- شيراك : وهو يقترح إطلاق حملة قومية تنشر سرباً عن تحديد حق جديد هو

الحق في النشاط الاجتماعي ، وهي لهجة اجتماعية جذيلة على شيراك الذي يعطي الأولوية للعمل ، وهو يتفق مع بلايدر في خفض ما يتحصله الشركات اجتماعياً على مرتبات موظفيها معياراً هذا هو السلاح الرئيسي ضد البطالة . وهو يقترح على وجه الخصوص تخفيض الفترة الصباحية للمواد التعليمية في البطالة والتي تدفعها الشركات التي توظف . والنقطة الهامة التي يضيفها شيراك في برنامجهم هذا وقبزه هو بلايدر في التشهير بالتمهيش ومراجعتها لذا فهو يدعو إلى إتخاذ إجراءات خاصة للمساعدة في توظيف أكثر العاملين فقراً ، وإعطاء الحق في السكن الاجتماعي ، بل ويذهب شدة التصريح بالمصادرة في الحالات القصوى ويخشي خلق صندوق لضمان الدين الخاصة بالإسكان .

جوسبان : ويتفق جوسبان مع منافسيه فيما يتعلق بتخفيف العبء المالي الذي تتحمله الشركات على مرتبات موظفيها ، ويدخل في تفاصيل هذه العملية بالأرقام . والإجراء الآخر هو تمهيش ضريبة الـ CSG (وهي المستقطع الاجتماعي العام الذي أحدثته حكومة ميشيل روكار الاشتراكي على كل المرتبات) على كل الدخل بما فيها الرأسمالية ، باستثناء ما ذات التوفير . ويتفق جوسبان مع برامج حرية الاشتراك فيما يخص إعادة بناء الضواحي ، وتطوير الخدمات للأشخاص والعمل على الأرض من أجل البيئة . أما فيما يتعلق بالمرتبات فيدعو جوسبان إلى توازن حقيقي بين المرتبات وأرباح الشركات . ويدعو المرشح الاشتراكي إلى تحديد ساعات العمل الأسبوعية إلى ٣٧ ساعة بدلاً من ٣٩ ساعة حالياً وذلك في سنة ١٩٩٧ دون خفض للمرتبات . وهو كذلك يصرح بأن لديه الفكة في المفاوضات بين النقابات وأصحاب العمل على أن تدريس كل حالة على حدة حتى يحدد الوسائل الفعلية . ويرى جوسبان ضرورة فرض ضريبة واحدة في الألف على حركة رسوم الأموال العالمية ، وفرض ضريبة أخرى على الأرباح التي تحصل بمضاربات البورصة .

التعليم
 - بلايدر : يقترح رئيس الوزراء إعادة تنظيم الإنفاق المدرسي ، بحيث تخصص الفترة الصباحية للمواد النظرية أو الأساسية ، ولفترة بعد الظهر للأنشطة الثقافية والرياضية . ويرى المستوطنون عن حملته تلك أن هذا الإجراء - يتطلب عشرة آلاف معلم جديد أي ٤ مليار فرنك . كما يرد بلايدر أن يستفيد الطلبة الذين يرسمون في امتحاناتهم

في شهر يونيو بإجراء ملحق تكميلي خلال الصيف لمقرضوا امتحانات أخرى في سبتمبر . وهو يقترح مد مدرسة الصيف تلك إلى مراحل تعلم الإعدادي والثانوي ، وهو يعد بتقديم فرصة عمل أو فرصة تأهيل أو تكوين لكل شاب لم يبلغ بعد العشرين عاما ، مع تطوير التعليم .

شوراه

ويقترح عمدة باريس استفتاء حول التعليم لكي يلتزم باكر إصلاح حول الموضوع ، وهو يقترح أيضا فكرة أنه بمجرد أن يكون الشخص طالبا فهذا يعطيه الحق في دخل حد أدنى أثناء الثلاث سنوات الأولى للدراسة وذلك للطلاب غير القادرين كما يندرج في تدخل المناطق والشركات في إدارة المرحلة الأولى الجامعية (السنة الأولى والثانية الجامعتين) ، وهو يتفق مع بيلاري في إعادة تنظيم الإيقاع الدراسي دون أن يعطى كشرا من التجهيزات ، ويدعو بهذا تشجيع الاندماج الاجتماعي لكافة الرجال والنساء ، عن سبديعن إلى الإشراف على الأنشطة الثقافية والرياضية التي تشمل اليوم التفراس الجديد . ويشمل برنامجهم أن يرفل لكل مدرسة مكتبة لتوفير الاستقلال الذاتي للمعلمين وتطوير التعليم .

جوسبان : ويعتباره وزير تعليم سابق فهو يرد أن يحدد إطلا ، الأولى للدرسة على المستوى المالي والسياسي . وهو يرد أن تركز المدرسة على المعارف الأساسية وعلى إتقان اللغة الفرنسية . على أن يتم التركيز في التعليم الإبتدائي على تعلم القراءة والكتابة والحساب ، ويتم التركيز في الإعدادي والثانوي على تعلم المواد الذهنية ، مع التكملة بالمعلوم التجريبية والاختبارات العملية المبينة للعبة الفنية . ويدعو جوسبان دفع صلاحية الشهادات العاتية عن الخبرات المكتسبة منها مقربا بين التعليم المهني والشفاقة العامة ، وعلى أن تتناسب مواهب المدرسين مع شروط التعليم ، وتطوير استقلال المدارس بمقدور متعددة السنوات . وهو يعلق أيضا بمقدور بين الجامعة والدولة والمناطق لتطوير التساوق مع الجامعة ، وإعادة تنشيط الخطط الاجتماعية للطلاب .

هياكل الدولة

- **بيلاري** : وشجع بيلاري الإبقاء على الفترة الرئاسية كما هي سبع سنوات غير قابلة للتجديد ، على أن يصره هذا الأمر للبرلمان للتصويت عليه فإذا أقرها البرلمان فسوف يطبقه على نفسه . ويقترح إقامة الاستفتاءات بإمادة شعبية ، وتوسيع حقل

تنظيم السلطات العامة للإصلاحات الخاصة بالمجتمع . كما يقترح بأن يسمح للمواطنين بإسكانية اللجوء إلى المجلس الدستوري ، ويعد هذا الحق حركا حتى اليوم على الأجهزة العامة . كما يقترح تنظيم استفتاء لتخصيص نسبة لتمثيل المرأة في الجمعية الوطنية . وهو يقترح عموما بأن تخضع كل الإصلاحات الدستورية إلى استفتاء عام في السنة أشهر الأولى التي سطى إنتخابات الرئاسة (في حالة نجاحها بطبع .

شوراه : ويدعو شيراك - حسب قوله - أن يرد للفرنسيين الهيمنة على مصيرهم ، وأن يحد التأكيد على حقوق المواطن . وإذا كان بعيدا للاتصال للملكية لمؤسسات الدولة المروثة من عهد ديجول فإنه يلتزم بإعادة الممارسة الدستورية ، لهيمنة الجمهورية الخاصة والتي تتعدد في أن الرئيس يترأس ، والحكومة تحكم ، على أن يكون البرلمان نفسه شيئا آخر على ما هو عليه كسرح طر . وهو يدعو البرلمان إلى الجدل والحق الفعلي للجانين والمراقبة الناجمة لأفعال الحكومة . وهو يقترح أيضا توسيع قمل تطبيق الاستفتاءات ، كما اقترح هذا من قبل في إصلاح التعليم .

جوسبان : ويدعو جوسبان تخفيض الفترة الرئاسية من سبع سنوات حاليا إلى خمس سنوات يمكن تجديدها ، وأن يطبق هذا على نفسه شخصيا . وسوف يخضع هذا التفسير للاستدور للمواطنين عن طريق الاستفتاء . وهو يرى ضرورة منع البرلمان من أن يعرّضوا على مستويات تنفيذية في مناطقهم المحلية على أن يخضع تعديده هذا لاستفتاء آخر ، ويعتني أن يرد للبرلمان مكانته ودوره في مراقبة الحكومة وفي الإقتال من استخدام المادة ٤٩ - ٣ من الدستور (والتي تجيز للحكومة إقرار بعض القوانين دون اللجوء للتصويت ، وللمعارضة الحق في طرح سحب الثقة من الحكومة إذا عارضت القرار) والتي لا تستخدم كثيرا في القوانين العترة .

استراتيجية المرشحين : حتى اليوم فهناك إلى جانب المرشحين للسلطة مرشعون آخرون من اليمين واليسار ، ففي اليمين المنطوق هناك « الحركة » من أجل فرنسا التي يتزعمها المنشق اليميني فليب ديشوليه والذي ينظر حسب استطلاعات الرأي المحصول على ٧٠٪ ، وهناك الجبهة الوطنية التي يتزعمها جان ماري لوين وهي الحركة المعروفة بعنادها للأجانب وتنظر مرشحها المحصول على ٨٪ ، وهناك حركات

البهينة المنتمية على نفسها فيمثل حزب الخضر « مستولية دومنيك فونيه ومن المنتظر أن تحصل على ١٪ » ، وقيل « جيل البهينة » برس لاندون ومن المنتظر أن يحصل على ١٠٪ » ، وقيل « الخضر المستقلين » انطون فيشير ومن المنتظر أن يحصل على ١٪ ، وفي اليسار هناك حزب « قوة العمل » الذي تقلد أربلت لاجمبيله ومن المنتظر حصولها على ٣٪ ، والحزب الشيوعي الفرنسي ، والذي يمثله سكرتيره العام وروبر إي ومن المنتظر حصوله على ٨٪ ، ثم مرشح « الحزب الراديكالي » جان فرانسوا أوري ومن المنتظر أن يحصل على ١٠٪ (نصف في المائة) ، وبالطبع لا ينتظر أحد من هؤلاء المرشحين الوصول إلى الدور الثاني ، إلا أن ماسيرونين عليه من أصوات في الدور الأول سيشكل حيز المناورة المسرح لهم به مع المرشحين اليمينيين موزانان الدور الثاني من هذه الانتخابات (وهما الحاصلان على أعلى نسبة من الأصوات) بحيث يستطيعين إملاء شروطهم فيما لا حازوا من أصوات في الدور الأول ، لإجبار المرشح إلى أن يأخذ بعين الاعتبار مطالبهم التي تعبر عن مصالح كواسمهم الانتخابية ، ولا سحبا عنه تأييدهم ، وعلى هذا الأساس يخوض الجميع هذه الحملة بقس الحيوية والمثابرة على أمل التأييد في مسرحي الدور الثاني من الانتخابات .

يبقى أن نقول إذا أراد اليسار الفرنسي أن يكون مؤثرا وفعالا في هذه الانتخابات الرئاسية فإنه مطالب اليوم أكثر من أي وقت مضى بتجميع صفوفه ، وتلك الاشتراكيين للشجاعة الواجبة لتدارك أخطاء الماضي منذ وصولهم للحكم في مايو سنة ١٩٨١ ، والتي تسببت في التكتكة التي لحقت بهم حينما منى الحزب في الانتخابات التشريعية الماضية في مارس ١٩٩٣ بأقصى هزيمة لحقت به ، عبرت عن استياء الناخب اليساري وإحباطه ، لذا تقاضى نظام على أساس صراعة مصالح المبعثين والعاطلين وذوي الدخل المحدود في حجر الزاوية ، إضافة إلى التنسوق بين أحزاب اليسار برمتها خاصة بين الحزبين الاشتراكي والشيوعي الذي ساهم التعاون بينهما في وصول ميتران للسلطة في سنة ١٩٨١ . فمثل سيستوعب اليسار دروس الماضي القريب ، وتعلن على بعد أسابيع قليلة من الدور الأول هذا مستجيب عنه صناديق الانتخابات في مساء نفس اليوم .

على هامش الانتخابات الفرنسية:

الديمقراطية التقليدية وديمقراطية الرأي العام

ألسنا نشهد اليوم تحولاً جليواً في العملية السياسية التي باتت تتمحور حول «بارومتر شعبية السياسيين» واستطلاعات اتجاهات التصويت بدلاً من البرنامج الانتخابي وعملية الاقتراع التقليدية؟

هل أصبحت العملية الديمقراطية وجوهرها حرية الناخب في التعبير عن اختياره مهددة بالإغراق المستمر بنتائج مثل هذه الاستطلاعات؟ أم أنه حكم الرأي العام، أو «ديمقراطية الرأي العام»، على حد تعبير المفكر، الآن ملك في كتابه الأخير بنس المتوازن؟

سوق الاستطلاعات

يستعرض «مايكل بالمارة» رئيس قسم الاتصال بجامعة السوربون كيفية تحول استطلاعات الرأي العام في فرنسا من مجرد أداة قياس لخدمة العملية السياسية إلى جزء أصيل منها بل ومحرك وفاعل رئيسي بعيد تشكيل الخريطة السياسية، وتوزيع القوى عليها ويحدد فرص هذا المرشح أو ذاك في النجاح.

فرنسا -ركما يضيف في حواره- تعد أكثر دول العالم استخداماً للاستطلاعات بشكل عام، فالمتوسط السنوي يقارب ما بين ٦٠٠ إلى ٧٠٠ استطلاع أي حوالي خمسين استطلاعاً في الشهر الواحد.

ثلاثة عوامل تضافرت معاً للوصول إلى هذه المرحلة: الأولى، هو علاقة السياسيين بوسائل الاتصال الحديثة وبخاصة التلفزيون، «هيجول» -على الرغم من كونه رجل قلم ورجل ميكروفون- اضطر لمواجهة التلفزيون في بداية انتشاره، إلى تلقي دروس في الإلقاء والأداء، بالكوميدي قريصوق، ورواجبة الشاشة الصغيرة أصبحت إحدى ضروريات الأداء السياسي خاصة مع الأزمات المتلاحقة التي تهدد الصحافة المكتوبة. فالصحافة الفرنسية تعيش أزمات اقتصادية متتالية ظل انخفاض أعداد البيع نتيجة لارتفاع ثمن الجريدة اليومية بما يشكل عبئاً على قطاعات متعددة من القراء، وانخفاض عائد الاعلانات من جهة أخرى بعد انهيار المعلنين إلى شاشات التلفزيون.

أما العامل الثاني، فهو تبعية منظم مهني واجتماعي بفصل وسائل الإعلام عن الحكم، فيبعد أن كان شعار «هيجول» أن «التلفزيون هو الحكومة في غرفة»

علاء العزى

مترجم



منذ أكثر من عشرين عاماً، فجر هوازنبيرج بكتابه «الدولة الاستعراضية L'ETAT-SPECTACLE»، جدلاً واسعاً حول دور وسائل الاتصال في العملية السياسية، واليوم، مع بدء الانتخابات الرئاسية، يصد الجهد أكثر ضخماً وعنفاً، فاستطلاعات الرأي العام حول اتجاهات التصويت وشعبية المرشحين لا تخلو منها وسيلة إعلام واحدة، ويتم بشكل يومي -تتصدر نتائجهما نشرات الأخبار في الإذاعة والتلفزيون بنسب الأهمية والجاذبة التي ستتم بها إذاعة نتائج الانتخابات الفعلية وحولها يتشكل الحوار السياسي ودعاية المرشحين بما فيهم الحزب الشيوعي والذي ظل لفترة طويلة يرفض الدخول في استطلاعات الرأي العام.

والسؤال الذي يصدور على الساحة الفرنسية: هل يجب التصويت في الانتخابات القادمة أم أن هذه الانتخابات قد انتهت قبل أن تبدأ ولذا بها نهم الاستطلاعات الأولى -مهلهل؟



أدوار بلادي

الطعام. وبعد أن كان يرميهم ويرى ان الإذاعة والتلفزيون هما صوت فرنسا ، كان أحد مطالب حركة ١٩٦٨ الأساسية هي حرية الإعلام . وهو ما تحقق بالفعل مما بين الحكم وما بين الإذاعة والتلفزيون. وهو فصل أتى على مراحل وعلى مستويات مختلفة وتحقق أيضا بدرجات متفاوتة . فالفصل القانوني لا يعنى بالضرورة ترجمة في الواقع العملي. فلقد من مرور أجيال حتى يستقر الفصل في أذهان الصحفيين والسياسيين معا.

وخصخصة وسائل الاتصال وخاصة التلفزيون والتي بدأت في فرنسا عام ١٩٨٥ هي العامل الثالث ، فمع ظهور شبكات التلفزيون الخاصة ، تحولت العلاقة فيما بينها إلى علاقة تنافس مما جعلها تتسابق إلى مثل هذه الاستطلاعات لجعل منها سببا صحفيا يصد نثراتها الإخبارية كل ليلة.

هذه العوامل مجتمعة، جعلت استطلاعات الرأي مهنة مربحة ويقدر سوق دراسات الرأي العام في فرنسا اليوم بأربعة مليارات من الفرنكات تقريبا نحو ٣٥ مؤسسة . وإن كان الجزء الأكبر منها يذهب إلى ست مؤسسات تهيمن على الأولى. فهذه المؤسسات وإن كانت تهرص على أن تتخذ من الاستطلاع السياسي واجهة لها إلا أن نشاطها الرئيسي هو قياسات آراء المستهلكين حول السلع المختلفة ، فالقياسات السياسية لا تعدى لعملياً ٧٠٠ مليون فرنك فقط.

الرأي العام المذهب

ومن الصعب ، في الحالة الفرنسية- وكما يوضح استاذ الاتصال -تصور عدم الموضوعية لماهية يحكمها ميثاق شرف تم تقييده عام ١٩٧٨ ويحاول وضع أسس علمية لاختيارات الميثاق وتسجيل الآراء وتحليلها. ومع ذلك ، يثير استاذ الاتصال تساؤلا هاما : إلى أي حد يمكن الوثوق بأراء سياسة يتم التوصل إليها بنفس الأدوات المستخدمة لقياس آراء المستهلكين حول نوع الشاي المفضل أو المبرد المحبب الأكثر مفعرا ؟!

والخبرة تكمن في الهدف الرئيسي لهذه الاستطلاعات وهي ما يطلق عليه «شريحة المقيدين» وهم هؤلاء الناحسون الذين لم يحددوا بعد اختياراتهم ، والعدد أكبر من أن يتم إحصاءه. فهو يزيد عن هؤلاء الذين يترا مواقفهم مسبقا . والنسبة تصل إلى ٦٠ بالمائة في مقابل ٤٠ بالمائة فقط.

الحفاظ على الرأي العام أولا، في حالة إثارة واهتمام واعية. ولأنها، في حالة سواتية، فمع فقدان كل درجة في بارومتر شعبيته، يلجأ السياسي إلى القيام (بعمل ما) يستعيد به الدرجة المفقودة وتتحوّل بذلك أجهزة الإعلام إلى شريك في العملية السياسية ليس خصم ومكتمل في أن واحد.

والإشكالية تتزايد مع تراجع أدوار المؤسسات التقليدية وأزمة الأحزاب السياسية وفقدانها لشرعيتها في الشارع الانتخابي، تدو ولي ظل «ديمقراطية الرأي العام» تبدو الأدوار في حاجة ملحة إلى إعادة التعريف بما يحول دون أن تصبح استطلاعات الرأي مجرد غطاء لإضفاء الشرعية على قرارات تم اتخاذها بعيدا عن وعي الشارع وعن التناوب الحقيقي في مجتمع تتزايد فيه الروابط وتترقق ما بين النخبة السياسية والنخبة الاعلامية ليشكلا معا جسدا واحدا ومعالج متحدة.

والرأي العام المذهب أكثر عرضة للتأثير بفعل ما يسمى (بملازمة الصوت) فالالحاح المستمر بأراء واختيارات محددة وتقنيها على أنها رأي الأغلبية، يجعل الناخب المذهب يميل إلى اتباع (هذه الأغلبية الوهمية) عملا يبدأ «وهجرة القطيع» ويسقط بذلك في حظوظية الصوت حيث يتشكل مرقده لانهاء على قناعاته العقلية بل بالأساس خوفا من الخروج عن المصراع.

استراتيجية إعادة القفز

ولى ظل سيادة «ديمقراطية الرأي العام» تصبح العملية السياسية تابعة لحركة الرأي صعدا وهبوطا بما يعنيه ذلك من تحويل العمل السياسي إلى أداء آتى، هذه الحفاظ على درجة الشعبية التي يحوزها السياسي بغض النظر عن ارتباط ذلك بسياسات طويلة الامد. واستراتيجية «إعادة القفز» هي محاولة

معاهدة لحظر انتشار الأسلحة النووية.. أم لتأييد احتكارها لصالح قلة مميزة؟ نتيجة النزاع حول شروط التمديد ستوضح وجهة النظام العالمي الجديد..

الأوسط حيث توجد دولة نووية واحدة وهذه بالذات لا تتوقف عن التشكيك من أن العرب وجيران العرب يريدون القضاء ، عليها ، والمطلب المصري المستودع عربيا بأن تنضم إسرائيل للمعاهدة بحيث تصبح منطقة الشرق الأوسط منطقة خالية من الأسلحة النووية بالإضافة إلى أنه يلبي شروط الأمن القوي فهو يمثل بالتحديد مبادئ تصوص هذه المعاهدة أن تحققه.

العصر النووي أتى بالموت لمئات الآلاف في هيروشيما وناجازاكي

لأزال الأمريكيون يحدون صمبره في الاعتراف بإحدى كبريات جرائم القرن العشرين ، جريمة ضرب هيروشيما وناجازاكي بالقنابل النووية في صيف ١٩٤٥ . وفي حوار نشرته انترناشيونال هيرالد تريبيون (١٨ - ٢٠ - ٩٥) يكتب جريجوري كلارك ليس فحسب مبررا للجريمة النووية آنذاك ، بل ومطالبا اليوم بالإبقاء على السلاح النووي - طبعاً للحفاظ على السلام - !! فالمشكلة في نظره لاقتلها القنبلة النووية بل تتصل في " التصديق" المرحومين في كل بلد والذين يمكن بدون الرد أن يرى أنهم يمتصونها في حروب لا عدد ولا حصر لضحاياها ، في الحوار المذكور يكتب سيليج هاريسون مطالبا بتخليص العالم من الأسلحة النووية ويقول: " يتضح أكثر فأكثر أن الولايات المتحدة تراجع هزيمة مذلة لجبهتها البارزة لضمان التمديد غير المحدود وغير المشروط لاتفاقية حظر انتشار الأسلحة النووية . غير محدود ، نعم . ولكن ليس بدون شروط إن كان هذا يعني تعميم هيك



محمد موسى



بعيد عن التصور أن يأتي يوم ١٧ أبريل (موعد تقديم معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية) بنهاية حاسمة للنزاع حول شروط التمديد .. والسؤال هو : إن كان هذا النزاع سينتهي بالتمديد للمعاهدة التمهيدية إلى مالا نهاية ولا قيد أو شرط كما تريد أمريكا أم تتجبع دول العالم الثالث واليهابان في انتزاع حق الأمن المصاوي مشاركة في صياغة عالم بلا أسلحة للإبادة الشاملة ، بلا إحتراز ولا هيمنة ، والاحتسار الثالث هو أن يتوصل المختلفون إلى صيغة انتقالية مؤقتة.

والأمر المؤكد هو أن هذا النزاع يمثل أحد أهم وأخطر المعارك حول صياغة النظام العالمي لما بعد نظام القطبين ، وستكون نتيجته بمثابة قرعة للأمن والمهادنة التي سيتم عليها هذا النظام الجديد .. هل ستكون مساواة في الحقوق والواجبات بين الدول أم ستكون مواصلة نظام السيطرة والاستغلال والتهديد اعتداء على احتكار القوة والثروة؟

لو فشلت الدول غير النووية في انتزاع قرار بملء زعمى لنزع كامل وشامل للأسلحة النووية على نطاق العالم مقابل توقيها على التمديد النهائي للمعاهدة النووية ستكون الدول المانكة للأسلحة النووية قد كسرت احتكارها لهذه الأسلحة وبالتالي تفرقتها العسكرية إلى أجل غير مسمى.

والمرحوم الذي شد انتباه الرأي العام في بلادنا هو موقف مصر في مراجعتها (حظر) النووي الإسرائيلي والاحتياز الأمريكي لإسرائيل ، وقد سعت الدبلوماسية المصرية لتعبيبه العالم للوضع المصعب في الشرق

- الفوائد المحتملة للتفجيرات النووية السلمية ينهض تميمها على الموقعين على الاتفاقية (مادة ٥).

التزامات الدول غير النووية

- عدم استلام أسلحة نووية أو قبول سلطة التصرف فيها ، وعدم إنتاج أسلحة نووية ، والامتناع عن مساعدة آخرين أو تلقي مساعدة أجنبية لهذا الغرض . (مادة ٢)

- قبول إجراءات التأمين " Safeguards " التي تفرضها منظمة الطاقة النووية الدولية IAEA والتي تطبق على كافة المواد التي تدخل في الإنتاج ، وبخاصة المواد القابلة للتشطير وتطبق كذلك على كافة الأنشطة النووية.

التزامات مشعركة:

- عدم إعطاء مادة انشطارية لأخر إلا إذا تفرقت إجراءات التأمين .

- تسهيل وتشجيع الاستخدام السلمي للطاقة والتبادل العلمي التكنولوجي وتقرير عقد مؤتمر كل خمس سنوات للتحقق من الوضع . وفي المؤتمرات الأربع المتعلقة حتى الآن جرت نقاشات ساخنة حول

٧٠٠٠٠ انسان حتى نهاية عام ١٩٤٥ . وتأثر بأصابتها مايتراوح بين ٢٧٠٠٠ إلى ٢٨٠٠٠٠ انسان ، وكثير من المصابين ، ويموتونهم باليابانية " هيباكوشا " ، ماتوا في السنوات التالية أو هم يعانون حتى اليوم من إصابتهم .

ماذا نريد اتفاقية حظر انتشار الأسلحة النووية ..

بعد مقارنات دامت عدة سنوات في إطار ماسي فيما بعد مؤتمر نزع السلاح CON- FERENCE ON DISARMEMENT تم توقيع اتفاقية حظر انتشار الأسلحة النووية وأصبحت نافذة منذ سنة ١٩٧٠ . ويمكن تلخيص أبرز محتويات الاتفاقية واسمها بالانجليزية Non Proliferation Treaty

التزامات الدول النووية

(وجرى تصديقها على أنها الدول التي أنشئت أو فُجرت سلاسل نووية قبل ١-١-١٩٦٧ ، وبناء عليه فهي الولايات المتحدة الأمريكية ، والاتحاد السوفيتي ، وبريطانيا ، وفرنسا والصين الشعبية)

- عدم إعطاء أسلحة نووية لأخرين أو مساعدتهم للحصول عليها . كذلك منحوع وضعها تحت تصرف آخرين (مادة ١) .

كوني للقوة يسمح خمس قوى مميزة بالمحافظة على أسلحتها النووية مع حرمان الآخرين من إمكانية الحصول عليها ، وكتب في الولايات المتحدة لازالت تحتاج على الأقل لعشرين صرنا للحصول على الأغلبية البسيطة لتعديل الاتفاقية ، وخبر إلى أن التقد المرجح إلى الموقن المصطب للقوى النووية لا يأتي فقط من دول العالم الثالث بل من اليابان أيضا ، وذكر بأن اليابان قدمت في نوفمبر الماضي مشروع قرار لإحدى البلدان الرئيسية والأمم المتحدة بحث الدول النووية " على مواصلة المفاوضات من أجل خفض التزاد والمتوازن للأسلحة النووية في ضوء المادة ٦ من اتفاقية حظر الانتشار وقد جرى فيما بعد " تخفيف " الصيغة بناء على الضغوط الدبلوماسية المكثفة التي مارستها الولايات المتحدة التي أفارها أن المبادرة جاءت من حليف عسكري لها .

في شهر مايو قبل ٥٠ سنة تكلل الانتصار العسكري السابق للحلفاء على ألمانيا بتوقيع جنرال كايتل ، أعلى العسكريين الألمان رتبة على وثيقة التسليم في كاراز هورست في شرقي مدينة برلين .. وكان الحلفاء قد انتصروا قبلها على إيطاليا واعتبر مصير اليابان العسكري محسوما ، ولم يكن إعلان الاستسلام إلا مسألة وقت .. في تلك الأيام ، وفي مكان ما من صحراء نهر ميسيسكي في الولايات المتحدة الأمريكية كانت الاستعدادات جارية للقيام بأول تجربة لتفجير قنابل نووية .. وفي ١٦ يوليو ١٩٤٥ سجلت القيادات العسكرية والسياسية الأمريكية نجاح تجربة " ترينتي " النووية .. ولم ينتظر الأمريكيون طويلا على ما أرادوه إعلانا عالميا - وبشكل خاص رسالة معددة العنوان " إلى الاتحاد السوفيتي - عن تفوقهم العسكري المطلق .

والتى الطيران الحربي الأمريكي قنبلتين نوويتين على مدينتين يابانيتين : في الساعة الثامنة والرابع صباحا يوم ٦ أغسطس ١٩٤٥ القنبت القنبلة المسماة " لوبلر بوي " الولد الصغير وهي قنبلة يورانيوم تبلغ كيلو طن على مدينة هيروشيما ، وأسأبت القنبلة بأثارها ١٤٠٠٠٠ إنسان مباشرة ، مات منهم ١٤٠٠٠٠ حتى نهاية عام ١٩٤٥ ، وفي الساعة الحادية عشرة ودقيقتين صباحا من يوم ٩ أغسطس ١٩٤٥ جرى تفجير قنبلة البلوتونيوم " فات مان " الرجل المسين " وقوتها التفجيرية ٢٢ كيلو طن فوق مركز مدينة نجازاكي وقد تسببت في موت

كل



جهد قيام الدول التي تملك السلاح النووي بتطبيق الالتزام بنزع السلاح المنصوص عليه في المادة السادسة.

وقد تولت دول عدم الانحياز المحصورة من الرغبة الأتانية في الهيمنة ، تولت الدفاع عن مصالح العالم الثالث ، بل وعن مصالح البشرية كلها عند طرح مطالب خاصة لم تنفذ حتى اليوم:

- ١- إنهاء التجارب النووية
- ٢- وقف إنتاج المواد الصالحة للاستخدام في الأسلحة النووية.
- ٣- تجميد وتغلغل القدرات النووية المبرجة تدريجياً.
- ٤- فرض حظر عالمي على استخدام الأسلحة النووية.
- ٥- إعطاء ضمانات أمن بدون هيوز لكافة الدول التي لا تملك أسلحة نووية.

العالم والاتفاقية

لم تلعب جهود الدول المهادرة بالاتفاقية في إنتاج كل دول العالم بالتوقيع ورغم أن معظم الدول النامية قد انتقدت بهذا الشكل أو ذاك تقسيم العالم إلى فريدين . الأول ، هو أعضاء النادي النووي ، وهو ناد خاص بأصحاب القنبلة النووية ، ويشكل ما لحقهم العسكريين وأصدقائهم الموثوق فيهم من ناحية . والثاني ، هو بقية دول العالم غير المسحور لها بالتحول إلى دول نووية . إلا أن الدول النامية وقعت الاتفاق مع ذلك امتحاناً للأمر الواقع من ناحية ، ومن ناحية أخرى اقتناعاً بأن السعي لتطوير مثل هذه الأسلحة سيقتضي على فرض التسمية وليس مضموناً أن يزيد ضمانات الأمن (لأن الجيران سيعلنون الشيء نفسه ..) ومن ناحية ثالثة أملاً أن يتحقق وعد "الكبار" بفخايل العالم من هذا السلاح البشع . ولكن الدول القليلة التي لم توقع تخسفت في براعمها وأخافها اختلافاً بينا . ومن أهم الدول التي لم توقع : إسرائيل ، والهند وباكستان ، والأرجنتين ، والبرازيل .

إلى متى تتوكل اللعبة الخطيرة في يد الطفل المدلل ؟ وبينما يرأس الغرب الإشارة لحظر انتشار الأسلحة النووية عند كل من خزل ليس من أعضاء النادي النووي ، ينذر أن يشير لدولة إسرائيل التي تملك ما يقارب مائتين وتسعون رأساً من السلاح النووي ، ويعتدل بتكرار الغرب وجود أو يحاول التهورين من قبح الخطر الهائل الذي يمتدده شعوب

الشرق الأوسط بتزاح السعار لا عن نظرة علمية مؤسسة على القانون الدولي وحقوق الشعوب بل عن متعصر ، بل عن منهج للتعامل بعمالير مزدوجة تعيد ذاكرة الشعوب إلى عهود تزدى البشرية وتصريح وزير الدفاع الأمريكي بأن حديث العرب عن خطر نووي إسرائيلي هو نظري وعاطفي وأيديولوجي " لم يته المخاوف بل زاعدا . والبعض من أصدقاء أمريكا الزمعتين يتذلل أن ترفض فكرة العالم العسكرية الأولى مجرد الاعتصاف بالواقع المادي المائل ، أن تنهج القيادة الإسرائيلية التي تواصل في نهاية القرن العشرين التكفير بتخطي المهاجرين الصهيونية في القرن الماضي والذين خرجوا من بلادهم للاستيلاء على " أرض الميعاد " لاعتبارهم الثورة بمثابة " حجة ملكية " يؤكد أن " العاطفية والأيديولوجية " هنا تريد في جانب القيادة الإسرائيلية . وهي وكان العمى والصمم قد أصابها لآثر التطوير الجباري في العالم العربي والحفاظ على التفوق الحضاري الأرضي العربية والحفاظ على التفوق العسكري على البلاد العربية مجتمعة . ورغم أن امتلاك إسرائيل ، ككل صغير ، مهما قيل عن تقدمه فهو محدود الإمكانات للقتلة النووية ، ينبغي على الأقل أن يكون مشاراً لتساؤلات عن أحتمال تسرب أسرار التكنولوجيا النووية إليها ، إلا أن أحداً في الجهات العالمية المسؤولة عن اتفاقية منع انتشار الأسلحة النووية لم يملك خاطره بتتبع هذه القضية . ولاتفت هذه المسألة عشر معشار الاهتمام الذي يولونه لإشاعات بل يطمع عليها دليل عن احتمال عزم هذا البلد أو ذاك من بلدان العالم الثالث للحصول على أحد أسلحة الإبادة الجماعية أو تطويرها . وحتى عندما ذهب شاهد من أهلها " هو العالم النووي الإسرائيلي فانونز إلى إنجلترا ليلطق وهو الرجل المزمع بالسلاح صهيونية مخبرين ، المغامرات النووية الإسرائيلية لكي يتحرك العالم . سلموه للموساد ليعيده إلى إسرائيل ويتنقم منه شر انتقام ومن الجدير بالذكر أن حقن الإنسان ، ولم تحاسب مسؤولاً واحداً عن القتل الشنيع الذي ارتكب بتسليم لاجئ . كل هذا وغيره كثير يبعث على التساؤل : هل نجحت الاتفاقية في منع انتشار الأسلحة النووية ؟ أم أكدت الاحتكاك النووي بينا . على منحنى تميزي؟ منذ أن رعدت الأسلحة النووية

بدأت جهود عديدة لحظرها . ولكن كل هذه الجهود فشلت حتى الآن : ولكن منذ عام ١٩٧٠ أصبحت اتفاقية حظر انتشار الأسلحة النووية نافذة المفعول .

وقتل هذا الاتفاقية صفة " مزدوجة قتل جانبها الرئيسي في أن تتخلى " البلدان النامية " عن التطلع لامتلاك أسلحة نووية مقابل أن تحصل على دعم يكتسبها من الاستخدام السلمي للطاقة النووية ومقابل الرد بتحقيق نزع الأسلحة النووية إلى جانب هذا كان أن أعلنت بلدان صناعية متقدمة مثل ألمانيا واليابان وكندا والسويد تغليبها عن تطوير الأسلحة النووية مع الاحتفاظ بالحق غير المقتصر في الاستخدام السلمي للطاقة النووية في المجال " المدني " ومع السماح بعمليات التصدير النووية الممنوعة التي لاتتوخى إلا جزئها للرقابة . هذه الاستراتيجية الزويدة والتي يتبين بوضوح أنها لم تستغل خدمة المصالح الأمنية بحسب بل كان هدفها وبشكل حاسم خدمة المصالح الاقتصادية ، لم تزد إلى التناح.

إن اتفاقية حظر انتشار الأسلحة النووية هي فعلياً وقانونياً اتفاقية تمييزية . فهي تحدد مرة واحدة وإلى الأبدية خمس دول نووية ولاتحدد أية إجراءات للرقابة على هذه الدول . كما أن القيم الإحصائية والنسبائية الدارج للاتفاقية قد أدت بالمثل إلى أن ترجعت اتفاقية الحظر بشكل مزيف على أنها اتفاقية لمنع استمرار انتشار الأسلحة النووية بدلا من النظر إليها كاتفاقية هدفا لإنهاء انتشار الأسلحة النووية عموماً .

من هنا فإن الرضا العربي للتوقيع على هذه الاتفاقية هو تأكيد لمبدأ الأمن المتساوي وتوضر هام على رفض الشعوب للنظام التمييزي القائم . وأمام القرب فرصة كبرى لكي يشهد أن النظام الدولي الجديد " يراعى بشكل متساو مصالح الشعوب ، وبشكل خاص يعطيها ضمانات جديده لأمنها الوطني ، ويمنح أصحابها بالتالي الأسلحة لتخصص موارد بكل أطمئنان للتنمية السلمية ، وهذا يتطلب بشكل واضح لا يقبل الجدل اعتراف الدول النووية التي في حوزة إسرائيل وتفكيك مصانعها النووية ، واستبعاد مؤسساتها البحثية للرقابة الدولية . بدون هذا سيصبح على أي سياسي عربي إنتاج رجل الشارع بصحة التوقيع على هذا الاتفاق . ماذا يراه من العالم الثالث وماذا يريد العالم الثالث؟

لم يشغل الإعلام الألماني نفسه إلا فيما ندر بالسلح النووي الإسرائيلي دون أن يلقى بالا للقلق العربي المبرر، حتى الصمت الأوروبي والأطلسي القريب بالنسبة لقرار جيبا من أوروبا لم يهرك قلما ليهب القضية بما تستحقه من اهتمام، فقط صحيفة "Taz" التي بادرت منذ فترة بنشر ملف من موضوع الاتفاقية حررت بالمجامع المعارضة للسلح النووي ولكل استخدام للنو لخطاظره على البشرية (شورتويل) . ويمكن أن نعرف مكان الخطر الذي ينته إليه الإعلام الألماني بشكل يرمى في الشرق الأوسط إذا فتحنا أية صحيفة أو مجلة . ففي صيغة المناشحات وفي الصبر والتصرص للمساحبة لها يواجه القارئ بإشارات موجحة لتشكيل رأى عام محدد تجاه هذا الجزء من العالم : منشيت عن عضو منظمة حماس الذي لمن الجندي الإسرائيلي في الأرض المحتلة .. وصورة الأم الفلسطينية الشكلى التي ترلع مسدا(ا) داعية للشار لابنها الذي قتله الإسرائيليون .. والتأكيد على دين خاطفى الطيارة الفرنسية في مطار الجزائر في كل النشرات الإخبارية .. حتى التصريحات الحقا، للناسة الإيرانية وإلى تذكر أحيانا بالمخضر الذي يلق في الشارع ليرتعد المارة بالليل والشهور تستخلف حجة ودليلا على الخطر القمبل.

المضحك المبكى هو أن صدام الذي اعتدى على بلد عربي إسلامي وسفك دم حسب بلده والشعرب الجارة بحسبه صحفيين وكتاب مطحيين ضمن عناصر " الخطر الإسلامي " والقضية الكبيرة تكمن في الخطأ الذي لا يتوقع في بعض الصحف ووسائل الإعلام الإلكتروني، وعلى مستويات مختلفة . بين الإسلام دين مليار وأكثر من البشر، ونشاط قوى سياسية تستخدم العنف للوصول إلى أهدافها.

في هذا الجو جاء الاهتمام الألماني الآن بموضوع مد المعاهدة في الانقياء المتوقع .. بدون كلمة واحدة تطالب إسرائيل بالتوقيع وبالتالي بالتعهد بالتخلي عن خططها النووية العسكرية، ووصل التحيز لأن تهائم إحدى القنوات التلفزيونية الألمانية الموقف المصري الذي يطالب بأن توقع إسرائيل على المعاهدة الأمر الذي اعتبره المعلق تهديدا لإسرائيل وعرضها للحرب على الدولة المصرية المهددة من جيرانها؛ وإعطاء صورة من الأفكار المتداولة في ألمانيا عندما يجي ذكر مشاكل الشرق الأوسط تذكر بما كسبته كبرى الأسبوعيات السياسية الألمانية " دوشيفيل"

عن أن وثائق الخطط العسكرية لدى قيادة الجناح الجنوبي لحلف الأطلسي في نابولي تركز على اختار وتحديث ثلاثة في المحيط وهي بنصر كسلام المجلة : " الإسلام، والأصولية، وإرهاب الدولة " وتقرن هذه الأخطار كما تصنيف المجلة بالسعي للحصول على أسلحة نووية وكيميائية، مثل إيران وليبيا، وتقرن من هذه الممان أقرال بعض الرسوين إذ يحدد وزير الدفاع الألماني أكبر مصادر الخطر الراهنة في : " شرق أوروبا والشرق الأدنى والأوسط والمغرب وبقية منطقة البحر الأبيض المتوسط " ويقرر أن احتمال استخدام القوات في الجناح الجنوبي أكبر من احتمال القتال في وسط وشمال أوروبا (. در شيفيل - ١٨ - ٧ - ٩٤ عدد ٢٩ ص ٢٣ - ٢٦) . والكتاب يبيتر شول - لاتور الذي نصب نفسه خبيرا في شئون العالم العربي والإسلامي يتحدث عن الاضطراب الكامن في أحشاء المنطقة العربية الإسلامية، وتقدم صورة مرعبة لما ينتظر العالم بسبب هذا كتاب: سيف الإسلام - ثورة باسم الله أن أصرنا كثيرة لعلماء جادين وفتيات الكتيبة

حسم الصراع حول انتشار السلاح النووي، ومبادئ التي سيقوم عليها النظام الدولي الجديد

الدول النامية التي وقعت على الاتفاقية تسعى لتوسيع فرص التنمية في بلادها..

اتفاقية حظر انتشار الأسلحة النووية، لاتعدد أية إجراءات رقابية على الدول الخمس..

وعارفين يشئون العالم العربي والإسلامي ترفض صورة العدو " التي يرسمها البعض لشعرب المنطقة العربية الإسلامية والتي تستخف لتحملا الفراغ التي كانت تشغله الشيوعية سابقا، وإذا كانت أحداث العنف التي تتكرر في المنطقة تقدم غلاا للتفسيرات السطحية المغلوطة لماذا لاقترو أحداثا مماثلة في أسبانيا وإيرلندا وغيرها لاستنتاجات مماثلة..

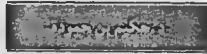
في ١٧ أبريل سوف العرب جميعا أمام السؤال : هل يصوت العرب بنعم حسب الرغبة الأمريكية وتظل اسرئيل دولة نووية ؟ والموقف المصري والعربي المطالب بتطبيق مبدأ الأمن المتساوي والرفض للتفرقة في الأمن القومي والإقرار بالهيمنة الإسرائيلية هو خط دفاعي أخير .. لا بد من الأمن للتساوي تبقى الهيمنة .. ولهذا الموقف أهمية كبرى في شد عود الموقف المشترك لكثرة من الدول النامية المتعضيد مؤخرا .. والسؤال الذي يلهم المشاعر الوطنية للمصريين والعرب هو : هل تستطيع مصر .. هل يمكن رغم كل الارتياحات والقيود المعروفة، نستطيع أن نسال : هل تستطيع مصر .. هل تريد مصر .. مستخدمة إلى قن الملصق عن النفس : تلعب دورا حاسما وتسهم بهذا في إخراج العالم من مأزق الاحتكار والابتزاز النووي؟ أن رفض دول العالم الثالث التي تملك إرادتها للتصديق بشرط أمريكا هو تأكيد لمبدأ الأمن المتساوي ومؤشر هام لرفض الشعوب للنهج التمييزي القائم، واللحظة الراهنة بالتصديق تحتاج لتسويق بين شعوب ودول العالم الثالث للدفاع عن مصالحها الأمنية ولكيلا تترسخ إلى الأبد حالة التعرض للابتزاز النووي .

إن البقعة تجاه الخطر النووي الإسرائيلي ضرورة لاغنى عنها .. ولكن نزاع السلاح النووي الشامل والكامل على نطاق العالم، التي تزعم السلاح النووي الأمريكي والروس وغيره أيضا هدف لا يقل أهمية أن لم تكن قد تسبنا تهديد أمريكا باستخدام الأسلحة النووية في عام ١٩٧٣ عندما حاولنا استرداده أرضنا المحتلة.

أن مصلحة العرب هي بالتاكيد في السلام .. في عالم بدون سلاح نووي أو كيميائي أو بيولوجي أو تقليدي من أسلحة الإبادة الجماعية - والتي النافذة في تنادي النووي قادرة على طمان العرب بتحقيق المبدأ القانوني الشايت : مسبد الأمن الشكايف : السلام يتطلب العدالة .. يتطلب الأمن الشكايف : السلام

الاقتصاد العالمي:

هل يسلم هذه المرة من أمواج المكسيك؟!



يعود المكسيك ليطفو من جديد على الساحة الاقتصادية العالمية لتهب في أخطر فترتها الاقتصادية العالمي منذ انهيار البورصات العالمية في أكتوبر ١٩٨٧، وترجع هذه الأزمة إلى قرار الحكومة الجديدة في ديسمبر الفائت بتحويل سعر صرف العملة الوطنية (البيزو PESO) مع الدولار أمام المخرج الهام للرسميل من المكسيك وهجرتها إلى السوق الأمريكية نظراً لتدري الوضع السياسي الداخلي، وقد نتج عن هذا القرار انهيار كبير في بورصة مكسيكو وامتداده إلى أغلب البورصات العالمية وبصفة خاصة إلى بورصة وول ستريت الأمريكية.

وقبل تحديد أسباب هذا الانهيار لابد من الرجوع قليلاً إلى الوراء لفهم خلفيات قرار الحكومة المكسيكية، وهنا لابد من الإشارة إلى تكوين السوق الأمريكية الشمالية منذ ستين بين المكسيك والولايات المتحدة الأمريكية وكندا، ويقتضي هذا القرار التزام هذه الحكومات بفتح الأسواق وبعزل كل الحواجز أمام حرية تنقل الرسميل وتحديد أسعار صرف ثابتة بين عملات البلدان الثلاث، وقد نتج عن هذا الاتفاق تحرك كبير لرؤوس الأموال التي اتجهت بصفة كبيرة نحو بورصة

مكسيكو نظراً لحالة الركود التي تمر بها بورصة نيويورك، وهنا لابد من الإشارة إلى أن الاستثمار الخارجي في أي بلد لا يمكن له إلا أن يأخذ شكلين أساسيين: الشكل الأول، هو استثمار يتجه نحو الإنتاج عبر خلق مؤسسات مشتركة أو فرع لشركة متعددة الجنسيات. أما الشكل الثاني، فهو استثمار مالي يتجه نحو البورصة لشراء أسهم في بعض المؤسسات الوطنية.

ويتضمن الاستثمار المالي مقارنة بالاستثمار الإنتاجي بحركة كبيرة جداً، ففي أي لحظة يمكن لأي مستثمر مالي أن يبيع حصصه وأسهمه في البورصة وأن يعود من حيث أتى، أما الاستثمار الإنتاجي فحركته أصعب باعتبار أن خروجه من البلدان يتطلب بيع الشركات التي تم تأسيسها وخاصة أدوات وآلات الإنتاج وهذه العملية تأخذ وقتاً أكبر من مجرد بيع أسهم في البورصة، وللرجوع إلى وضعها المكسيك لابد من الإشارة إلى أن الاستثمار الخارجي أخذ بصفة الشكل المالي واتجه أساساً نحو بورصة مكسيكو.

إلا أن تكوين السوق المشتركة يساهم في التخفيف من حدة هذه الأزمة السياسية في المكسيك، فإلى جانب تصاعد الحملات الانتاجية ضد الحزب الحاكم (الحزب الثوري المؤسساتي) فقد اندلعت في يناير ١٩٩٤ انتفاضة مسلحة حتى مقاطعة CHIAPAS التي يسكنها الهندو والذين تجاهلهم الحكم المركزي ولم يمكنهم من أبسط الضروريات للعيش، ولم ينجح الجيش الحكومي في القضاء على هذا التمرد العسكري مما دفع الحكومة، أمام تنامي المظاهرات المساندة للهندو، إلى فتح المفاوضات مع قادة التمرد.. إلا أن هذه المفاوضات لم تشرع عن نتائج إيجابية مما دفع قادة التمرد إلى مقاطعتها ومواصلة الكفاح المسلح.

ولم هذا المناخ السياسي المتأزم انطلقت الحملة الانتخابية الرئاسية في فبراير ١٩٩٤، وقد شهدت هذه الحملة اغتيال لويس كلوزيو (LUIS COLOSIO) نرشح الحزب الحاكم في ٢٣ مارس، وقد أثبت التحقيق الرسمي أن بعض أجنحة الحزب الحاكم كانت وراء هذا الاغتيال بما زاد الأجراء السياسية شتتاً. ولم يتمكن الرئيس المنتخب أرنستو زديلو (Ernesto Zedillo) من تكوين الحكومة الجديدة من خلق مناخ سياسي إيجابي وزاد نحو العمليات العسكرية وفي ظل عدم الاستقرار السياسي فقد بدأت

حماية الاقتصادية الوطنية وتقويتها... شرط ضروري من شروط التنمية

المجتمع الدولي بقيادة واشنطن سعى لجعل المكسيك واجهة لسياسات الهيكلية



كلينجر

انخفاض كبير في قيمة العملة المكسيكية قدر بـ ٥٠٪. ففي ظل آخر أسبوع من شهر ديسمبر -محاربة إيقاف هذا التزيف - عمل البنك المركزي على رفع نسب الفائدة التي مرت من ١٦٪ إلى ٣٢٪ في نفس الأسبوع. إلا أن ارتفاع أسعار الفائدة نتج عنه انهيار في البورصة وهجرة جديدة وكبيرة للرأسمال الأجنبي والوطني، من المكسيك إلى أسواق أكثر استقراراً، وهكذا دواليك.

ومنذ نهاية ديسمبر وأمام حدة الأزمة -المكسيكية شهد الاقتصاد العالمي أهم تعمية

الرساميل الأجنبية في مفارقة المكسيك شيئاً فشيئاً بما نتج عنه انخفاض كبير في مخرجات العملة الصعبة التي تقلصت في شهر ديسمبر الفائت من ١٤ إلى ٦٣ مليار دولار، كما شهدت مديرية المكسيك لرا كبيراً حيث وصلت إلى ١٣٠ مليار دولار في شهر أكتوبر.

وللتخفيف من ضغط خروج الرأسمال الأجنبي على ميزان المدفوعات قررت الحكومة المكسيكية تعويم سعر صرف العملة الوطنية مع الدولار، وقد نتج عن هذا التصور

في تاريخه المعاصر لحماية المكسيك من الإتهيار . وقبل تقديم برامج المصونة التي وقعت صياغتها ، لابد من الوقوف على أسباب هذه التعمية :

١- السبب الأول : على رأينا ، سياسي ويرجع إلى القسيمة الرمزية للمكسيك في الاقتصاد العالمي ، فقد عملت أهم البلدان الرأسمالية وبصفة خاصة الولايات المتحدة على جعل المكسيك نموذجاً وواجهة لسياسات التمديل الهيكلية لبرامج صندوق النقد الدولي والبنك الدولي ، فقد قدم المكسيك كنموذج للبلد الناجح نتيجة لتطبيقه سياسات البنك الدولي الليبرالية ، ومن هنا لم ينهيار المكسيك لا يمكن تفسيره إلا كصناعة ، وتكتل يبنى على هذه السياسات.

أما السبب الثاني ، فيرجع إلى أهمية السوق المكسيكية بالنسبة لترويج سلع البلدان الرأسمالية فيعتبر - المكسيك الذي يعد ٩٠ مليون ساكن ويحتوي على سادس المخرجات النفطية في العالم - قلعة من القلاع التي يجب حمايتها بالنسبة للبلدان الرأسمالية . ومن ناحية ثالثة فقد شهد تطور البورصة المكسيكية انخراط أهم البنوك الأمريكية وبالتالي فإنها بهار هذه البورصة سيبتج عنه خسائر كبيرة لهذه البنوك وهزة كبيرة في النظام العالمي .

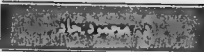
لكل هذه الأسباب شهدت الأزمة المكسيكية تعمية لم يشهد الاقتصاد العالمي لها مثيلاً وراقت الحرب العالمية الثانية لم يعد فشل أول مشروع للإدارة الأمريكية ، قرر الرئيس كلينتون فكيف المكسيك من قرض بـ ٢٠ مليار دولار ، أما صندوق النقد فقد قرر من جهته تقديم قرض بـ ١٢٨ مليار دولار إلى جانب هذه القروض لابد من إنسانة مساهمة لبنك المدفوعات الدولي بـ ١٥ مليار دولار و٣ مليار دولار كمساهمة من بعض البنوك الخاصة بما يجعل القيمة الإجمالية للقروض التي تحصل عليها (المكسيك تلقى ٥٠ مليار دولار).

إن هذه الأزمة الجديدة للاقتصاد المكسيكي تدفعنا للتفكير من جديد في حدود الاندفاع على الاقتصاد العالمي والاستقرار الخارجي في التنمية فقد بوئت تجارب بلدان العالم بما فيه الكفاية على ضرورة حماية الاقتصاد الوطني وتحتن قدرته على التصاطي مع الظروف الخارجية كمشروط من شروط التنمية.

الطبقة الوسطى المصرية الدور والإمكانية

المرحلة المعنية فيما لو كان يمر بالفعل بأزمة في تلك المرحلة.

ولعل هذا هو ما يلاحظ بصفة عامة- مع بعض الاستثناءات- على الاهتمام العلمي بالطبقات الاجتماعية في المجتمع المصري طوال العقود الثلاثة الأخيرة، ففي مرحلة الستينات انصب هذا الاهتمام على إبراز دور التحولات الاقتصادية والسياسية التي شهدتها هذه المرحلة في تحقيق قدر من العدالة الاجتماعية بين مختلف طبقاته الاجتماعية في تلك المرحلة مقارنة بحالة الظلم التي كانت سائدة بينها في مرحلة ما قبل قيام ثورة يوليو ١٩٥٢. كما انصب هذا الاهتمام أيضا على تناول أحوال الشرائع والفتاوى الاجتماعية التي مهدت بنضالها التاريخي لقيام تلك الثورة أكثر مما انصب علي تناول أحوال غيرها من الشرائع والفتاوى الاجتماعية الأخرى. أما في مرحلة السبعينات فقد انصب هذا الاهتمام على إبراز دور التحولات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية التي شهدتها هذه المجتمعات في الإخلال بمبدأ العدالة الاجتماعية وخلق حالة من الاستقطاب الطبقي في تلك المرحلة مقارنة بما كان عليه الحال بينها في مرحلة الستينات، فخلال من إبراز الدور الذي لعبته الطبقة العليا في إحداث هذه التحولات، ومن ثم في الإخلال بالمبدأ المذكور وفي خلق الحالة المذكورة على السواء، أما منذ بداية الثمانينات فقد تركز هذا الاهتمام-ولا يزال-على إبراز الدور الذي لعبته هذه التحولات في خلق هذه الحالة الأخيرة أي خلق حالة الاستقطاب الطبقي- مع إعطاء أهمية متزايدة نسبياً لإبراز دور هذه التحولات في إضعاف وتمهيش الطبقة الوسطى التي يرى البعض انه لو صلح حالها لصالح حال المجتمع المصري بأسره ونجاح أزيمته الزائفة.



السلبية والمهادنة كما طابع مشاركة الطبقة الوسطى في ثورة ١٩٥٢..

في ثورة ١٩٥٢، قادت الطبقة الوسطى عمليات التنمية الاجتماعية والاقتصادية...

هل ينجح التحالف الميساري في إنهاء المأزق الراهن للطبقة الوسطى المصرية؟...

ونحن في أواخر القرن العشرين، وفي إطار البحث الجاري عن إيجاد مخرج للأزمة التي بات المجتمع المصري يواجهها، ارتفعت في الآونة الأخيرة بعض الأصوات منبهة إلى أن السبب في هذه الأزمة يرجع إلى التدهور الذي تعرضت له الطبقة الوسطى، وبالتالي منبهة إلى أن المخرج من هذه الأزمة يكمن في التدهور الذي تتعرض له. فهل هذه الأصوات على حق في ذلك؟ وإذا كان ذلك صحيحا فإلى أي حد، وفي ظل أي ظروف؟

وتجسيدا لذلك يمكن القول إن: الاهتمام العلمي بالطبقات الاجتماعية في أي مجتمع، وفي أية مرحلة تاريخية معينة، يتزايد في حالة حدوث تحولات اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية، ومن شأنها التأثير بشدة على طبقاته الاجتماعية في تلك المرحلة، وإن الاهتمام يأتي غالبا- وبخاصة في جانبه العملي والسياسي- إما بهدف إبراز الدور الذي لعبته هذه التحولات في تحقيق قدر من العدالة الاجتماعية بين مختلف الطبقات الاجتماعية في هذا المجتمع في المرحلة التاريخية المعنية مقارنة بحالة الظلم التي كانت سائدة بينها في مرحلة تاريخية سابقة، وإما- خلافا لذلك- بهدف إبراز دور هذه التحولات في خلق حالة من اللامساواة الاجتماعية بين مختلف تلك الطبقات في المرحلة المعنية مقارنة بحالة العدالة الاجتماعية التي كانت سائدة بينها في مرحلة تاريخية سابقة. كما أن الاهتمام قد يأتي أيضا إما بهدف تناول أحوال الطبقة الاجتماعية التي لعبت دورا أكثر من غيرها في إحداث هذه التحولات- وسواء أكانت تلك الأخيرة تحولات سلبية أم تحولات إيجابية بالمعنى الاجتماعي- وإما بهدف تناول أحوال الطبقة التي يعتقد أن بإمكانها تخليص المجتمع من أزمته في

ولعل الهدف الأساسي لهذا المقال يأتي متشعباً مع هذا التصور بوجه عام، وذلك من ناحية أنه ينحصر في اهتمام بهذه الطبقة الأخيرة ككل، بدءاً بمحاولة تحديد نشأتها وتقييم دورها في المجتمع المصري في العصر الحديث، مروراً بمحاولة التعرف على مظاهر التدهور التي خلفت بها منذ الأخذ بسياسة الانفتاح الاقتصادي عام ١٩٧٤، إنتهاءً بمحاولة تقييم ما يذهب إليه البعض من أنه لو تم إصلاح أحوال هذه الطبقة لأمكنها مساعدة المجتمع المصري على تجاوز أزمتها الزائلة ونقله إلى عتبة مرحلة أرقى من مراحل التطور الاجتماعي. ويبدو أن محاولة تحقيق هذا الهدف لن تتيسر إلا من خلال تقسيم الحديث في هذا الموضوع إلى الموضوعات الفرعية الأربعة التالية:

التحديد

إنطلاقاً من أن طبيعة أسلوب الإنتاج السائد هي التي تحدد طبيعة التكوين الطبقي في المجتمع، فإن تحديد طبيعة الطبقة الوسطى في أي مجتمع - وفي أية مرحلة تاريخية معينة - يجب أن تستند إلى تحديد طبيعة أسلوب الإنتاج السائد في تلك المرحلة، فضلاً عن تحديد طبيعة الأساليب الانتاجية الأخرى التي قد توجد في ظلّه، مع الأخذ بعين الاعتبار طبيعة علاقة هذا المجتمع بالقوى المسيطرة عالمياً في تلك المرحلة. ولما كان تحديد مفهوم الطبقة الاجتماعية يستند أساساً إلى تحديد طبيعة العلاقة بوسائل الإنتاج، فإن تحديد مفهوم الطبقة الوسطى يمثل إشكالية منهجية ونظرية لا

يحلها أي من المفهومين الآخرين لمُحاضرين بالطبقتين الآخرين. والإشكالية المنهجية والنظرية التي يمثلها هذا المفهوم ناتجة عن إشكالية علاقة هذه الطبقة بوسائل الإنتاج. ذلك أنه في الوقت الذي تكتسب فيه الطبقة العليا مرفحتها الطبقي من صفة امتلاكها أو سيطرتها على وسائل الإنتاج - ومن ثم من صفة استغلالها لقوة عمل الغير بفرصه العضلي والذهني - وتكتسب فيه الطبقة الدنيا (العامة في الغالب) مرفحتها الطبقي من صفة عدم امتلاكها لتلك الوسائل أو السيطرة عليها - ومن ثم صفة اضطرابها الدائم لعرض قوة عملها للاستغلال من جانب الغير، فإن الطبقة الوسطى - وبخاصة الشرائع والنفثات الدنيا التي تتألف منها غالبية تلك الطبقة - تكتسب ذلك الموقع من صفة جمعها بين هاتين الصفتين معاً، إضافة إلى صفة أخرى وهي أنها نفسها تقوم بالعمل الذي يتطلب منه نشاطها الاقتصادي الخاص.

ولعل من أبرز ما يترتب على هذه العلاقة الخاصة بوسائل الإنتاج أن هذه الطبقة تصب - من حيث التكوين - أكثر الطبقات الاجتماعية حركية وأكثرها افتقاراً للتجانس، فلي أثناء التطور الاقتصادي والاجتماعي للمجتمع يجري الفرض الطبقي داخل هذه الطبقة، ويتبدل تركيبها باستمرار. فمن الداخل يرتقي بعض أفرادها إلى الطبقة العليا، ويهبط البعض الآخر إلى الطبقة الدنيا، ومن الخارج تستقبل في صفوفها بعضاً من الذين يهيئون إليها من الطبقة الدنيا^(١) وهذه الحركة الدائمة من الصعود والهبوط تؤدي إلى عدم تجانس تكوين هذه الطبقة باستمرار بانظر إلى

تكوين الطبقتين الآخرين. كما يترتب على هذه العلاقة الخاصة بوسائل الإنتاج أيضاً، وبالتكوين المرتبط بها، أن هذه الطبقة تصب - من حيث الموقف الأيديولوجي والفكري - أوسع الفئوس الاجتماعية وأكثرها تنوعاً في المجتمع، حيث تتعدد بداخلها التيارات الفكرية المختلفة أنماطها، بدءاً بأقصى اليمين انتهاءً بأقصى اليسار^(٢).

هذا بالنسبة للتحديد العام لتكوين وخصائص الطبقة الوسطى من الناحيتين المنهجية والنظرية، أما بالنسبة لتحديد دورها من هاتين الناحيتين فإنه يمكن القول أن تجارب التطور التاريخي للمجتمعات البشرية تكشف عن أن دور هذه الطبقة في تغيير مجتمعاتها تظهيراً جذرياً كان يتوقف على مدى حلها لعلاقات إنتاجية جديدة مناضة للمعوقات التاريخية السائدة، وعلى مدى قوة تكوينها وتجانسها وامتلاكها لأيديولوجية مناضة لأيديولوجية الطبقة السائدة تستطيع من خلالها تحرير نفسها هي كطية، وبحرير الطبقة الأدنى منها من سيطرة الطبقة السائدة. كما أن تجارب التطور المعاصر لهذه المجتمعات يدعس إلى القول بأنه: وإن كان دور هذه الطبقة قد تجدد في بعض المجتمعات، فإنه لم يحدد في البعض الآخر، وإن دورها في هذه المجتمعات أو تلك مرتبط بطبيعة التطور التاريخي الخاص لكل. فبعض الطبقة قد لعبت دوراً تاريخياً هاماً في المجتمعات الرأسمالية المتقدمة (وبخاصة في مجتمعات أوروبا الغربية واليابان) ولم يعد أمامها من دور في هذه المجتمعات سوى الحفاظ فيها على النظام من الانهيار الذي لا بد وأنه واقع فيها في يوم من الأيام. أما في مجتمعات البلاد النامية فإن هذه الطبقة لم تلعب فيها دوراً مطابقاً للدور الذي لعبته نظيراتها في المجتمعات الرأسمالية المتقدمة، وإنما قد أسهمت وحسب - إسهاماً متبايناً - في تنمية تلك المجتمعات، وأنه ما زال أمامها الفرصة للإسهام في هذا المجال مرحلياً فيما لو أنها عملت في ظل شروط معينة.

النشأة ومسار التطور

تتطلب معظم المحاولات الرامية إلى تحديد نشأة وتكوين الطبقة الوسطى في المجتمع المصري في العصر الحديث من حوالى غسة تيارات أساسية سبق وأن تناولناها بالتفصيل في عمل سابق^(٣). وهذه التيارات الخمسة هي: التيار الوطني في طبيعته التحليلية

محمد علي



والبنائينة ، والتجار الماركسي العقائدي ، والتجار القوميين وتجار التجميعية وتجار المحصرية التاريخية.

على أننا نستطيق في تناول نشأة وتكوين هذه الطبقة في المجتمع المصري في العصر الحديث من المحدد المنهجي والنظري الخاص بهذا التبنار الأخير، وهو المحدد الثقافي بتحديد نشأتها وتكوينها انطلاقاً من تحديد طبيعة أسلوب الإنتاج السائد في هذا المجتمع في المرحلة التاريخية المحددة، وتحديد طبيعة علاقاتها بوسائل الإنتاج في هذا الأسلوب أو في غيره من الأساليب الإنتاجية الأخرى الفرعية التي قد توجد في ظلّه ، مع الأخذ بعين الاعتبار طبيعة علاقة هذا المجتمع بالقوى المسيطرة عالمياً في تلك المرحلة، والاستعانة في هذا الصدد بالبعد التقارن كلما كان ذلك ممكناً وملائماً.

والواقع أن الاستعانة بهذا البعد الأخير تحتل أهمية خاصة في هذا السياق، وذلك من ناحية أنه سيسهل نشأة تكوين هذه الطبقة في المجتمع المصري عندما يتم تناولها من منظور مقارن بنشأة تكوين نظيرتها في المجتمع الأوروبي.

وفي ذلك يمكن القول : إن أسلوب الإنتاج الأساسي الذي ساد المجتمع الأوروبي في العصر الوسطى كان هو أسلوب الإنتاج الإقطاعي ، وأن هذا الأسلوب كان قد أسفر بمرور الوقت عن تبلور طبقتين أساسيتين في هذا المجتمع : هما الطبقة العليا التي تتألف من السادة الإقطاعيين والنهلاء والأشراف ، والطبقة الدنيا التي تتألف من الأتقنان والفلاحين الأحرار . وأن التناقضات الداخلية لهذا الأسلوب كانت قد أسفرت بدوره عن تبلور علاقات إنتاجية جديدة في رحم هذا الأسلوب ذاته، وهي العلاقات التي حملتها طبقة اجتماعية جديدة هي الطبقة الوسطى أو «البرجوازية» وكانت هذه الطبقة قد فرضت نفسها كطبقة جديدة تحتل موقعاً وسطاً بين الطبقتين المذكورتين في المجتمع الأوروبي . والأصل في نشأة هذه الطبقة - كما يقرر عاصم اللسوقي - هو أنها عبارة عن العناصر التي اشتغلت بالتبادل في فائض الإنتاج بين الإقطاعيات التي كانت كل منها تظل وحدة مستقلة اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً ، وأنه لما انتسبت حركة التبادل التجاري خرج هؤلاء التجار من قلب الإقطاعية إلى الحدود التي تفصل بينها وبين غيرها من الإقطاعيات الأخرى ، وقاموا بتأسيس مراكز تجارية Bourges في تلك



جمال عبد الناصر

هذه الطبقة في المجتمع الأوروبي تتألف من متوسطي رجال الصناعة والزراعة وكبار رجال الدولة والعلماء وكبار الموظفين والتسقيين والإداريين العاملين بهمازي الدولة والتقطاع الخاص، فضلاً عن كبار المهنيين من الأطباء والمهندسين والمحامين ومن في حكمهم.

كان هذا فيما يتعلق بنشأة وتكوين الطبقة الوسطى في المجتمع الأوروبي ، أما فيما يتعلق بنشأتها وتكوينها في المجتمع المصري فإنها كانت مختلفة عن ذلك إلى حد كبير، وهذا الاختلاف يرجع بدوره -وصفة أساسية- إلى اختلاف خصائص أسلوب الالتزام الذي ساد المجتمع المصري عن خصائص أسلوب الإقطاع الذي ساد المجتمع الأوروبي . حيث حال هذا الاختلاف بين أسلوب الالتزام وبين القدرة على توليد علاقات إنتاجية جديدة متنافسة لملاقاته الإنتاجية السائدة ، ومن ثم حالت بينه وبين القدرة على ولادة طبقة تحتل مكاناً وسطاً بين الطبقتين العليا التي تتألف من الملتزمين ، والدنيا التي تتألف من المحرقين والفقراء في المدن والفلاحين والمعدمين في الريف . وكان مما ساعد على ذلك -أيضاً- اختلاف موقع كل من هذين المجتمعين على خريطة النظام العالمي واختلاف السياق التاريخي بينهما بوجه عام. فبينما قبل العصر الحديث لم يشهد المجتمع المصري أسلوباً للإنتاج الإقطاعي

المراجع . وإلى جانب هذه المناطق الجديدة التي هاجر إليها هؤلاء التجار وأقاموا فيها في تلك المراكز هاجروا أيضاً إلى المدن اللاتينية القديمة التي كان سكانها قد هجروها وأقاموا فيها وعصروها . وعلى ذلك ظهرت المدينة الأوروبية الحديثة التي أنشأتها الطبقة الوسطى أو «البرجوازية» والتي جذبت إليها بمرور الوقت -إلى جانب التجار- المحرقين والصناع ثم النهلاء والأشراف واللوردات في وقت لاحق (٤).

وكانت هذه الطبقة قد حققت نموها هذا في ظل منطق التطور الداخلي المستقل للمجتمع الأوروبي ، بل وفي ظل محاولتها في كطبة -ومن ثم في ظل معارضة مجتمعاتها ككل- السيطرة على مجتمعات العالم الأخرى من أجل فتح الأتقان أمام تطور هذا المجتمع، وتخليص هذا التطور على حساب ذلك المجتمع.

ومع سيادة أسلوب الإنتاج الرأسمالي في المجتمع الأوروبي سادت هذه الطبقة ذلك المجتمع واحتلت قمة هرمه الطبقي ، غير أنه وأثناء صعودها هذا لتحقيق تلك السيادة صعدت بمرجه شرائعها العليا إلى موقع تلك السيادة بينما ظلت شرائعها وقائتها الوسطى والصغرى تشغل موقعاً وسطياً في إطار المجتمع الجديد ، ومنذ ذلك الوقت أصبحت

مُعَلِّماً شهيد المجتمع الأوروبي في العصور الوسطى ، ولذا شهد أساليباً أخرى غير ذلك وهو أسلوب الالتزام ، وربما كان من أهم الخصائص التي يختلف فيها هذا الأسلوب عن أسلوب الإقطاع الأوروبي - والتي حالت بينه وبين تبلور طبقة وسطى منافقة لطبقة الملاكين - اشتقاقاً مبدئاً للملكية الفردية للأرض الزراعية - من ثم اختلاف القويوات الخدمية لظهور مبدأ الصراع الطبقي - وما يترتب على ذلك من ظهور أشكال وعلاقات إنسانية جديدة منافقة للعلاقات الانتاجية السائدة ، واعتقاد هذا الأسلوب على الرأى النهري المركزية الإدارية المتوارثة - مقابل الرأى الطبقي - إضافة إلى الرأى النهري - إنسانية الإدارية في الأسلوب الإقطاعي ، وعدم سيادة شكل محدد من أشكال استغلال قوة العمل مثلما ساد في ظل هذا الأسلوب الأخير ، وإقامة الملتزمين المصريين في مقر الحكم المركزي (مدينة القاهرة) أو في غيرها من المدن الرئيسية الأخرى خلافاً للإقطاعيين الأوروبيين الذين كانوا يقيمون في جهات إقطاعاتهم ^(٨) . يضاف إلى ذلك أن المجتمع المصري في عصر الالتزام كان يمتص فخاصيتين أخريين يختلف فيها عن المجتمع الأوروبي في عصر الإقطاع . الأولى هي أنه نظراً لأن المجتمع كان ، وما يزال يعتمد على الرأى النهري والإدارة المركزية ، وكان معرضاً دائماً للغزوات الأجنبية - ويحتل موقعاً جغرافياً يتوسط طريق التجارة بين الشرق والغرب - فقد أُلِّف نشأة المدن من البداية وقبل أن يطقن فيه نظام الالتزام بوقت طويل و كان هذا المجتمع قد أُلِّف نشأة المدن من البداية إما لدواعي الأمن والدفاع ، وإما لدواعي الإدارة وإما لدواعي التجارة وبخاصة تجارة الترانزيت ، ومن الواضح أن هذا المجتمع يختلف في هذه الخاصية عن المجتمع الأوروبي الذي لم يألّف نشأة المدن الحديثة ، وبشكل ملموس ، إلا منذ أواخر العصور الوسطى وعلى يد الطبقة البرجوازية . والثانية هي أن المجتمع كان في عصر الالتزام يبرز تحت سيطرة القوى الأجنبية العنصرية خلافاً للمجتمع الأوروبي الذي لم يكن يبرز تحت سيطرة أية قوى أجنبية في عصر الإقطاع . لكل هذه الخصائص والأسباب لم يمتص أسلوب الالتزام الذي ساد المجتمع المصري عن تبلور طبقة وسطى مشابهة في علاقاتها الانتاجية وتكوينها ومكانتها وإنسانيتها تلك التي تفتض عنها أسلوب الإقطاع الذي ساد المجتمع الأوروبي ، ولذا يمتص عن تبلور طبقة تحل

علاقات إنتاجية غير منافقة تناقضاً جلياً مع العلاقات الإنتاجية السائدة الخاصة بأسلوب الالتزام وذات تكوين خاص وتقيم في الحضر والريف معاً . ولقد جاء تكوين هذه الطبقة في عصر الالتزام معبراً عن خصوصية التكوين الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والثقافي لهذا المجتمع في أواخر العصر برجه عام . ففي الحضر كانت هذه الطبقة تتألف من رجال الدين ومتوسطي التجار وأصحاب الورش الحرفية والصناعية والموظفين العاملين بجهاز الدولة . وفي الريف كانت هذه الطبقة تتألف من وكلاء الملتزمين ومشايخ البلاد والعاملين بالأجهزة الإدارية والأمنية الذين كانوا يتحصنون بدورهم للمعاملات القوية المسيطرة . إضافة إلى العائلات الأخرى التي كانت تحوز - من الباطن - على مساحات كبيرة من أراضي الملتزمين ، فضلاً عن العائلات التي كانت تمتص بهيمنة مساحات عائلية من الأراضي التابعة للوقت .

معنى ذلك أن المجتمع المصري قد استقبل القرن التاسع عشر وهو يفتقر إلى الطبقة الوسطى التي كان من الممكن أن تفسر - بعلاقاتها الانتاجية الجديدة - هذا المجتمع تغييراً جذرياً وأن تقود عملية التنمية فيه ، وتفرش عليه سياساتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية الشاملة . وفي ظل غياب مثل هذه الطبقة عن المجتمع المصري منذ أوائل القرن التاسع عشر ، كان من الطبيعي أن تتفكك «الدولة» وتحتل المكان الذي كان من المفروض أن تحتله هذه

سمد وهلول



الطبقة . وأن تلعب فيه الدور الذي كان من الممكن أن تلعبه فيه أيضاً . ولكن لما كان مفهوم الدولة ذاتاً يمد مفهوماً طبقياً - يعني أنه لا يمكن أن توجد دولة بدون قواصم طبقة - فإنه كان من الطبيعي أن تنشأ الطبقة الوسطى في المجتمع المصري في العصر الحديث بتسارعات من الدولة انتهت وبحثت رعايتها . وهنا يمكن الفارق بينها وبين الطبقة الوسطى الأوروبية التي نشأت من البداية بعيداً عن الدولة ثم سيطرت عليها فيما بعد .

ومنذ بداية القرن التاسع عشر تغير التكوين التكويني لهذه الطبقة وتطور تكوينها الحديث لأول مرة ، وأخذ تكوينها الأخير يتغير بمرور الوقت - كميّاً أكثر منه كئليّاً - يتغير الأساليب الإنتاجية التي تستخدم في المجتمع المصري في كل مرحلة تاريخية من مراحل التطور التاريخي المعاصر ، وذلك على ضوء نوعية علاقة هذا المجتمع بالقرى المسيطرة عليها في كل مرحلة من تلك المراحل .

ففي عصر احتكار الدولة الانتقالي (١٨٠٥ - ١٨٤٠) تغير التكوين التكويني لهذه الطبقة لأول مرة وأرسيت فيه دعائم تكوينها الحديث . وكان هذا التكوين التكويني لتلك الطبقة قد تغير في عصر محمد علي عندما قام هذا الأخير بالقضاء على مقومات ذلك التكوين ، وهي المقومات المتعلقة في نظم الالتزام والرقق والتجارة والإنتاج الحرفي ، كما أن دعائم تكوينها الحديث كانت قد أرسيت في ظل النظام الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والثقافي الجديد الذي أنشأه محمد علي . حيث أصبحت في الحضر تتألف من أعضاء البعثات التعليمية الذين كان محمد علي قد أرسلهم للتعليم في أوروبا وأصبحوا بعد عودتهم يتقلدون المناصب الإدارية والثنية الوسطى في النظم الإدارية ، الأمنية والتعليمية والزراعية والعسكرية الحديثة التي أنشأها الرأى في البلاد . كما أنها أصبحت في الريف تتألف من مشايخ وأعيان القرى والبلاد الذين منهم «محمد علي» حتى الانتفاع بهيمنة مساحات من الأراضي الزراعية تتراوح بين ١٠ - ١٥ ٪ إجمالياً مساحة حياة الأراضي الباقية في زمام قراهم أو ببلادهم نظير تعاونهم معه في الإدارة المحلية وحفظ الأمن واستضافة مندوبين الحكومة وكذلك من بعض زعماء البدر الذين كانوا يتحركون في أجناب الرأى والبلدشا ومنهم من انتفاع بهيمنة بعض الأراضي

الزراعية نظير تعاونهم معه في تحقيق الأغراض نفسها.

وعقب انهيار نظام محمد علي شهد المجتمع المصري عدة تغيرات اقتصادية واجتماعية وسياسية أسفرت في النهاية عن تطور أسلوبين إنتاجيين جديدين هما: أسلوب الإنتاج العقاري المخطط وأسلوب الإنتاج الرأسمالي. وبما كان من أهم هذه التغيرات تزايد اتجاه أصفاء الرأالي من بعده في منح متوسطي الموظفين والضباط - شأنهم في ذلك شأن كبارهم - المزيد من الأراضي الزراعية كمعاش لهم نظير الخدمات التي أسدوها للحكومة، وإعلان مبدأ الملكية الفردية للأرض الزراعية بموجب القرارات الصادرة في أعوام ١٨٥٦ و ١٨٥٨ ، ١٨٧١ ، والأخذ بالضريبة التقليدية بدلاً من الضريبة الممنوعة ، وإطلاق حرية التجارة بعد أن كانت حكرًا على الدولة ، وإطلاق حرية الفلاحين في زراعة المحاصيل التي يرغبون في زراعتها بدلاً من إجبارهم على زراعة محاصيل معينة ، وإلغاء الطوائف الحرفية في المدن والعمل الإجباري على الفلاحين في الريف - ومن ثم ظهور العمل الحر في كليهما - والتوسع في التعليم ، والاحتلال التجاري للبلاد عام ١٨٨٢ ومعارضة هذا الاحتلال إقامة أية صناعات وطنية.

وكانت هذه التغيرات قد أدت - أثناء ذلك - إلى ترسيخ المرفق الذي احتلته الطبقة الوسطى منذ أيام محمد علي ، وتنوع شرائعها وقراراتها الاجتماعية ، وجذب قهرها الرأس ورغاب معظم أفرادها على الانخراط في العلاقات الانتاجية الخاصة بالأسلوبين الاتجاريين الجديدين ، فضلاً عن انخراطهم في العلاقات الانتاجية الخاصة بشخصها من الأساليب الإنتاجية الأخرى القائمة في ظلها: فتلقت حصل الكثير من متوسطي المرفقين والضباط على ملكية مساحات متوسطة من الأراضي الزراعية عندما أسكن لهم المندوبين سيد تشريعاً يعطيهم مساحات من الأراضي الزراعية مقابل منحهم - شأنهم في ذلك شأن كبار المرفقين والقادة العسكريين مع أنفاسهم في حجم المساحة الممنوعة (٧) - بما كان من المندوبين أن يقسم الكثير من متوسطي المرفقين بشراء مساحات مماثلة من الأراضي الزراعية برباطة الأموال التي كورنها لأنفسهم يشتي السبل أثناء تأدية وظائفهم ، وإلى جانب ذلك لوحظ : "أن هناك قطاعاً هاماً من الملكية الزراعية المتوسطة قد قتل في استعمار عدد من المرفقين وسكنى المدن

- وخاصة التجار - على المخيلات التي كانت منتشرة في أماكن متفرقة وتبلغ مساحة كل منها بين ١٠ و ٢٠ فداناً (٨) ، وإضافة إلى هذه الشرائع والقوانين الاجتماعية المضرة التي أصبحت تتألف منها هذه الطبقة - والتي انخرط أفرادها كما ذكرنا في اقتصاد الريفي - ظهرت من جديد شرائع ولوائح اجتماعية أخرى كانت قد انزوت مثل شرائع وقوانين متوسطي التجار وأصحاب الورش الحرفية أو الصناعية ، كما كانت قد ظهرت لأول مرة - فئة اجتماعية جديدة هي فئة أصحاب المهن الحرة من أطباء ومهندسين وصيادلة .. إلخ ، وهي الفئة التي قام الكثير من أفرادها أيضاً بالانخراط في الاقتصاد الريفي من خلال قيامهم باستثمار أموالهم في شراء مساحات متوسطة من الأراضي الزراعية . أما في الريف فقد تحولت حياة الأراضي التي كان مشايخ البلاد والقرى قد حصلوا عليها في عصر محمد علي من مجرد حيازة للانقطاع إلى عصره إلى ملكية فردية بموجب صدور القوانين والقرارات الممنوعة بذلك ، والمعروف أن أفراد هذه الشريحة من ملاك الأراضي الزراعية كانت لديهم القدرة على إرسال أبنائهم للتعليم في المدن ومن ثم القدرة على الانخراط في الاقتصاد الحضري.

ولقد أشار البعض إلى أن الطبقة الوسطى - والتي أشار الواحد من أفرادها ما بين ٥ و ٥٠ فداناً - قد أصبحت تسيطر على ١٨٩٦ على ٩٠٠ و ١٧٧١ فدان بنسبة ٣٧,٧ لإجمالي مساحة الأراضي الزراعية في مصر ، وإلى أن عدد أفرادها كان يبلغ ١٣٦,٩٢٠ مائلاً يقطن ٢٠,٧ ٪ لإجمالي عدد الملاك الزراعيين في ذلك الوقت (٩).

ومند أواخر القرن التاسع عشر طلت الطبقة الوسطى في المجتمع المصري تنمو كمياً دين أن تنمو كينافياً إلا في أضيق الحدود ، والمقصود بهذا النمو الأخير هو غوها في المجالين الصناعي والتجاري ، وما يلاحظ بصفة عامة أن هذا النمو المحدد الذي حققته تلك الطبقة في المجالين المذكورين لم تحققه إلا في ظل انشغال القوى الأوروبية مع مصر بالحروب التي كانت تنشأ فيما بينها ، ففي أثناء انحسار الحروب الصليبية الأولى (١٩١٤-١٩١٩) انقطعت طرق المواصلات بين مصر وأوروبا عما شكل صعوبات أمام الأولى لاستيراد السلع الصناعية من الأخيرة وعاد الكثير من الأجانب إلى بلادهم فأتاح ذلك الفرصة لأهل الحرف التي كانت قد أوشكت على الانقراض للظهور مرة أخرى ،

فانتعشت صناعات النسيج والأدوات الجلدية والأثاث وكشفت محاسن الزيت ومطاحن الغلال وورث السبيل والحداثة والصناعة الدقيقة . كما كثرت الأموال في المدن والقرى ونشأت التجارة وارتفعت الأسعار وغنم التجار وأصحاب الحواريات الكثير من الأموال التي كانت الجيوش البريطانية قد اقتنتها في مصر وبعبارة موجزة استفادت الشرائع الصناعية والتجارية الوسطى من تلك الفرصة القليلة للمعرض وتعيش ما أصحابها من جود.

كما أن هذه الطبقة قد استطاعت أن تحقق نمواً ملحوظاً في المجالين المذكورين أثناء الحرب العالمية الثانية ، فلقد لوحظ أن عدد المنشآت الصناعية قد ارتفع من ٣٠٠ ٧٠٠ منشأة عام ١٩٢٧ إلى ١٢٩٠,٠٠٠ ألف منشأة في نهاية عام ١٩٤٤ ، كان من بين هذه العدد الأخير حوالي ٢١,٦٥٢ مصنعا يشغل بالإنتاج ويعمل بكل منها أقل من خمسين عاملاً والباقى يعمل بالإصلاح والصيانة (١١) كما قد لوحظ أن عدد المتاجر قد ارتفع من ١٣٨,٩٧٥ متجراً عام ١٩٣٧ إلى ٤٢٣ و ١٥١ متجراً عام ١٩٤٧ كان من بينها ١٤٧,٨٤٥ متجراً يملكها المصريون (١٢).

ومند قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ أخذت هذه الطبقة تنمو لتزججها إلى أن حققت أقصى معدلات النمو في الستينيات ، وكانت هذه الطبقة قد حققت هذا النمو في الستينيات في ظل القرارات الاشتراكية التي صدرت في مستهلها ، وهي القرارات التي أقصت الطبقة العليا عن الساحة وأقصعتها أمام الطبقة الوسطى ، حيث ازدادت الأحمال التنسبية للمرفقين العاملين بجهاز الدولة والقطاعين العام والحكومي ، كما ازدادت الأحمال الماثلة لأصحاب المشروعات الصناعية والتجارية المتوسطة ، فضلاً عن أصحاب الملكيات الزراعية الماثلة أيضاً.

ولقد كان لسياسة الانفتاح الاقتصادي تأثيرات سلبية قوية على نم هذه الطبقة كما وكيفا ، فلقد كان لإغراق هذه السياسة ، الأسواق المصرية بالسلع الاستهلاكية الأجنبية أن أغلقت الكثير من المصانع المتوسطة والصغيرة وأجبرها نتيجة لتراكم الخسائر السلبية وحول أصحابها إلى مزاراة الأثشطة الجديدة المرتبطة بتلك السياسية كما أن الأثشطة الصناعية والتجارية والخدمية المرتبطة بتلك السياسة قد ازدهرت على حساب الأثشطة الماثلة التي كانت مرتبطة

بسياسة نظام رأسمالية الدولة الوطنية في الستينات، كما كان لهذه السياسة تأثيرات ماثلة على النسر الكيفي للطبقة الوسطى ستشير إليها فيما بعد عندما نتحدث عن الدور.

الدور

حددت طبيعة نشأة وتكوين الطبقة الوسطى في المجتمع المصري المعاصر وذلك بالتضافر مع نوعية علاقة هذا المجتمع بالقرى المسيطرة عالمياً - طبقة الدور الذي لعبته هذه الطبقة في هذا المجتمع في مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والأكاديمية، ولعل طبيعة الدور التي لعبته هذه الطبقة في ذلك المجتمع توضح أكثر إذا ما قربت طبيعة الدور التي لعبته نظيرتها في المجتمع الأوروبي إبان انتقاله من الإقطاع إلى الرأسمالية.

فلأن الطبقة الوسطى في المجتمع الأوروبي كانت قد نشأت، وكما ذكرنا في رجم أسلوب الإنتاج الإقطاعي كطبقة جديدة حاملة لعلاقات إنتاجية ورأسمالية جديدة متناقضة للعلاقات الإنتاجية السائدة، واستطاعت أن تقهر هذا المجتمع قهراً جديراً فإنها كانت لذلك طبقة ثورية. كانت كذلك أيضاً لأنها -كما يذكر هاسم المدوقى- سيطرت على عناصر الاقتصاد وجمعت الحكومة تفرع التشريعات اللازمة لتحقيق فكرة البسطة، ولأنه أيضاً ظهر من بين صفوفها نفر من المفكرين الذين مهدوا الطريق أمامها لتولى السلطة.

عندما تخلصوا من أصل القانون، ونقلوا الحق الإلهي للحاكم إلى الحكم، نادوا بالعقد الاجتماعي لتعظيم العلاقة بين الحاكم والمحكوم... وهو التطور الذي كان قد انتهى بالقضاء على حكم الملوك والباطرة وتولى البورجوازية الحكم لتصبح جزءاً من مكونات الطبقة العليا في المجتمع وأحدى ثورتها على طريق تطورهما التاريخي المعروف.

والواقع أن دور هذه الطبقة في المجتمع الأوروبي لم يلق عند هذا الحد بل تعداه إلى حد تقياسها بالفصل بين الدين والدولة، بل والفصل بينه وبين العقل، واحترام هذا الأخير والاحتماء إليه عند النظر للظواهر الطبيعية والاجتماعية على نحو حيأ الفرصة لتطوير العلم بشقيها الطبيعي والاجتماعي، كما أن هذه الدور قد شمل أيضاً قيام تلك الطبقة بارتباطها بالكشوف الجغرافية والهيمنة إلى البلاد الجديدة وغزو البلاد القديمة وفتح أسواقها أمام

المنتجات الصناعية الأوروبية. ولقد كان من نتيجة ذلك أن حولت هذه الطبقة المجتمع الأوروبي من مجتمع ساكن ومغلق يعيش داخل حدوده في العصر الإقطاعي إلى مجتمع ديناميكي مفتوح يعيش خارج حدوده في العصر الرأسمالي.

أما الطبقة الوسطى في المجتمع المصري فلأنها لم تنشأ كطبقة حاملة لعلاقات إنتاجية جديدة متناقضة للعلاقات الإنتاجية السائدة، وإنما نشأت بقرارات من الدولة ذاتها وفي حمايتها، فإنها لذلك لم تكن طبقة ثورية. حيث التعثرات اللازمة لتحقيق تلك البسطة. وهذه الطبقة لم تكن ثورية كذلك لأنه لم يتسفر بين أبنائها نفر من المفكرين الذين يتصدون لمسألة تدوين السياسة والفكر والدين في عقلنة الدين من خلال رده إلى سيالة التاريخي وتحديد العلاقة بينه وبين قوى الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بما يسهل من انطلاق تلك القوى وتطورها للمجتمع المصري. إذن هذه الطبقة في المجتمع المصري لم تكن طبقة ثورية مغلدا كانت نظيرتها في المجتمع الأوروبي لأنها لم تستطع القيام بما قامت به هذه الأخيرة في مجتمعها.

نشأت هذه الطبقة إذن في المجتمع المصري وهي تحمل في ضمير عناصرها روح وقيم الاقرباء في أعضان الحكومة، وإن نأناك المبري اقرباء في ربابه وروح الولا لها وليس التصد عليه وروح الخضر لها وليس حمايتها والسيطرة عليها وروح الاقتناع بها تقرر لها دائماً وأبداً. ومن هنا اتخذ معظم أفرادها -ولا يزالون- مواقف يغلب عليها الطابع الانتهازى (١٤).

ومن المهم الإشارة في هذا الموضع إلى أن هذه الروح والمواقف لا تنصف بها جميع الشرائع والفتاوى الاجتماعية التي تتألف منها هي مواقف طبقتها هي، أما الشرائع والفتاوى الاجتماعية الوسطى والذين التي تتألف منها هذه الطبقة، وإنما تنصف بها فقط نشأت الموقفين والشرائح الصناعية والتجارية العليا التي تدفعها مصالحها إلى اتخاذ مواقف أقرب إلى مواقف الطبقة الدنيا منها إلى مواقف الطبقة الدنيا التي تنتمي إلى إليها أيضاً أي إلى مواقف تنصف بطابع جادى أكثر مما تنصف بطابع وسطى أو انتهازى أو ترفيقي. وما يضاف هنا أن هذه الشرائع والفتاوى الاجتماعية -أي الوسطى والدنيا- التي تتألف منها هذه الطبقة هي التي لعبت -بالتكاثف مع الطبقة الدنيا- الدور

الأكبر في تطوير المجتمع المصري الاقتصادي واجتماعي وفكري في العصر الحديث.

ولما كانت الثورات الوطنية منذ محكا أساسياً للحكم على طبيعة المواقف الطبقة المختلفة في أي مجتمع، فسوف نتخذ من مواقف الطبقة الوسطى في الثورات الوطنية التي شهدتها المجتمع المصري في العصر الحديث محكا أساسياً للحكم على طبيعة مواقف تلك الطبقة في تلك الثورات.

ففي ثورة ١٩١٩ اشتركت كافة الطبقات الاجتماعية في هذه الثورة من أجل تحقيق الاستقلال الوطنى غير أن المصلحة الخاصة لكل طبقة من هذه الطبقات هي التي حددت دورها في هذه الثورة. فخلد اشتركت الطبقة العليا من كبار الملاك الزراعيين في هذه الثورة مطالبة باستقلال الوطن من أجل الاستئثار بخيراته بعيداً عن هيمنة المجهول والصغار وعن بقية القوى الاستعمارية الأخرى. ولقد صاغت هذه الطبقة أسلوب اشتركتها في تلك الثورة في شعار المطالبة بالاستقلال بالوسائل المشروعة الذي رلعه الرشد. وفي حين اشتركت هذه الطبقة في تلك الثورة تحت هذا الشعار، اشتركت فيها أيضاً الطبقة الدنيا (العامل واللاحون) ولكن تحت شعار آخر، حيث اشتركت فيها هي الأخرى مطالبة بالاستقلال الوطنى على أن يكون ذلك مقروناً بتحقيق العدالة الاجتماعية. ومن أجل ذلك رلعت هذه الطبقة شعار «الحزب والحر والاشتراكية» وهو شعار يختلف في مضمونه ودلالاته عن مضمون ودلالات الشعار الذي رفعه الطبقة العليا.

أما الطبقة الوسطى فإنها هي الأخرى كانت قد اشتركت في هذه الثورة ولكن بأسلوب يغلب عليه طابع السلبية والمهادنة. ذلك أنه في الوقت الذي كان العمال فيه يشتبون إضرابهم للمطالبة باللاحون يخضرون فيه المعارك الضارية بالسلاح ضد قوات الاحتلال، اكتفت الطبقة الوسطى برفع شعارات مثل شعار مقاطعة البضائع الأجنبية ومقاطعة تعلم اللغة الإنجليزية (١٥). بل أن بعض نشأت هذه الطبقة -وخاصة نشأة الموقفين- لم يتسفر أفرادها في هذه الثورة إلا بعد أن انفضح أمرهم أمام الجماهير على لسان خطاب كان «الهدوء كبحر» قد أنقأه في ٢٤ مارس ١٩١٩ -وتشترت النصف المصرية في ٢٧ من الشهر نفسه- مرجعاً الشكر فيه للموقفين ورجال الجيش والبوليس المسالم من الثورة. بل إنهم لم اشتركوا في هذه الثورة بدافع من ذلك

الموقف المرحج فإن اشترعهم هذا لم يتعد الإحسار بغير العنصر لمدة ثلاثة أيام لا أكثر (١٦).

وفي ثورة ١٩٥٢ لم يحدث وأن اشتركت الطبقات الاجتماعية في هذه الثورة بشكل مباشر وفعال. وأما ما حدث من أن بعض ضباط الجيش الذين كانوا ينتمون إلى الطبقة الوسطى - بكل شرائعها وفئاتها - هم الذين قاموا بهذه الثورة ، ثم أبدت عناصر هذه الطبقة ذاتها وعناصر الطبقة الدنيا قيام تلك الثورة وساندتها فيما بعد.

وإذا ما سلمنا -سوقاً- بأن هذه الثورة كانت ثورة الطبقة الوسطى ، فإنها قد طبعت قاداتها بطابعها الخاص. أي أنها طبعت بطابع التردد والانتظار والوسطية والتوفيقية . بدليل على ذلك مثلاً ، أنه على الرغم من أن هؤلاء القادة قد قاموا في العام الأول للثورة بتعريب الجناح الزراعي للطبقة العليا عندما قاموا بإصدار القوانين الأول للإصلاح الزراعي في العام نفسه. فإنهم لم يسوا جناحها الصناعي والرأسمالي إلا بعد ثمانية سنوات من القيام بالثورة وذلك عندما أصدروا قرارات يوليو الشهرية عام ١٩٦١ . حيث أطلقوا ينتظرون طوال هذه السنوات هذا الجناح الصناعي كي يتجرع فوائده المالية في إنشاء المزيد من المشروعات الصناعية بدلاً من توجيهه لها في إنشاء المقاربات والأراضي الزراعية - بما يقضى في النهاية إلى تحقيق التحول الصناعي في البلاد. ولكن لما تأكد أن هذا الجناح قد تقاس عن القيام بذلك اضطروا إلى إصدار القرارات المذكورة.

وما يجدر الإشارة هنا هو أن الطبقة - مثله في معظم قيادة الثورة - لم تستطع تحقيق الإنجازات الملموسة في مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية - وبالمناسبة الإنجازات التي ما زال المجتمع المصري يعتمد عليها الآن - إلا بعد أن حسمت تذبذباتها وتردها وابتعدت عن الطبقة العليا، وحجمت نفوذها ، ووضعت سقفاً لنفوذها ، واتحازت إلى الطبقة الدنيا - أو قل الطبقة الشعبية - الأداة الحقيقية لتحقيق هذه الإنجازات وغايتها المنشودة .

وكانت قرارات يوليو الاشتراكية التي صدرت عام ١٩٦١ ، والقرارات الأخرى التي سبقتها ، قد أدت إلى انضمام الاتحاضين المقاري المختلط والرأسمالي وتطور أشكال انتاجية جديدة أهمها القطاع العام والعمومي ، فضلاً عن القطاع الخاص في حجه المتوسط والرأسمالية الوطنية . وكانت

هذه الأشكال الإنتاجية الجديدة قد اصطلقت واندمجت مع بعضها البعض في نظام جديد عرف فيما بعد بنظام وأسماء الدولة الوطنية. وفي ظل هذا النظام الأخير استطاعت الطبقة الوسطى أن تقوم ، وبشجع كبير - وخاصة طوال الستينات - بعملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية في المجتمع المصري ، فتحت قيادتها أمكن إقامة المشروعات الصناعية العملاقة كذلك التي أقيمت في حلوان والمحلة الكبرى ، وأمكن بناء السد العالي ، كما أمكن تحقيق قدر كبير من العدالة الاجتماعية وإحداث طفرة ملحوظة في التنمية الثقافية . كما أمكن محووة الشعب المصري كله حول أهداف قومية محددة وصنع مكانة مرموقة له على خريطة السياسة الدولية، وكان من بين تداعيات ذلك أن قفزت الشرائع والفئات الاجتماعية المنفية التي تتألف منها هذه الطبقة إلى قمة الهرم الطبقي لهذا المجتمع . وذلك عندما تزلت عناصرها قيادة العملية الانتاجية في البلاد كسنتين وغنيين في الصناع وتنازعوا السريوس والعمال للبراد للصراع، وطاعوا واخبروا مدبري الجاسات والمعالجاء للاندلس.

وعلى الرغم من الدور الجيد الذي لعبته هذه الطبقة في تنمية المجتمع المصري - اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً وثقافياً - في ظل نظام وأسماء الدولة الوطنية في الستينات، وعلى الرغم أيضاً من أن هذا النظام كان يهدف إلى إضفاء التماسك والترايب على التحالف الطبقي القائم آنذاك والتي كانت تتسلى هذه الطبقة بمختلف شرائعها وفئاتها، فإن الطابع الوسطي للعلاقات الإنتاجية التي نهض عليه هذا النظام ذاته قد أدى - وذلك بالتضافر مع العوامل الخارجية - إلى قو هذه الطبقة إلى الحد الذي انقلبت عليه وجاءت بدلاً منه بنظام يكفل لها مساواة بقوى الرأسى، وهو نظام وأسماء الدولة التابعة.

وكانت الشرائع والفئات الاجتماعية العليا والطبقة الوسطى قد لعبت بالتصالح مع بقايا الطبقة العليا القديمة - الدور الأساسي في تعزيز نظام وأسماء الدولة الوطنية. والذين بدلاً منه بنظام وأسماء الدولة التابعة التي تم الأخذ به منذ الإعلان عن سياسة الانفتاح الاقتصادي بموجب صدور القانون رقم ٤٣ لسنة ١٩٧٤ والتعديلات عليه، وهو النظام الذي أصبح بدوره ينتهز على عدة أشكال إنتاجية - تأخذ جميعها بآليات النظام الرأسمالي أهمها القطاع العام (قطاع الاعمال العام حالياً) والقطاع الخاص والقطاع المشترك

والقطاع الأجنبي. ولقد أدت سياسة الانفتاح الاقتصادي إلى حدوث انقسام داخلي بين صفوف الطبقة الوسطى وظهر حالة من الصدور والهويو بين مختلف فئاتها وفئاتها الاجتماعية . حيث أدت هذه السياسة إلى صدور الشرائع والفئات الاجتماعية التي أصبحت مرتبطة بالنظام الرأسمالي الجديد ، مثل التجار والسماسرة وتجار العملة وتجار المخدرات وأصحاب الشقق والفندقية وأصحاب البنوك والوساطة والسياسيين والنشائين والسمكية ومن في حكمهم. وفي حين أدت هذه السياسة إلى صدور الشرائع والفئات الاجتماعية ، فإنها قد أدت على الجانب الآخر إلى هبوط الشرائع والفئات الاجتماعية الأخرى - وبخاصة تلك الشرائع والفئات التي قادت العملية الانتاجية أثناء الستينات - مثل كبار الموظفين والمهندسين والأطباء والمحققين وأساتذة الجامعات والقضاة ومن في حكمهم.

ولقد كان من نتيجة ذلك أن قلقت الطبقة الوسطى الدور الذي كانت تلعبه في الستينات ، وأصبح للمجتمع المصري في ظل هذه السياسة الجديدة يعاني من أزمة حقيقية بالفعل على كافة المستويات ، فعمل المستوى الاقتصادي أصبح هذا المجتمع يعاني من أزمة تزايد الدين الخارجي وبالطلة والارتفاع المتواصل في أسعار السلع والخدمات وتحميل الكاثيرين عبء هذا التضاريد المتواصل في الأسعار من خلال تهديد المرتبات والفاء الدعم والتوسع في الضرائب غير المباشرة ، وعلى المستوى الاجتماعي أصبح هذا المجتمع يعاني من ظاهرة الاستقطاب الطبقي الحاد التي في ظلها يزداد الأثرياء ثراء ويزداد الفقراء فقراً وظاهرة الغش والتهريب والمخدرات والأسرى والتدهور التمسى وتعاطى المخدرات وانتشار الطغرف ، وعلى المستوى السياسي أصبح هذا المجتمع يعاني من ظاهرة احتكار الحزب الحاكم للسلطة وفرض قيود شديدة على النشاط الجماهيري للأحزاب الأخرى ، وكذلك تزييف الانتخابات . ولكن في ظل أي ظروف يمكن للطبقة الوسطى أن تستعيد قوتها ، وبالتالي أن تعين المجتمع المصري على تخطي أزمته الراهنة؟

الإمكانية

تدور الاحاحية بطبيعة الحول المطروحة الآن في مختلف الدوائى الاقتصادية والسياسية لمواجهة أزمة الطبقة الوسطى - ومن ثم لمواجهة أزمة المجتمع المصري - إلى تصنيف هذه الحلول

الاشتراكية.. والأديان

غير مساوية ولكنها نظام اقتصادي اجتماعي، يقوم على تحليل علمي، يؤدي للقضاء على الرأسمالية، وديمقراطية، وإقامة نظام يحقق العدل والمساواة والحريّة والكرامة للإنسان.

لهذا، فالقراءة المتعمقة للأدب الاشتراكي، توضح أننا أمام دعوة لشن حرب على أعداء الإنسان وأحلال الاشتراكية محل الرأسمالية، ولست، بأية حال أمام دعوة ضد الدين، ولكنها أمام قوى شرسة، تستعيد الإنسان، اشترك بعض المفسرين الكبار للأديان في التحالف معها، ولابد من مهاجمتها. بل إن الإنسان المزمّن حقيقة، يجب أن يسهّم في هذا الهجوم، فهو دفاع عن الأديان لكي لا يستخدمه رجال يطمحون إسم الله في الاستغلال للبشر.

ويبدو أن بعض السلوكيات الخاطئة في القسرة والسعالونية، قد قوت من ذلك الانطباع بأن الاشتراكية تتعارض والأديان.. فقد حدث خلط بين الدين، والمفسرين لتصرّعه، فاتخذت إجراءات غير رشيدة لتحويل بعض الكتائس إلى متاحف. ومن المعروف أن بعض الكتائس الأخرى بقيت مغترقة:

وهذا هو «جاردو» الفكر الفرنسي، الذي أعلن إسلامه في الآونة الأخيرة، يؤيد وجهة نظرها القائلة بأن القصد بالهجوم، هم رجال الدين، وليس الدين ذاته، وذلك في موجز «تاريخ الاتحاد السوفيتي» الذي ينشر مسلسلًا في «اليسار» وترجمته «نورا أمين» حيث يقول: «كان ماركس في مقدمته لنقد فلسفة «هيجل» يشبه روح التحالف القلبي المضاد للشعوب، وأفهم الشعوب» وكان يرى أن الدين تعبير عن الضيق الإنساني واعتراض عليه.

لهذا كان يهاجم ماركس الأكبر ككف للثوى المضاد للشعوب، التي تفسر التصرّص الدينية لتفسيراً يختم أعداء البشرية، ويستخدمون هذا التفسير كأفهم يخدم الشعوب، ويغنيها عن النضال ضد القوى الممرقة لتقدمها.

لأنها، المادية العارضية وود العامل الاقتصادي:

لست في مجال بحث تفصيلي لفكرة المادية التاريخية، فهذا سينقلنا إلى فرع آخر من المعرفة، هو «الفلسفة»، وبغرضنا من ختم طريل من المقارنات بين النظريات المادية والمالية، وهذا ليس موضوعنا فموضوعنا

الاشتراكية والديانة

أن هؤلاء المفكرين كانوا ثواراً، يهجمون بدعوتهم الثورية إلى الجماهير، وهؤلاء في المجتمعات المتقدمة والمتخلفة على السواء لهم علاقاتهم الدينية، التي يقدسونها، فليس منطقي أن يهجموا بدعوتهم للثورة على الظلم الرأسمالي والإقطاعي، وعلى الاستغلال البشع للإنسان، بأن يهاجموا معتقدات الجماهير الروحية، بولنا إن قراءة النصوص الماركسية، تبين أن المفسرين الكبار للأديان، هم المفسرون، فمن حلقاء، للرأسماليين والإقطاعيين، بل كانت الدوائر الدينية في العصور الوسطى، التي استمرت تحرّثي عشر قرناً من عمر الزمان، تحكم أوروبا، وتسيطر أراضيها، بطريقة أبشع من أسراء الإقطاع أنفسهم. وفي التحليل العلمي للظلم الاجتماعي، يستري لابس التهمة، أو العمة، أو العقاب، أو حاسر الرأس، والاشتراكية، أو الماركسية، ليست دينا، يراد له أن يحل محل الأديان، مساوية أو

كارل ماركس



استغلت القوى الإقطاعية والرأسمالية والرجعية الأديان، استغلالاً مكثفاً لمهاجمة الاشتراكية، واشتد الهجوم، بصفة خاصة، على ماركس والماركسيين، فاتهموا بعدائهم للدين وبالإنحاد، وأسبوا تفسير الأديان، وصمخت نصورها، للقيام بحرب شعراء ضد أولئك الذين يناضلون لتحرير الإنسان، مما تفرّقه عليه تلك القوى من قهر واستغلال وامتهان.

وقد أقر الذين يقدرون تلك الهجمة الشرسة من بعض المشتغلين بالأديان، وبصفة خاصة صغارهم، الذين يرددون هذه الاتهامات الكاذبة، بعضهم بحسن نية، متأثرًا بما يقوله البعض من كبار المتحدّثين باسم الأديان. إن الذين يهاجمون الاشتراكية باسم أصحاب المصلحة في هذا الهجوم، لقد تكون حلف «غير مقدس» من هذه الفئات، وبعض المتحدّثين الكبار باسم الأديان، أعضاء في هذا الحلف، فهم أتباع، يستغلون الإنسان ويضمنون ثرواتهم من جهده، وعرقه وفائض عمله، ولذلك فهم شركاء في الوبئة الرأسمالية وهناك مرقعان في الأدب الاشتراكية، استغلتهما هذه الفئات المعادية للإنسان:

الأول: حينما جاءت عبارة «أفهم الشعوب» في نقد ماركس لفلسفة «هيجل» الخاطئة.

والثاني: يخلق، بفكره والمادية التاريخية، وسوف نتناولهما على التوالي، أولاً: عبارة «أفهم الشعوب» في مقالة سابقة في «اليسار» وفي الأمل، أشرت إلى أن الهجوم الذي شنه ماركس وأتباعه ولينين، وغيرهم من الماركسيين، كان على رجال الدين وليس على الدين نفسه، واستندت إلى

محدد، هو الرد على الدعاية الكاذبة التي ينها الرجميون والرأسماليون ضد الاشتراكية. يقدّر ماركس إن أي مجتمع معين (أو فترة تاريخية) يشكل أساساً بواسطة نمط الإنتاج، والبنية العلوية السياسية، أو الأخلاقية أو العقائدية لذلك المجتمع. تعتبر انكساراً لقاعدتها الاقتصادية وليس العكس. ويستند ماركس والمجلد إلى فروض ليست محكمة أو عقائدية، ولكنهما يتخذان من الأفراد الحقيقيين، ونشاطهم وظروف المادية التي يعيشون في ظلها، سواء كانت صrijeودة فعلاً، أو أوجدوها بتشاطهم، يتخذون منها عناصر لبناء نظريتهم التي يمكن التحقق منها بطريقة عملية، على أنها يقرران أن هذا لا يتضمن بحال من الأحوال أن الأفكار لا يمكن أن تكون فعالة، وليس لها تأثير، فهي لا شك مؤثرة. وهناك تفاعل بين البنية العلوية المثالية والتابعة.

على أن النظرية تعطي ثقلًا خاصاً للعنصر الاقتصادي، فالأحداث وظروف الحياة تباشر تأثيراً قوياً على الأفكار، التي كانت سائدة في فترة معينة، بينما الأفكار في نفس الوقت يمكن أن تؤثر في الأحداث ولكنه تأثير متد.

وقد استحدثت المادية التاريخية لتعارض النظرية القائلة بأن التاريخ يقسم عن طريق النص الذاتي للأفكار، حيث يقره هيجل، أن كل خطوة في الحركة التاريخية يحددها عبء غريب، يحمل في روح، أو عبقرية وطنية غريبة. ويحمل الدين والسياسة والأخلاق والتشريع، وحسن العلم والفن والمهارة التكنيكية، تحمل جميعها ظاهرها

وعلى نمط الإنتاج وعند ماركس العمود الفقري للمجتمع. ويشمل مجمرعتين من الأشياء: قوى الإنتاج، وكذلك العلاقة الاجتماعية للإنتاج، ويقصد بها العلاقات الاجتماعية بين الرجال، التي تنشأ من علاقاتهم المتفرقة بالقوى المنتجة. ويكون النزاع بين الرجال، الذي ينشأ من علاقات الإنتاج المتضادة العلاقة بين العمال والرأسماليين) يعتبر القوة الدافعة الأساسية للتاريخ.

هذا التأكيد على الصراع الطبقي أكد في المانيستسو الشيوعي عام ١٨٤٨، «تاريخ المجتمع الإنساني كله في الماضي أو الحاضر، هو تاريخ للصراع بين الطبقات» ويستند بطريقة الحال على تحليل المجتمع منذ العصر البدائي، كمجتمع طبقي، يعتمد على أشكال متنوعة من الاستغلال، وذلك بالاستيلاء على فائض قيمة العمل، أو فائض المنتج المباشر بواسطة طبقة مهيمنة، والمنتج المباشر من هم العمال والفلاحين.

لم يكن استطرادنا لعرض بعض ملامح المادية التاريخية، تثبت قوتها وواقعيتها، وتصورها لأحداث المجتمعات المختلفة في الحقب التاريخية المتتابعة.. ولكن لنين أن اتهام الاشتراكيين على أساسها بالإلحاد، هذه الفكرة التي روج لها الرجميون والرأسماليون، كان اتهاماً باطلاً وكاذباً وجهولاً، وأن الحقيقة وراء ذلك، هو الانحياز من جشعهم، وامتناع كذب العاملين من بني البشر: من هذا العرض المختصر تتضح الأمور التالية:

١- حينما كتبت النظرية لم يقصد بها أن تكون نظرية كرنية، لا تقبل الجدل، ولا

يعترف بالنظرية الأخرى المثالية وإنما يعترف القائلون بها بأثر الاعتبارات الدينية والسياسية والأخلاقية والمثالية وغيرها، ويقررون أن آثار هذه المسائل على القاعدة يمكن تأثيراً متبادلاً.

٢- النظرية في صياغتها، أو عندما استخدمها ماركس وصحبه تعمد الدين أو الإلحاد، أو أي شيء من هذا القبيل، فهي لم تفسر العقيدة، ولم تدخل في الفكر الإنساني بمسألة الإيمان أو عدم الإيمان.

٣- ماركس والمجلد، كانا يقصدان بها إبراز العنصر الاقتصادي في تشكيل المجتمع الإنساني، ولا يتقاربه المجتمع الإنساني، لأفكار غاشمة، يستخدمها الإقطاع والرأسمالية في استغلال الشعوب، فعارضوا هذه الأفكار معارضة علمية، يقدمها التاريخ في مراحلها المختلفة، دون أن ينكروا دور الأفكار أيضاً في التأثير في مسار التاريخ.

٤- يستخدم ماركس الفكرة في نظامه العلمي الذي صاغه لنقد النظام الرأسمالي، فهي جزء من منهج علمي، استخدمه كاستاذ الاقتصاد للوصول إلى وصف نمط الإنتاج وتحليله إلى قوى إنتاج وعلاقات اجتماعية للإنتاج (وبصفة خاصة بين العمال والرأسماليين) وذلك لبيان النهب الاجتماعي بواسطة الرأسماليين لفائض الناتج، أو فائض قيمة العمل، وما ينشأ عليه من نظرية الاستغلال، التي انقرد الفكر الماركسي بآبائها، وتسلط الضوء عليها في النظام الرأسمالي.

إذن فالفكرة اقتصادية، تتعلق بنظام حياتي هو الإنتاج، والنزاع بين طرفي الإنتاج، أي بين المنتجين الحقيقيين (العمال) وبين أصحاب رؤوس الأموال. وبالوصول من ذلك إلى فكرة الصراع الطبقي، التي تسرد الإنتاج الرأسمالي، وهي ظاهرة قديمة جديدة، سادت في المجتمعات الإقطاعية بين رقيق الأرض وأمسرا، الإقطاع ورجسناك الدين، وسادت كذلك في النظام الرأسمالي بين العمال وأصحاب رؤوس الأموال. فما تشاهده الآن من مطالب في ظل الرأسمالية، وما يفرض من نزاعات واضرابات حول الأجور وظروف العمل أو التشغيل، ما زال قائماً، وما زالت صورته صrijeودة تلذ بأخطار التي تهدد ذلك النظام.

وقد انشغل أساتذة الاقتصاد وطلابه، سواء كانوا اشتراكيين أم معارضين، بهذا الجهد العلمي حول هذه الأفكار. ولم يكن



ماركس تولي

ذلك اعتداء منهم على حق عبيده ، ولكنهم يجهلون علما حياتيا ، يريدون به أن يصلوا إلى الحقيقة فيما يتعلق بقوى الإنتاج ، والعلاقات الاجتماعية بين الناس في مجال الإنتاج.

الاشتراكية الرب النظم إلى الأديان

ربما يكون التوضيح الذي نتضمنه هذه الحقائق ، لموضوع من الموضوعات ، التي قسرت تفسيرها سبوتا ، سواء بواسطة خصوم الاشتراكية ، أو حتى في أذهان بعض الاشتراكيين . ربما يكون لازما للمفسرين جميعا ، لما كانت الاشتراكية ، في النظام الاقتصادي والثقافي ، المأمول من الجماهير العاملة الكادحة ، فعلى الاشتراكيين الناشئين في سبيل إقامة الاشتراكية أن يعلموا أنه ليس من مصلحة النضال ، أن تحرك شبهة الجفرة بين الأديان والاشتراكية . فالجماهير المدعوة للنضال ، والذين يستقيم الاشتراكية بصورتهم ، هذه الجماهير متدينة وليس من الرضا أن يصنعوا في عقائدهم .. يجب علينا الإسقاط من الفخ ، الذي يصيب الرأسمالية والرجعية الدينية لنا ، والذي كان سببا في بعض الهلا ، على الأقل ، في ابتعاد فسق من الجماهير عن الثورة . وعن الاستجابة الفاعلة لدعوة التفسير . بل أن العقيدة الدينية في وسيلة قوية لإنتاج الناس بالثورة الاشتراكية ، فالاشتراكية هي أقرب النظم الاجتماعية الاقتصادية إلى الأديان .

إن الأديان في خطوات تقدمية في المسار الحضاري للبشرية ، فالمدارس لجمعية ما قبل موسى عليه السلام يعرف أن المجتمع الذي آمن بالله موسى كان مجتمعا أفضل ، العالم المسيحي ، بعد نبى المجتمع عليه السلام أكثر تقدما وأفضل خلقا وسعيا من المجتمع الذي كان سائدا قبل المسيح . والإسلام ، كخاتمة للرسالات الإلهية ، وبكلمة محمد صلى الله عليه وسلم إلى العالمين ، يعتبر أكرم وأكثر حضرا وتقدما من عهود الجاهلية . هذه مسألة بديهية ، لأن الله لم يبعث بهؤلاء الرسل ، إلا ليحكم الإنسان ويشرع ، ويضع الطريق إليه للرفق والتقدم ، إذن فالرجعية القائمة بتفسيرات للأديان ، تدغم الظلم بين الناس ، وترجع بالإنسان إلى الوراء عصورا سحيقة ، وتبقى على الإنسان ميتزلا مهانا مستغلا من أخيه الإنسان ، في تفسيرات خاطئة ، بل مضادة للأديان والافتقار مع حكمة الخلق ، ومع تكريم الإنسان الراضع في القرآن ، وغيره من الكتب للنزلة .

كذلك فالنظم الاجتماعية ، التي يستغل الإنسان ويهقره ، وعدم حرته وعقله ، وهذا أغلى ماله ، يعتبر نظاما يتناقض مع الأديان . ومن الأنظمة التي تدخل تحت هذا النوع ، النظامين الإقطاعي والرأسمالي .

موقف الاشتراكية من الأديان

١- إن الاشتراكية ، من مجرد تسميتها ، هي اشتراك الجماهير الحقيقية في الحكم ، وفي مجال الإنتاج ، وتوزيع المنتجات توزيعا عادلا ، حسب العمل ، الذي يبذله كل عامل ، وسيطرة الجماهير على وسائل الإنتاج ، هو الاشتراكية ، التي يصبغ عليها الرأسماليون والرجعيون ، وبذلك يكرمون الإنسان في الاشتراكية ، كجزء لا يتجزأ من تسميتها . ومن ثم تكون أقرب الأنظمة إلى الأديان .

٢- عندما كنا نزور البلاد الاشتراكية في شرق أوروبا في الستينات ، لم تكن تجد نساء موصات يجولن في الشوارع أو أمام الفنادق ودخلنا . وكان ذلك في نظر بعض زملائنا تأخرا ، أما في البلدان الرأسمالية فهناك آلال النساء تستعمل الدعارة كراماتهن الإنسانية ، وتبرز عن النظام الرأسمالي ، مهما كان غنيا متقدما . فهؤلاء النسوة لم يمتن في ظل الرأسمالية وقيمتها ، وظافت شريفة بشلغنها فاشتهرنهن بالطلالة كاشاعاتالفاشكندلوزا وليس هذا غنى على للمجتمعات الرأسمالية المتقدمة والمتخلفة ، فالشوارع في شوارع مدن أوروبا والولايات المتحدة ، ولقدافسها ، ومواخيرها يجد الظاهرة تبرز ميقات النظام .

وصاحدت في روسيا : تفكك النظام الاشتراكي ، وسقط البلد في براثن الرأسمالية ، ونجد قد سقط أيضا ، بين مخالب الدعارة والجريمة والمال . أصبح الآلاف من نساء هذا البلد تنهش الظاهرة أعراضهن . وقد كن يمتن من قبل أعمالا شريفة في ظل نظام اشتراكي خالص المجتمع السوفيتي من التخلف ، وأوصله إلى قيادة العالم ، مع أمريكا ، وانزع بسنائه ورجاله ، ألوع الران الفن ، كالياليه والموسيقى والفركلور .

٣- إن كفسيرا من المبادئ ، التي تحكم المجتمع الإنساني ، والتي توجد في الاشتراكية ، وتعتمد في الرأسمالية ، يبعد نظيرها في الأديان ، والسلوكيات الدينية :

أ- ففكرة العدل المطلق توجد في الأديان . وتوجد في الاشتراكية طبقا لنظرية فائض القيمة ، والفضاء على الاستغلال .

ب- في الإسلام توجد قاعدة " المال مال الله " ، ويستخلف الله الإنسان فيه " . وفي

الاشتراكية رأس المال ملوك للجميع . ولازب أن رأس المال حينما يخلق الله الإنسان في ملكيته ، فإنه يستخلف الإنسان في شكله الجماعي ، أي كل الناس . وليس الإنسان الفرد . فالعدل الإلهي المطلق يفسر ، بطبيعة الحال ، بأن يستخلف في ملكية المال خلقه جميعا ، ولا يملئ المال لقله نسي استخدام ، وتنفقه على ترفياتها ، وعلى مايفض الله ، ويحرم الجماهير منه . ولهذا فالفسر المنطقي ، لهذه القاعدة الدينية ، هي ملكية الشعب كله لرأس المال . كما تقول الاشتراكية .

ج- هناك قاعدة دينية ، مستبقة من حديث شريف يقول : " الناس شركاء في ثلاثة : الماء ، والكلا ، والنار " . الماء لم يعد ماء للرى والشرب فقط ، بل أصبح سديا على التماس تولد كهربيا ، تدبر المصانع ، وآلات ترويع في الأراضي الزراعية . والنار هي الطاقة بكل صورها والكلا هو الأرض اللازمة لرى الماشية . وينطق هنا بالقياس ، ومن باب أولى ، على الأرض الزراعية اللازمة للقاء الناس . وكسانهم ، فعباد الله أو خلقه لهم أولوية على الحيوان ، فإذا كانت الأرض اللازمة للقاء الأخير تكون شركة بين الناس ، فمن باب أولى ، الأرض اللازمة للقاء الإنسان كرمه الله بين خلقه جميعا . ويجب ألا تترك الأرض للقله ، فحصل على احتكار خيراتها ، وتجوعع الناس . ولس على ذلك الصناعة ، وتدهيها للأسباب الناس ، يجب كذلك ألا تكون متحركة للقله .

د- في المسيحية ، كان المسيح عليه السلام يفيض الملكية الخاصة . وقيل منه أنه قال : " الأغنياء لن يدخلوا ملكوت الله " . الجنة " ، إلا كما يدخل المجل من ثم الهياط " .

وهكذا نجد الاشتراكية أقرب الأنظمة الاجتماعية الاقتصادية إلى الأديان .

تد يكرن مثرا أن نضمن هذه العلاقة المهمة بين الاشتراكية والأديان . بل من الصين ومصر : في الستينات ذهب وفد من المثقفين الصينيين الماركسيين لزيارة الصين . بو قابلوا " ماوسى تونغ " وفي اللقاء ، تبارى الماركسون في الحديث عن المادة التاريخية والمادة الجدلية . واستمع لهم ماو ، وعندما انتصروا ، علق الرجل الذي قاد شعبا يقرب عنه من ربع سكان العالم في معركة التحرير الرأسمالية والفقر والتخلف قال لهم في عبارة بسيطة صريحة : " أنا اقترح عليكم حينما تمردون إلى بلدكم أن تهبوا للصلاة مع الجماهير في المساجد والكنائس " .

أرشيف اليسار

«ولأنى أعبد إنسان
الكرة الأرضية اختلف مع
العالم»
عبد الرحمن الخميسي



عبد الرحمن الخميسي شاعر رومانسي يتحدى العالم

أشباباً وأبواباً وشبابيك من مبان أنيقة أقامها
الأغنية.. حول قبرهم... كان ينزع الأخشاب
صانعاً وأحباء الفقراء أهم من موتى
الأغنية.. وطوال الأجازات المدرسية كان
يجمع حوله الفقراء من أهل القرية ليقرأ لهم
«أبو زيد الهلالي» و«وسيف بن ذي
يوزن».. ثم يموت الأب وقوت الأم.. ويتركه
الخميسي دراسته ويعيش أياً ما ضمه يحمل
صبي بقال، وكمساري أوتيس، لكن الفن
يطارده فيحصل مؤزلاً لاستكشافات ثقافية
وغنائية للفرقة مسرحية فقيرة تجوب القرية
وتقدم عروضها في المقاهي الفقيرة، وكان
الخميسي يمثل مع الفرقة... ويغنى ويهرج كي
يكسب قوته.

ثم استقر في القاهرة ليمتحن مهنة غربية
يكتب مقالات وقصص وروايات وأغنان
ينشرها آخرون بأسمائهم اللامعة، ويكتفى هو
بشمن زهميد، وطوال فترة ضياعه التباهى
وسعى بعد أن استقر به الحال لازم الأب
الروحى للرومانسية المصرية الشاعر إبراهيم
تايجي... لكن رومانسية الفقير تغفلت
فغاثى دوما حزينة:

ورأيتنى إلى الظلام .. رأسي وحزني
إلى السكن الرحيم

وهرب من الحبسية يا ليل .. فارتع
بغمة الزهم كبرى

وهو عندما يصدر ويرانه الأول وأوراق
إنسان يكتب في مقدمته صادقاً «هذا
الذيوان كل قصيدة فيه مستقيمة من
وجداني.. صوفية برحيق ألى أو
أملى .. يهصرح بأسى.. أو لفرح ..
معودة يهصر».

أى ألم قديم هذا الذى لاحق الفتى ولازمه
فى كل قطرة من فطرات حياته، ومنحه طاقة
الرفض وطاقة التحدى..

أى ألم قديم هذا الذى دفعه إلى أن يكتب
وهو بعد فى الثامنة عشرة من عمره:

علام أضسحك يا ويلاء من زمنى ..
وشاطى فرقة الإهراق ترتطم

لكنها حشكة البركان قاذفة .. من قلبى
النار أدنى أصلها الألم

إنى أقول لهذا الظلم فى صلف .. اضرب
دمائى وأثقل أياي النهم

هيهات تبلغ إذلالى وتخضعنى .. إنى
قرى عتى ثائر برم.

وتظل هذه الكلمات الأخيرة تظلل كل
حياة الخميسي يراجه بها الظلم والصعاب
والسجن والإهراق والى قوى عصى.. فائر

•••••

ورثت الحزن

ومكرها على الحزن:

جئت لا أحمل إلا سقى

فتعالى أظفر: ناز دى

واشقى لى يا بهما.. ألهم

بل هو يكره ماضيه الذى عاشه محروما

ولقيرة ومفتقدا حنان الأم ورعاية الأب:

إيها الماضي .. ألا تمرلنى شد ما ألتاك

قد أنكرتنى

أنت متى قطعة كنتها

يسئنى وطواها زمنى

أنت بنبان أفتنا فرقه

حاضرا .. يا ليته لم يكن

ومنذ أيامه الأولى اعتنيز الخميسي ان

الثقافة هى سلاح الفقراء فى معركتهم ضد

الأغنية.. وفى قرية ضيقة النصر.. وكشيد

صارخ لأسرة «الحيدى» الإقطاعية قره وهو لم

يؤل طالبا فى مدرسة المنصورة الثانوية إنشاء

ناد ثقافى ومسرح.. وبعد قطعة أرض خالية

واحتاج مال للبناء.. لكن الأغنية.. وقضرا

التبسرح.. وفى البساسة اصطبح عبداً من

الطلاب الفقراء إلى المقابر حيث انتزعوا

الاسم.. عبد الرحمن عبد الملك
الخميسي

المهنة: صبي بقال- كمسارى

أوتيس- شاعر -كاتب قصة-

صعلكى- مؤلف موسيقى- مخرج

سينمائى- مخرج مسرحى- كاتب

مسرحى- ممثل- كاتب سيناريو.

الاسم الحركى: حنى.

ربما كانت نقطة الدخلة فى حياة هذا

الرجل الذى أثار الدهشة والاعجاب المنير فى

نفوس جيل كامل من المصريين فى الانتقال

المفاجئ والقسرى للفتى عبد الرحمن من

بور سعيد المدينة المتفرجة والمنطلقة، إلى قرية

مقبة النصر حيث أسرة فقيرة وقرية مهملة

من قرى الدقهلية.. والظفرولة مزقة، ليعبد عام

واحد من ولادته كان الأب متزوجا من غير

أمه، والأم متزوجة من غير أبيه.

ولعل هذه الظفرولة المهترئة هى التى

صيفت حياته بالحزن وسرافقه بالتحدى

وأشعاره يشجن لا ينطقى:

شردتنى بين المجاهل أيامى

فصاحت لى وجهى الفلوات

أبها التائه الثقلى فى الرمل

خطاء ضالكت بك العثرات

وهو دوما يصور نفسه حزينا محزونا .. بل

الخميس
ولده
لأنت
الشبابي
والصدا
وإلى
والثانية



شورعيا؟ ويحيى؛ وفي عام ١٩٥٠ هجرت
للتضامن إلى المجلس المصري للسلام فليبت
بحماس . وجاءت أحداث ١٩٥٦ ، وتكاثفت
أصواتي . مصر للثقة المحاسن والتي
تبحث عن طريق للخلاص وعلاقاتي بالثقيين
اليمنيين ، ثم إحساس الشكف الرابع
الاطلاع ، والمتحدث الحجاب بأنه عاجز عن
استشفاق سيول نحر المستقبل وبدأت في
قراءة الماركسية ، وما أن بدأت حتى أمسكت
بفتح كثر عزيز ثمين ، تفتحت أمام عيني
أفانق روعة ، واندمجت بحماس لم أعرفه من
قبل ، واستخرج في داخلي حس الشاعر
الرومانسي بحس الوطن والأمل في فعل شيء
لإنقاذ شعبي من تهاوته ، وكانت خطوتي
الأولى نحو الماركسية محزنة بذلك كله ..
وانتمسست لمنظمة حدثت الحركة
الديمقراطية للتحرير الوطني

وقبل أن أغنى مع الشاعر في روايته
تدريج أمام عبارة لعلها شكلت مجمل
حياة الخميس في رحلته التالية وامتزج حس
الشاعر الرومانسي بحس الوطن والشعب
وبالأمل في فعل شيء لإنقاذ شعبي من
تهاوته

حتى أتمساره تلونت بهله الأثران
المضايكة والقوس فزجية .. وعندما قومت
زوجته «فاتن الشهابي» بكتب:

فاتن
إني أمضي نحو الوحدة
فوق جبال الظلمه
فارحة خيمه معتزل
مفترب القلب
ثم يقول:
كنا نللق باب البيت علينا
نصنع من أعلام فؤادنا
دنيا أخرى تتفتح كالورد
أمام الثورة في العالم
دنيا أخرى ..
لا يأكل فيها السلطان
لحم رعاياه
أو يقتل عسكره
في وجه الشمس رعايه
ونعود إلى حديث الشهوي الرومانسي
عن رحلته مع الشيوعية ..

ويذكر القدر أن علاقتي الأولى بخفيق
في أيامها الأولى مبهره للسر الأولى يجد
الشاعر والمكاتب المتدبر على كل شيء .. يجد
نفسه سعيًا في إطار عمل تنظيمي
منضبط ..
وفي هذه الأثناء ، يموت الرفيق سعالين

محروبا .. ويلعب اسمه على صفحاتها عندما
يعيد صياغة رواية «الف ليلة وليلة»
بأسلوبه الساحر والمصري في أن واحد.
ويروي الخميس قصته مع المصري في
تقاسم أجريته معه في بغداد (٢ نوفمبر
١٩٧٢): بدأت علاقتي بالمصري وتوزعه
عشرة آلاف نسخة فلما بدأ نشاطي فيه زاد
توزيعه للشاية ، الأمر الذي دفع أحمد أبو
الفتح إلى إطلاق يدي في إدارة تحرير الجريدة
فألحقت بالعمل عدداً من الشباب اللامعين
منهم: عهد الرحمن الشرفاوي - يوسف
أديس - حسن فؤاد - ، ولعلك تلاحظ
أنها أسماء يمانية .. وهكذا بدأت أولى
خطواتي للاتصال باليسار (د) . وقمت
بـ **السعيد** - هكذا تكلم
الشويعيون - (٣٦٧).

لكن علاقاته بالسياسة كانت مبكرة عن
ذلك وفي بداية حياته السياسية دخل الحزب
الوطني ، وقبيل بعد ومع سقوط نجفي
كسحق وككاتب أصبحت عضواً باللائحة
الإدارية العليا للحزب ، ويذكر القدر إنني في
ذلك الحين كنت وطنياً متطرفاً ..
وسأل: كيف أصبح هذا الكاتب المرموق

وتعتمد الحياة بالثمن .. المعنى .. الفاتن
، وهنا العيش قليلا ليجد صلا مستقرا في
بائنا حيث يعمل في إذاعة الشرق الأدنى ،
يؤلف ويخرج ويكتب شعرا وتقليداً أدبيا ،
ويعد برامج ويذيع أبحاثا .. وفي هذه المرحلة
وما بعدها كتب أكثر من ألف مقالة إذاعية
(قال لي يوما عندما زرت في موسكو لو
جمعت أعمال لي لصارت هرا) وكتب عدداً
من المسلسلات . لكن أغلب عمله وكفائاته
تركزت في إذاعة النازية.
وعندما تنتهي الحركة الوطنية المصرية
في الأربعينيات يمتدح للنصب والرتب
والاستقرار والبهت الجميل على شاطئ البحر
في وجه الانهيار أصحاب محطة الإذاعة ..
ويعود لمصر ، مشكلا هذه المرة .. زوجة
وأولاد ، وهدم أكثر.

لكن عقب الإبداع الفني يسبقه قصيص
واحداً من ألح الكتاب والشعراء والصحفيين ،
يعمل في مجلة الحوادث (الوطنية) لتفلق
ويهرب إلى النور بعضاً من الرثاء فالهرس
بلاحتة ، ثم يعود ليتأقن من جديد على
صفحات جرائد ومجلات عديدة .. حتى يسطع
في سماه صحيفته المصري كواحد من أبرز

وتصدر جلدت مجلتها «الكفاح» وهي مجلة سرية تحمل مقالاً لخالد محمد خالد بعنوان «جسدت فيها ومعها يا رفيق» ومقالاً شخيراً رائج الصياغة بعنوان «وقفة الحشوي» يا «رفاق» والتوقيع: «حشوي» ولأن أسلوب الحشوي لم تكن لتخطئه عين.. فقد علم الحشويج من هو «حشوي» وأصبح معلوماً أن الحشوي عضو في جلدت.

وتأتى ثورة يوليو.. حسنتو تؤيدها والحشوي «من ثم» يؤيدها.. ثم تبدأ جلدت في الصدام مع حكم العسكريين مطالبية بأصوار بالديارطية، وتكون شرارات الصدام الأولى في كتابات الحشوي على صفحات المصري.. ويذهب على الحشوي، ثم يخلق المصري.. وتعود لتستعمل إلى الحشوي في حواره معي ومن السجن استدعاني عبد الناصر لمقابلته، وبدأ اللقا، يعتاب، قال عبد الناصر: مهسوط كده، إنت عملتها وقلت الدنيا ضد الحركة، وإنت اللي حركت جريدة المصري، وحشيت الناس شديداً، وتسببت في إغلاق المصري، وفي سجن الكثيرين.. وكان ردي عاصفاً.. وفي مجرى الحديث سألته: لماذا أسرت نفسك من المصري؟ فأجاب: ببساطة، اللي فصلك السفارة الأمريكية.. هي اللي طلبت ذلك بإلحاح، وقد حمل رسالة السفارة يوسف صباغ، وأكد على ضرورة فصلك، وعرش الأمر على أصحاب المصري لرفضوا.. ثم عادوا فالحقوا على الحكومة فاستجابت!



الحشوي فيزي الدوازي في «الحب والوطن»

وعرض الحشوي، يعزل صوته.. يتخذ طابعه الخطابي المميز.. رغم أننا كنا بعيداً عن الزمان والمكان (كان يروي لي حكايته في بيته في بغداد) يعزل صوته قاتلاً، بدأ الحوار يتخذ منحى هجرسياً من الجانبين، كان التقزز يلوذني من خضوع الحكومة لطلب السفارة الأمريكية، ومن تتبل هذه المذلة ببساطة، والحديث عنها ببساطة، وكان عبد الناصر يشعر بحدي فيرد عليها بحدّة.

وبهذا الحشوي وقرؤو الغرباء أنه في نهاية الحديث سأني ببساطة: متى هازي أي غنمة؟ فقلت: لا.. وأعادوني إلى السجن، حيث بدأت فترة من أشنع عمليات تعذيب شهدتها مصر، وأسأل: ما هو تعذيبك لعبد الناصر وحركة يوليو؟ وجيب: «لا شك أنها حركة وطنية، ولا شك

أنه اثنا.. مجابهة الصدوان الثلاثي كانوا منهسكين في ينا.. سجنون جديدة ذات مرافعات خاصة تصلح للمزيد من التعذيب، وخلاصة الأمر فيأتي عن يعتقدون أنه لو أن القوى الوطنية والديارطية المصرية تركت لتتفاعل مع الأحداث بحريتها الخاصة لكانت قد أحرزت من النجاح والتقدم أضعاف ما حققه عبد الناصر.

ويخرج الرجل من السجن أكثر محبباً، وأكثر تألقاً.. يبدع في كل المجالات يكتب الأوريت، والمسرحيات والأفلام ويقرأ؛ ولهذا اهتم بالقيام بأثافي أفلامي ووضع السيناريو والموسيقى التصويرية وإخراجها على أساس أن الفيلم بقصته وموسيقا، وإخراجها كتاب واحد لا يمكن أن يكتبه كاتبان.

ويعلق عسيدي الإمام على فيلمه «الجزء» قائلاً: «هذا الفيلم سيقتضي حتماً على الاسطورة الشائعة بأن الفيلم الوطني، لا يمكن أن يحقق نجاحاً شعبياً».

ويأتي السادات الي الحكم.. وتأتي كاسب ديقيد، ويصطدم الحشوي ويصطدم بعنت عثيف، وقسبل أن يتألم، يملت إلى بهورت ومنا إلى بغداد.. ثم إلى موسكو. وترجمه كاسب ديليد فيكتب قصيدة باكية:

سبنا.. كانت لنا أمانا

فكيف أصبحت لنا الهوانا

وترجمه القربة، يوجمه عشقه لمصر فيكتب:

كسروا براعي ولكي حطرت على

جلدان مصر أناشيدى بأطافري

ومن هنالك مكتوب وأن طموسا

حرفه أجي في الظلماء كاتار

وحيث هم صلونا كلما بزغت

شمس، رأى الناس فيها لرن أشعارى

لكنه يصمم على بموقفه ويبقى متمسكاً

بأركسيتة:

هذا الطريق، عرفته وقمعت فيه رماحه

وصغفوه ذاقته دمي لكن عشت كفاحه

وتأتى ساعة الرحيل.. وحتى في هذه

اللحظات لا ينسى انتسباً.. وتأتى في

منتصف الليل مكانة من مسوسكو

الحشوي: أوصي: أن يقيم حزب التجمع مائه

ويخلق رجاله المزا، وأن يتولى دفنه هناك

في مراتع الصبي في المنصورة.. «وبوصي أن

يتولى وقعت السعبد تنقيذ الوصية».

ونعني وأمثا.. وننقل الوصية

الحشوي وسعاد حسني ومحم لؤلا في الامداد حسن ولعمية





ألف ليلة، قاسم وزوجته هراثم يبدآن مكالمة على بابا...



حصار رمضان دراما الأجزاء تسبب بأزمة فكرية

ودراما التاريخ ترصد سجل الهزائم!!

أوسع فرصة مشاهدة جماعية على الإطلاق

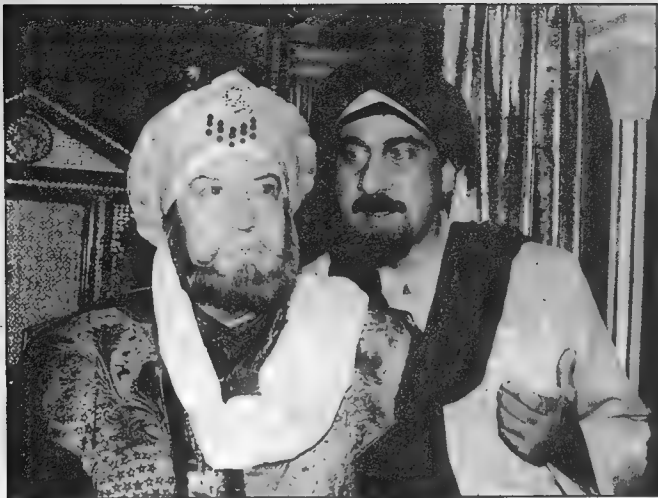
ومن هنا يبدو الخطأ المنهزم شيئا طبعيا وباردا في التخطيط لإنتاج عام قادم طالما تم الأمر بعيدا عن أي قياسات علمية وأى دراسات أو مقاييس لوضع استراتيجيات لما يجب أن يراه المشاهد طالما في الإمكان تحقيقه ، ومن هنا حدث ذلك الخطأ الذي وقع فيه قطاع الإنتاج بالتحفيز المصري الذي وقع فيه ، حينما قدم لنا أفضل جديده في مهرجان رمضان فإذا به ليس جديدا ، وإنما هو نصف قديم أي أجزاء تكرر أجزاء سابقة لسلسلات حققت نجاحا كبيرا في أجزائها الأولى.

وبناءً على فإن الاتصال يقتضي أن نذكر أن قطاع الإنتاج هو أكبر منتج لدراما التلفزيون في العالم العربي كله حيث يصل حجم إنتاجه هذا العام إلى أكثر من ٧٠٠ ساعة وهو بهذا يتجاوز بقية الإنتاج في العالم العربي مجتمعاً ، أيضا فإن الإنصاف يقتضي أن نذكر أنه قدم بالإضافة لسلسلات الأجزاء الثلاثة (الحليمية) و (المال والبنين) و (بداية الحماراني) ثلاثة أعمال أخرى تضاف إلى سجلات الانفضلية هي (على بابا - ألف ليلة) و (

مخافة موريس

الشاشات المحلية والفضائية . وقياسات الفاعلية فيه حلها هؤلاء لأنفسهم بالطريقة الفهلوية والبركة حيث يتم تقدير نجاح هذا المسلسل أو ذلك عبر ملاحظات الشارع مثلا ، وهل تغلو ساعة عرضه من المارة أو تزدحم ؟ ومسدى حديث الناس عنه في كل مكان وكلها مقاييس ليس لها وجود في أي مكان في العالم إلا عنتنا ولا يقبلها أي باحث علمي أو حتى قارئ يريد أن يفهم شيئا ، لكنها مقبولة لدى صناع الدراما لأنها لا تكلف شيئا سوى الكلام المجاني ، ومع أنهم يكسبون كثيرا من بيع المسلسلات والبرامج في رمضان نجدنا حيث ترتفع نسبة شراء واستهلاك المواد الدرامية بنفس ارتفاع نسبة شراء واستهلاك المواد الغذائية إلا أنهم لا يسمعون أبدا لإنشاء معهد لقياس الرأي العام حول " مردود هذا الجهد " أو حتى تكليف جهة علمية محايدة بقياس حقلتي لتأثير هذه الأعمال على المشاهد في

في العام الماضي وأبنا ثلاثة أعمال جديدة واعدة في مسار تطور الدراما التلفزيونية في بلادنا وهي (المائلة) و (عمر بن عبد العزيز) و (لا) . حدث هذا في رمضان ١٩٩٤ ، وجهت أصبح من المعارف عليه أن شهر رمضان هو شهر الاحتفاء لتقديم أفضل الأعمال التلفزيونية في العام . وكلمة الأفضلية هذه لا تعني حكما نقديا نهائيا بقدر ما تعني بداية اهتمام صناع الدراما بهذا مجهود أكبر بوضع إمكانيات أكثر لعدد من الأعمال يتم التركيز عليها باعتبارها - بمقاييسهم - أفراس السباق الراحبة في شهر محرمات الملايين فسيه إلى الفرجة على التلفزيون بكل ما فيه ، وعلى الدراما بشكل خاص . ومن هنا فإن ما بعد كل صناع الدراما العرب للعرض في رمضان يعتبر - بالمقاييس السابق ذكرها - من الأعمال " السوبر " التي يرضعون بها سجلاتهم في أي محفل ، لافرق في هذا بين قطاع الإنتاج المصري ، أو مؤسسة دبي للأعمال الفنية مثلا ، أو شركة دولة للإنتاج الإعلامي أو الشركة الأردنية أو الـ ART ، فبرمضان أصبح - واقعيا - مهرجانا للأعمال التلفزيونية الجديدة عبر



الزيني يركات: السلطان العرقي ولد أدراك الهنزة متدما..

في أجزائه السابقة والذي حقق له مكانة لن يسبته إليها أي مسلسل درامي عربي، ولعل هذه القضية تحتاج لناقشة متفردة في مقال قادم، لكن الملفت أيضا هو إصرار المؤلف - اسامة أنور عكاشة - على كتابة جزء سادس من عمله وهو ما يجعل لعمله في كل هذه الظروف سياقاً خاصاً، بهيكل مسلسل (المال والبنون) كقزوة غير مفهومة. فقد قدم الجزء الأول منه عام ١٩٩٢ ونجح في إطار تكتيكه لجمعة قيم بعضها بهت في عالم الحى الشعبي وبعضها كان محط شد وجذب لمحيطه غلالات من المفروض مثل الموقف من سرقة ونهب الآثار المصرية الموجودة في كل مكان .. وفي هذا الإطار دار الصراع بين الاثنين من الأصدقاء القدامى في (خان يونس) يحيى الحسين، وسلامة فرباوية الذي أصبح كبير الحى بفضل استيلائه على آثار منهوبة كانت تقلل عناء ثروة صانع أجناس ترك منصر مع عوجة قرار الأجانب بعد عدوان ١٩٥٦، بينما رفض عباس الضو القسسام هذه الثروة مع

في الإنتاج مثل (قصة الامبراطورية البريطانية) لتلفزيون الـ بي. بي. سي صحيح أنه مسلسل تسجلى، لكنه لا يخفى هنا من مسلسل (الحلواني) الدرامي - الوثائقي في أفضقه الكبرى وحتمية اكتماله وحظه واعطائه كافة الإمكانيات، لكن ما حدث كان العكس حيث تمتع الإمكانيات من استكمال الجزء الثاني من (الحلواني) فحصل إلى جزء ثالث يصور الآن وأكبر، إنها إمكانيات فكرية وتخطيطية ولست عادية عجزت عن أدراك قيمة عمل مثل (بوابة الحلواني) وحتمية وجوده التي نجيب ماعدها سواء كان الجزء الخامس من (الحلواني) أم الثاني من (المال والبنون) .. ومن الملفت يفسده في إطار هذا الهجوم التعنيف على الجزء الخامس من (الحلواني) أن يصبر عن رد فعل عاقلي للغاية تجاه الحب التعنيف لهذا المسلسل

الزيني يركات، و (الفرسان)، ومع ذلك كله عجز هذا القطاع والمستولون عنه عن إدراك أن النجاح الذي وصلت إليه تلك الأعمال - ذات الأجزاء - لن تتجاوز إلى أفق أعلى لظروف عديدة .. ونحن هنا لانلوم مؤلفيها فلدى كل منهم رؤيته الخاصة التي تبدأ وتنحصر عند عمله بقدر مسانلوم متنازع الصيغ الدرامية الذين عجزوا عن التعامل مع دراما الأجزاء بشكل شامل وتخطيط واسع الأفق يتجاوز النظرة الضيقة (سياق ومضام السئري) إلى جدول للأرواح عند إنتاج جزء ثان أو رابع أو حتى عاشر لأي مسلسل، ومن هذا النطلق مثلاً فإن مسلسل (بوابة الحلواني) كان هو الوحيد الجدير بإكماله في أجزاء تصل حلقات تاريخنا الحديث ببعضها البعض لقراها أجيال سمعت عنها ولم تعاصرها، وأجيال لم تسمع مطلقاً ولم تقرأ إلا كتب التاريخ المدرسية الرديئة .. وفي تاريخ محطات التلفزيون الكبيرة في العالم أعمال من هذه النوعية التي تعطي الأولوية المطلقة

سلامة لأنها تخص الناس كلها أي أموال الشعب.

دواما خارج الدراما

شعر عام واثان وثلاثة قبل أن يهاجنا التلفزيون بالجزء الثاني من دراما (المال والبنون) فإذا به خاليا من أبطاله الأساسيين الذي حققوا لجوئه الأول علاقة وثيقة مع المشاهد (عبد الله غيث - يوسف شهبان - شريف منير - فائزة كمال - حسن حشني ومحمد أبو الحسن) ، ثم يقدم عددا جديدا من الممثلين في بؤرة الأحداث ولا أي علاقة بالدراما الأولى التي تراجعت وتراجع أبطالها وبهت أصبح عملا مقسوما على ذاته لو فصلت منه قصة نجومة الجند جلال عنایت قام بدوره حسين فهمي) وأمسرة المراسي وزوجها خليل البهومي (شيرين سيف النصر وسعد أردش) لما حدث أي خلل بل بالعكس أصبح المسلسل أفضل ، ولكن ما حدث كان استقطابا لامير لها ، وشطحات فكرية هنا وهناك يعبر بها المؤلف عن رؤيته للحياة كما

يتصورها ، فيحكى قصة نضال أسرة عنایت ونضالها وحصار القلعة أثناء الاحتفال بلهى راقص ويأخذ من عسكر بوليسو حملة الاعتقالات للمثقفين والمفكرين ومن عصر السادات هذه للمعتقل والأكثر من هذا نهائيه الفاجعة التي تدعير لفكر التطرف وتحلل سرقة الآخرين ، وأولهم الأب والأم ، وتكثيرهم باسم الدين ، والمساة هنا ليست في هذه النهاية فقط ، ولكن في إضلال المؤلف محمد جلال عبد القوي في الجزائر ، بعد انتهاء عرض مسلسلة يزم ٨ مارس أن هذه النهاية غير النهاية التي كتبها ولا تعبر عنه لأن النهاية الحقيقية له ترد على الفكر المتطرف الذي وصلت من (التفهسية) التلفزيونية ، وأن هناك ٥٦ مشهدا في المسلسل لم يتم عرضهم على الشاشة ، وبالتالي فهو غير مستوّل عن تشجيع الارهاب كما بدأ من المسلسل : من ناحية أخرى فقد أعلن محمود الليثي رئيس قطاع الانتاج (قبل حديث المؤلف بأيام) بأنه لن

ينتج الجزء الثالث من (المال والبنون) .. هذا ساقاله الرجلان في زوايا بعض الصحف والمجلات ، لكن ما بقي أمام ملايين المشاهدين وتربس في عقولهم نهاية محددة تشجع التطرف الديني وقلمه وتطعن في الصميم كل الأعمال السابقة التي تصدرت للفكر المتطرف ومجراته مثل (العائلة) و (أيام المنيرة) و (الخليفة ٤ - ٥) و (أرابيهيك) وبالتالي فتنح هنا أمام دراما تتجاوز الدراما داخل المسلسلات ، لأن تأثيرها غير محدود وتعني فكر اداري عاجز عن ادراك مدى الآثار السلبية لأعمال على أعمال أخرى حاولت فضح فكر التطرف ، وعاجز عن استشراف مآلر الجدير بالبقاء ، على الشاشة ليكون مبرانا للأجبال ، ولعل ما حدث هو الضربة القاضية التي يجب أن يدفعها دائما من غضى في طريقه بفكر حسابات واضحة لصالح فكر التنوير والتقدم .. فيصير مرة .. ويخطئ مرة .. وهكذا .. وعلى هذا التمس تم تقديم ثلاثة أعمال أخرى على شاشة

المراسي: الحفاد الأمل "جيكور خان- يقسم مع قواده على الانضمام من السلمين





الملك والبنو: أميرة العراق والبرسي يقصرون الجزء الثاني مع السحت

التعاز بعد سنوات طويلة من الهزيمة ، وفي
الفرسان) كما في (الزينى بركات) جهود
كبيرة في التعاليف والإخراج والديكور
والتصوير والمونتاج والتشغيل وتستحق وقفات
تفصيلية لولا (زحمة) المحروض ، ولكن (
الزينى بركات) يتفوق في إطار التنقيب
الشديد الإحكام والذي يتفوق فيه عند
سنوات المخرج بحسب العلمي ، وأيضاً في
إطار تقديمه لهرامش هامة في ثابا الحدودية
التاريخية فتكاد تكون موازية لها في القوة إن
لم تزد مثل قصة صعود الصالحات إلى
السلطة وكيف تم في لحظات تدهور مؤكدة
وهو ما حدث مع بركات بن سوسى الرجل
المجهول الذي صعد إلى السلطة بذلك ، حاد
ومن خلال ظروف جعلته يتسلق إلى القمة ،
ثم يقدم للمسلم أيضاً دراما عن سلوكه
السلطة الديكتاتورية تجاه الآخرين ويشير إلى
أن قصة التجمس وأسلوب تجهيد العمال
وقهر الخصوم هو أسلوب قديم وأصيل وليس
بذعة مثل غيرها .. من أساليب القهر
الحديثة..

جلال الدين ، لكنهم اكتسحوا جلال الدين
بعدها ، ودخل في المعركة ثار شخص سبب
منصرح أحب أبناء (جنكيز خان) على يد
محمود بن عنود) ابن أخ السلطان جلال الدين
، والذي قطع رأس الأمير التشي الأمير
فجعل جنكيز خان يمين جنونه ويتقم من كل
المسلمين ، وتتوالى أحداث المسلسل على
الجهتين جهة التتار الذين قادهم خاقان جديد
هو ابن الأمير الذي كان أسيراً ونصبه جده
ليصبح " هولاكو" مصاص دماء المرعب
المسلمين في كل مكان (قام بدور جنكيز
خان وهولاكو أحمد ماهر) ولنتقدم وسط
حكام ضعفاء ، مرتعدين حينئذ يسلمون له
مقدما كل شيء الأبناء والهدايا ، وفي السلسل
أيضا ، إشارة إلى دور الجواسيس والخونة
الكبير في تقدم التتار ، كما حدث في
الزينى بركات) مع بني عثمان .. ويصل (
الفرسان) إلى تولي (قطز) السلطنة بدون
أن يدري أصله النسيب كابن للسلالة التي
حسارت التتار وهزمتهم في عهد (
الحواريين) ، وتحقيقه لأول انتصار على

التتاريين في رمضان الأول يستوحى
التتار والمكبات الشعبية الرائجة وهي
مسلسل (على بابا والأربعين حرامي)
والاثنان الباقيان يعودان للتاريخ ، وللحقيقة
التي حكم فيها الممالكة وصعد نفوذهم ، في
مقابل ضعف الحس القومي والانهيار النفسي
للحكام العرب الخائفين على مكاسبهم وأرواحهم
القرة مما يمكن الأعداء منهم .. ففي مسلسل
(الزينى بركات) تنتهي الأحداث بانتصار
دولة الخلافة العثمانية على مصر وقتل
السلطان المموري وتبدااته بفضل المحيطة
والتدهور الشديد والتناحر في موقعة قتت بلا
حرب وإنما هي استسلام كامل (مرجع سابق) ثم
تعلق العثمانيين بقيادة السلطان سليم
لظروما ن باي ، الملوكة الذي حاول مقاومتهم
مشتوقا على باب زويلة عمرة لم يعتبر ..
أسما في (الفرسان) فقد كانت المساحة
الزمنية لأحداث الدراما أطول فأتاحت فرصة
أكبر لأحداث تبدأ من مقاومة السلطان جلال
الدين الحواري للتتار يقودهم جنكيز خان
والذين هزموا في معركة سابقة قادها والد

من أزمة السينما، إلى سينما الأزمة (١)

المثقفون بين متاريس الفقراء وخندق الحكومة!

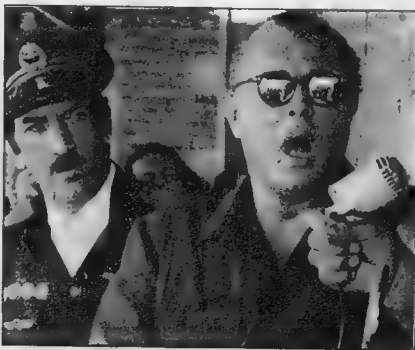
أحمد يوسف

يبدو أن الواقع القائم المرير الذي أصبح يزاد وطأة مع الأيام على كل المستويات ، دون أن تظهر في الأفق بادرة أمل تسمح بقدر ولو قليل من التفاؤل ، يبدو أن هذا الواقع قد فرض نفسه اليوم فرضاً على عالم السينما المصرية، حتى أنه لا يكاد يفهم واحد - حتى أكثر الأفلام رداً - أن يخلو من التعرض لموضوع "سياسي" ، بل إن بعض صناع الأفلام، وخاصة هؤلاء الذين استلکروا وضعا من التجزئة والانتشار، أصبحوا يسهلون عرض أفلامهم بما يشبه "البيانات" ، التي تحدث على صفحات المجلات الفنية الملوثة عن التواهي الطرح لتقديم أعمال تنصهر للمستضعفين في هذا السياق الاجتماعي الإنساني الذي نعشه ، لكنا بعد أن تكون قد قرأت البيان ، وقعت لشهادة الفيلم ، لا تلك إلا أن ترد بينك وبين نفسك ما يقوله ألسنهم "سماعك بالمعنى خير من أن تراه" ، أو أن تتذكر حكمة البسطاء : أسبح

كلامك أصدقك ، أشرف أمورك أستعجب " .
تزداد حرارة الواقع مع هذه المقارفة ، بين الحلم وبينما جادة تعضدي يصدق لمنااة المساهور ، والاصطدام بيننا تزعم الجديدة لكنها تستغل هذه المماناة وتتلاعب بها لتصنع منها بعضاً من التروال السينمائية التجارية ، فعتنث سوف تدرك أن ضبابية الرؤية قد طالت عقل ووجدان قطاع كبير من المثقفين ، حتى ضاع الخط الفاصل بين المثقف الذي يخرج من قلب الواقع لكي يصبح معبرا عن لسان حال البسطاء ، وعصيمته التي تستشرف طريقاً نحو المستقبل ، لكي يتمكن الرطن من تجاوز سلبيات الحاضر التي صنعتها وتصنعها طبقة تعيش على استغلال الجماهير ، والمثقف الذي أصبح هو ذاته - في ظل

دواع متشابكة معقدة - جزءاً من سلبيات هذا الواقع ، حين نرى داخل السياق المعاصر إلى أن يتفنن "قواعد اللعبة" ، ونسير بهراة فرق الجمل المشدود الممتد بين عالم المظهرين من ناحية وعالم الزناحية المختلفة من ناحية أخرى ، فكان المثقف قد انضم حضطراً أو راضياً إلى حلة السورك المنصوب ، فاصبح بهلرانا مترواحنا يكسب ثوبت يومه بالعمل المثلث بشرط أصحاب السورك القاسية ، أو قد يتنجح في أن يكون نجماً لامعاً تحت الأضواء ، يتاله من الريح نصيباً أوفى ، لأنه استطاع بهراة أن يلعب دور الضاحك الباكي، الجاد الهزلي ، زعيم القلابة ويعمل الحكومة نقي وقت واحد.

لكن ألدح الناس التي تشهر إلى أزمة أكثر عمقا وغمرا في السياق المعاصر - أبعاة السياسة والاقتصادية والاجتماعية - هو أن قطاعاً من المثقفين ، على اختلاف تخصصاتهم ، قد تطلوا من دورهم الحقيقي ، ليعلموا أدواراً وثاقفة خادعة، لكنهم يحاولون تحميلها يزيد من التقليل والتتظير الكاذبين ، حتى يتسكروا من الاستمرار في الزعم بأنهم يعملون لمصلحة الوطن والجماهير ، بينما هم في الحقيقة يظهرون إليهما كما لو كانا وسيلة للاستزاق ، أو بالأحرى للاستغلال . وبينما يجب أن يكون موقف المثقف - والقنن على نحو خاص - هو دائما خارج السلطة ، ليس من أجل المعارضة المجانية ، وإنما ليرى الواقع من خلال عين أكثر نفاذاً وبصرة ، فإن هؤلاء المثقفين والقننين قد اختاروا أن يكونوا جزءاً من المؤسسة القائمة ، وأغشى أن يكون بعضهم قد تجاوز ذلك ليعمل من أجل "حساباته الخاصة جدا" ، فاصبح القلابة والمتضرعون عندهم أقرب إلى المرض القلبي الذي يلحق للعلاج في "القصر العيني" ، ليجد نفسه قد أصبح "وسيلة إيضاح" لايسمي الأطباء الكبار لعلاج لكي يبقوا مرضاً أبداً حتى يتمكن هؤلاء من استغلاله لشرح دورهم 11 وليس بعيد عنا دور العديد من المؤسسات "الثقافية" ذات التصويل الفاضل ، التي تتخفى وراء الواجهة البراقة لراكر الأبحاث ، بينما غاية من يتفنون عليها هو التقليل في أحشاء الوطن حتى يتسكروا يرموا من أن يتسكروا على قلبه بيد من حديد أصبح بعض المثقفين إذن هم "القائلون" الذين يقومون بتنفيذ هذه "العملية" ، ليجدوا أنفسهم بين عشية وضحاها قد أصبحوا نجوماً لامعين ، تحفل وجوههم المصترلة شاشات وصفحات وسائل الإعلام والإعلان ، (وذلك في الحقيقة جزء من ضمان نجاح "العملية" ذاتها ، كما أصبح بعض الفنانين ذوي الشهرة البراقة متحدثين رسميين





فيهم القطاع الأكبر والأعلى صوتاً من التناد
أنهم التسوُّج والمُخل الأعلى لسيئتها جديدة
وجادة .. ولعل من المهم أن نذكر القول الذي
وردناه مراراً بأنه ليس من حقنا أن نصادر عل
روية الفنان الخاصة للواقع ، وإن كان ذلك
لا يبنى أبداً مستوريات الناقد في أن يلقى
الضوء على حقيقة أصالة روية الفنان ، تلك
الأصالة التي لا تستمد مصداقيتها من قدر
اتفاقنا أو اختلافنا معها ، وإنما من خلال
العلاقة الجدلية الحسية التي لا بد أن يلعبها
الفنان مع الواقع ، سواء انتفى إلى الرقص
المشتات أو القبول المتفائل ، لكن ما يهدد هذه
الأصالة بحق هو أن تتعلق روية الفنان من
مفاهيمه المسبقة للجاهز ، أو أرواحه شديدة
اللاتية ، التي تدفعه إلى أن يتصور أنه يرى
الواقع على حقيقته ، بينما تراه قد تخلى عن
هذا الدور ، وتوقف عن هذا الجهد الصادق
ليصل إلى جوهر الواقع ، ليسعى تارة عن
خلال نرجسوته ، وتارة أخرى من خلال الرغبة
في النجومية والتجاذب التجاريين - أو من
خلال الاتيين معاً - لصنع أفلام تزعم أنها
تتعلق من المستضعفين ، لكنها تزيى بهم
وتزدهم !

الجماهير هي البضاعة والزئير !

لكي تصبح مصفاً فإن عليك أن تعترف
بأن الاستسلام الضمني أو الصريح لبعض
الشعيق للواقع الراهن ليس إلا نتيجة لهذا
الواقع الحائق ، الذي يجعل - في مجال
صناعة السينما على سبيل المثال - من تحديق
قبله يتمتع بمهارة أمراً صعب المثال ، لكن
المؤسف أيضاً هو أن أغلب تلك القرص الثقيلة

الحقيقية والزمع في الواقع المصري المعاصر ،
مجلة الهلال ، يناير ١٩٩٥ ، والتي تلقى
على من يزال يملك شعوراً وطنياً وقومياً
بالمستولية عبثاً ثقيلاً بضرورة العمل المخلص
لصنع مستقبل أفضل للأجيال القادمة ، بدلا
من ذلك الظلام الدامس الذي تنسجبت في
أرجائه ، وتحولنا فيه إلى كائنات عمياء تنقع
بأن تجد لنفسها موطئ قدم ، دون أن تلمس
طريقاً للخروج .

تلك الكلمة الهائلة الفارقة التي يقتررب
حجمها - مثل جبال الجبلد الصائفة - من
سبعة أعشار هذا المجتمع ، هي التي تهيب
اليسوم من ذهن قطاع كبير من المثقفين
والفنانين ، ليعرضون لها حساباً إلا أن تكون
مادة للاستغلال والربح وتحقيق النجومية ،
وإن كان جبل الجبلد لا يتوقف أبداً عن الحركة
التي قد لا تراها ، لكنها قد تنتهي بارتطام
شامل رهيب تقدر إليه الظروف القاسية ،
وتتلاعب به قوى التطرف ، وإن بدا لك هذا
الحديث بعيداً عما يدور في عالم صناعة
الأفلام ، فإن ما أوجره حقا هو أن تعيد النظر
في الكثير من الذهنيات المستجدة والمغلوبة
التي أدت إلى أن يقوم بعض السينمائيين
بصنع شرائط سينمائية ترفع شعارات الرقوف
إلى جالب المهوورين ، وإن كانت في حقيقتها
تزيدهم فقراً وانسحاقاً .

وقد تقسم لماذا يلجأ صناع أفلام
مناصلنا على تسميته بسينما الفالات
إلى تلك العالجات الباهتة السخيفة التي
تستغل آلام هؤلاء الفقراء وهوانهم ، لكي
يتحولوا إلى مادة للسخرية المبذلة ، لكن
ما يهت على التلق العميق هو أن فقد الحققة
في الرقية والمعالجة إلى فنانين سينمائيين يرى

في السياسة والاقتصاد والاجتماع
والفلسفة (١) ، لتجدهم في النهاية يلعبون
دور الوسيط لتزويد وجهة النظر الرسمية
السائدة ، لكنها هي هذه المرة على لسان
النجوم الذين يتمتعون بالجماهير .
لكن الأقرب هو أن يستعمل القطاع
الأكبر من المثقفين لهذه الفوضى الضارية
أطناها في كل مجال ، لتعصم معهم وغاية
مرادهم تكريس هذه النجومية والزراعة
الزائفة ، دون أن تسع الفرصة كثيراً للمعض
من يؤمنون برسالة المثقف الحقيقية إلثنا .
الضوء الكاشف على ذلك الحاضر المفلز ، الذي
يكاد أن يتسنى أو يعتاش سامناً كل
الذهنيات التي يجب أن يقوم على أساسها
الوطن كما نعرفه وتعلم به ، وطناً قويا يارادته
الحرة ، وعادلاً ببنائه الاجتماعي المتوازن ،
وصامدا أمام كل التحديات التي تهدد وجوده .

الكلمة الفارقة من جبل الجبلد

ولعل أكثر الذهنيات إلحاحاً هو أن وطنا
لا يمكن أن يحقق هذا الوجود إلا من خلال "
الجماهير " ، تلك الكلمة التي أصبحت -
للأسف الذي يبعث عن القزع والأسى معاً -
تغير سخرية بعض المثقفين ، فتكأنهم يريدون
أن يملأوا لك أنك تتحدث عن كائن خرافي
لا يوجد له ، لكن الحقيقة هي أن ذلك الموقف
يعكس غيباً كاملاً لوعي هذا القطاع من
المثقفين ، الذين يجعلون أو يتجاهلون وجود
تلك الكلمة الهائلة الفارقة تحت السطح من
التقراء والمستعجلين ، التي أشار لها الدكتور
وهشي مصده في دراسته الشاملة المفزعة ،
والتي تعتمد على البهائات الدقيقة ، ()

تعدو لتصب في النهاية - بحسن نية وقصور رؤية أحيانا ، ومراوغة وانتهازية في أحيان أخرى - في تيسار الواقع السائد كما يراه الإعلام الرسمي ، الذي يعمد إلى تشييت الانتباه عن جوهر الأزمة ، وعصرف الأنظار عن الوسائل الجذرية لتخطيها ونجارتها ، وإن كان الأكثر إثارة للأسف هو أن الرؤية التي ترسخها هذه الأقلام تكاد أن تطلق في كل الحالات من الرغبة في الحصول على النجاح التجاري بأي وسيلة وبأي ثمن ، حتى لو كان الفقراء والمستضعفون هم الذين يتحملون وحدهم دفع هذا الثمن الباهظ ، ليس فقط من كرامتهم ، وإنما أيضا من خلال السفيرة من أحلامهم الإنسانية البسيطة.

وإنك لو نظرت إلى بعض هذه الأقلام لأنتهى بك الأمر دون أن تدري إلى أن تسأل نفسك : ألا تكون صورة الوطن أفضل لو اختفى هؤلاء الفقراء من الوجود ؟ ليس يعني أن يحصلوا على فرصة حقيقية لتحسين أوضاعهم ، وإنما يوصفهم أقرب إلى الخيوانات الكريهة أو المقتصرة ، فهم كما

يظهرون على الشاشة غلاظ أجلاف ، لأمل هناك في أن يتخللوا أبدا عن سؤقتهم وقنارتهم . لكن هذه الأقلام لا تطرح عليك تساؤلا واحدا حول الظروف التي دفعت إلى هذا الحال البائس تلك الكتلة الهائلة الغارقة من الوطن ، والتي تحمل فوق كاهلها قمعة الطاغية الناجية ، فهل تنتظر من مثل هذه الأقلام أن تشير ولو بطرف جفئ إلى الطريق الذي يمكن لهؤلاء البؤساء أن يسهروا فيه لكي يتحرروا من بؤسهم وهوانهم ؟

ومن الحق أن بعض الكتابات النقدية قد لمست تلك النظرة السلبية تجاه الجماهير في بعض هذه الأقلام ، ولعل أكثرها وضوحا هو فيلم "زيارة السيد الرئيس" لفهر وأضي ، الذي يعتمد في خطوطه العامة على رواية يوصف القمع "يحدث في مصر الآن" التي وآها البعض تسجيلا للمشاعر المتناقضة بين اليأس والرجاء ، للجماهير المحزنة خلال زيارة نيكسون لمصر في عام ١٩٧٤ ، مما يجعل الرواية في نظر هؤلاء لاتصلح بحد عقدين كاملين من أحداثها للتعبير عن الواقع الحاضر ، لكنها في جوهرها تمثل محاولة

للإسكاف بلحظة من لحظات الهوان القومي ، الذي دفع الجماهير دفعا للثقل بأحلام وأثمة عن رخا - وهمي ، يتحقق في تصوراتهم من خلال "الصدقات" التي تهبها لهم ماكانت تطلق عليه - ولا تزال - الصحافة الرسمية " أعظم دولة في العالم" ، لذلك تبيان جوهر الرواية يصبح في ظل الظروف الراهنة للتعمية وقندان الإرادة القومية أكثر إلحاحا واقترابا من الواقع . ولعل هذا هو مادفع صناع الفيلم إلى إنجازه - من خلال هذه النوايا التي تتنطق - كما يبدو - من دوافع وطنية لا يمكن الاختلاف حولها .

لكن المفاجأة التي تعصف بهذه النوايا وتصفع المتفجع صقعا ، هي الرؤية السينمائية التي أرادت أن تشير فوق الهمال ، فعمدت إلى طريقة تجارية متعملة ، بل مبتذلة في بعض الأحيان ، فضاء جوهر الرؤية السياسية ، وتحول في لحظة من صروف إدانة السباق السياسي الذي أفضى إلى تلك الحالة من الهوان القومي ، إلى صروف إدانة الجماهير التي تراها تقتصر أن المهانة جزء أؤلى أبدى من طبيعتها الفنية !!



سينما * التكنيت* على القلقاء



إن " حكى الله القليل" (محمود عبد العزيز) رئيس مجلس القسرية رجل انتهازى بطريقته ، وإن كنت لا ترى من فسادة إلا مصادله ونزواته الجنسية التى تقوده رغم إرادته إلى الارتباط بالزواج من الممرضة رباب (هيناء) التى يزيد القسيلم من اصطناع شخصيتها لينسجها رقصه وأغنيته وكثيرا من العبارات والإيماءات الجنسية الرخيصة الملم هو أن حال القسرية يصاب بالاضطراب حين تصل العرة الأمريكية إليها ، ليقرر مجلس القسرية أن يفسر توزيعها على النساء الخواص ، فيسهر كل رجال القرية - بعد تعاطى جرعات كبيرة من المنشطات الجنسية بحقن المحبر - فى أحضان نسايتهم فى محاولة لتحقيق الحمل المنشود ، وهنا يستطرد الفيلم فى عشرات من التكاثر اللطيفة الفاضحة التى يرملها بعض ممثلى الكوميدى ، الذين يظهرهم فى شخصيات قريية بما يقدمونه على خشبة المسرح التجارى (مثل نجاح المريجى ، وصالح عبد الله ، ويوسف داود ، وصلا ، وللى الدين ...) كما تنطلق النسرة فى الزغاريد إعلاها عن غلطة الشيق الجنس (١) ، بل إن بعضهم تدعين حملا كاذبا ، مثل القلاصة صديلة (جيهان نصر) زوجة عامل الطازونة حسن (حسن الأسمر) ، الذى يهود الشخص الوحيد الذى يلقى ضد هذه المهزلة ، لكن السخرية تصل إلى أقصاها عندما يتذكر الرجال فى زنى النساء ، لكن يعضوا على نصيب من الممرضة ، ليست هناك أية علاقة دراسية بين هذا النصف الأول من الفيلم ونصفه الثانى ، حين يظهر شخص محتال (خليل مرسى) ، يهرم " على الله" بأنه يحمل إليه رسالة متوقفة الرئيس الأمريكى والمصرى فى القرية ، فيقرر رئيس مجلس القسرية فى الأحكام حول مستقبله السياسى إذا ما نجحت الزيارة ، ويقرر أن يجند كل إمكانات قريية انتظارا للحظة الموعودة ، ويعيش الجميع معه تلك اللحظة من التشويع الزائفة ، فيسترقع فوق البهوت أصلا - أمريكية ، ويحصل الدكاكين أسماء أجنبية ، ويقرر رجال القرية إجراء " برولة" استعدادا للحظة المشدودة ، فيتقصص الحلاق (نجاح المريجى) شخصية الرئيس المصرى ، بينما تكون شخصية الرئيس الأمريكى من نصيب أحد الصعاليك (ضياء المبرغنى) ، ليندخل الفيلم فى سلسلة من التكاثر والمواقف المرتجلة ، لاتعطى أى اهتمام لأن يجعل هذا الموقف وسيلة ذكية للإشارة إلى

فيصبح بطلها هو الشعب المصرى كله ، أو بالأحرى تلك الكتلة الهائلة الغارقة منه ، التى تصانى أشد اللماناة من الحبر من أبسط شروط الحياة الإنسانية ، وتتلقى من أصحاب السلطة والسلطان كل اللوم على تقاعسها وكسلها عن العمل والإنتاج (١) وهو ما يلقى مع تصريح كاتب السيناريو بشهر الذئب عن القيمة التى يريد أن يعيها فى فيلمه عن أن " السبيل الوحيد للخروج من عتق الزجاجة يتمثل فى العمل وحده ، دوما انتظار لخص باتها من الخارج " ، وإن كان الفيلم - مغلما - تسجل الحكومة قماما - لم يشر لنا أبدا إلى السبيل الذى يجد فيه هؤلاء المطحونون فرصة للعمل والحياة الكريمة ، بل جعلهم يحصلون وحدهم مسئولية ذلك الهوان الذى وصلوا إليه - بل يكن فيلم " زيارة السيد الرئيس" إلا حلقة فى سلسلة طويلة من الأفلام التى تعكس عمق الأزمة فى فهم بعض المثقفين للواقع وزيوتهم له ، فمن قبله جات أفلام مثل " حرب القراولة" جبرى بشارة ومن بعده تأتى أفلام مثل " قليل من الحب ، كثير من العنف" لرأى الميهوبى و " بهيت وعديلة" لهادل أمام وناد جلال ، ولقد تتراوح هذه الأفلام بين التعقيد المتعمد والسطحية الساذجة ، وقد تهيأ على السطح فى شكلها ومضامينها ، لكنها تتلاقى فى السعى الحميم - الذى تختلف وسائله - للإسكاف بتلابيب الجماهير ، وإن كانت تنعش عبر الدروب المتعلقة إلى السخرية المبررة من غلذ الجماهير.

السياق السياسى المثير للضحك واليكام ، معاً ، لكنها تولى اهتمامها كله لتوزيع السخرية على أهل القرية . ويتبنى الأمر كما ينبغي لله أن تتوقع عندما يمر قطار الرئيس على المساهير المحشدة ، صابرا بأقصى سرعة ، ليثير حاصلة من الغبار ، يفرق الجميع فيها كما يفرقون فى الحسرة ، وإن أراد صناع الفيلم أن يعيدوا نزعاً مأساوية ملحمة ، عندما وصل جثمان حسن الذى اختفى فى ظروف غامضة ، ويتبنى الفيلم بزوجته صديلة ، فى ملابس الحداد ، وهى تحمل طفلها فوق رأسها ، وقد أمسك فى يلاعة علما أمريكيا من الورق .

لاتبحث عن الطموح الفنى الذى بدأ فى التسليم الأول لتيير راضى " أيام الغضب " (١٩٨٩) ، فليس هنا منه إلا بعض شذرات قد ترحى بها اللقطات " الفوتوغرافية" فى بداية الفيلم ونهايته ، والتى يتقنها مدير التصوير ماهر راضى ، لكن الفيلم كله يفتقد الأصالة الفنية ، إذ وقع فى فخ السيناريو شديد السطحية والفرل الذى اشترك فيه بشير الديك وأحمد ممتولى ، وفى شرك الاستسلام لتلك " التمر" التى تركها المخرج للمثقفين أن يقرموا بها كيفما شاؤوا ، وتكتفى الكاميرا بأن تلق أمامهم كأنها تصدر خشبة مسرح ، ناهيك عن " اللرسكة" والمبالغة الشديدة التى لجأ إليها الجميع ، حتى النجم محمود عبد العزيز الذى لم يجد أمامه إلا شخصية مسطحة هزيلة حاول أن يعنى عليها بعض الحيوية ، فزادها اقتعلا وأسطناعا .

قد يكون الفيلم كله فى التحليل النهائي مجردة "تكنيت" سقيمة تشبه ماتصفه أحيانا من سخرية سوداء غميمة على " واحد صعيدى" لكن النكتة هنا تتحول هذه المرة

هى إدانة العصر وثيمة فكرية تعضد
فيها أعمال العقل ، ويتراجع الاجتهاد ،
وينطوى عقل الأمة على التعمص والتقليد
والاتباع .. فالكل (تثار) داخل نص سعد
الله .. عساكر تهمرو لك في حصارهم لمدينة
دمشق عام ٨٠٣ هـ ، أو قلها «وعلى»
وأعيان المدينة الذين هزموها من قبل الهزيمة
والهجرة واقتحام التتار لها .

لم يستطع عصام السيد التخلص من (
ميكانيزمات) عمله الطويل في المسرح
التجاري ، فأضاف بضع رقصات استعراضية
لاميز لها ، ولأجاجة للعرض المسرحي إليها .
إضافة إلى فقرها الفني ، وسذاجة تشكيلاتها
، وضعف إمكانية الرافعين فيها .

ونفس النطق التجاري ، وضع عصام
السيد عينه على جذب التفرج والتلاعب
بشاعره بالهجو إلى الخطاب الديني .. وهنا
تكن كل خطورة المسرحية ، ليس فقط في
تأكيدنا لالتباس بعض الشخصيات داخل
النص ، ولكن في تزايد ذلك الالتباس بالنسبة
لشخصية الشيخ التاذلي (قاضي المالكية في
دمشق عام ٨٠٣ هـ) إلى حد التناقض مع
نص سعد الله ، ورواقه الأساسية .. فعلى
حين أراد المؤلف لتحليل بنسبة عقل
المهينة من خلال جملة الملاحظات
الاجتماعية والاقتصادية والفكرية
والتي تنتهي بالضرورة (في زمن
الاضمحلال) إلى الهزيمة دون حاجة

منمنمات تاريخية: امتحان الصواب .. أم امتحان الخطأ؟!

عجلة الزمان

مسرحية محورها الصراع العربي الإسرائيلي
.. ثم التمس أكثر جواد الأسدي عندما قام
بإخراج النص للمسرح الوطني الفلسطيني ،
وبذا التباس مضطربا ، في تفرقاته المتتابعة ،
وصعوبات الحذف والإضافة التي قام بها داخل
المسرحية ، في كل بلد عربي ، قدم فيه
مسرحية اغتصاب .

وقى منمنمات تاريخية (أول
إصدارات سعد الله ونوس في القاهرة - دار
الهلل ١٩٩٤) .. تعددت مسعريات القراءة
، وتداخلت الأحداث في جدارية غاب خلالها
المشهد المحوري ، لتعساري الأجزاء أو
المنمنمات في المضمون أو في الفسهاب ..
ولتكتمل رؤى الهزيمة .

مرة أخرى يتكرر الاختلال الحاد على
خشية المسرح مع نصوص الكاتب المسرحي
سعد الله ونوس .. فعلى المسرح القومي
بالقاهرة ، تعرض حاليا مسرحية " منمنمات
تاريخية " من إخراج عصام السيد ، في
رؤية شديدة الالتباس ، لا تدرى إن كان يمتحن
الصواب فيها أم يمتحن الخطأ!!

هل هي طبهة النصوص المسرحية لسعد
الله ونوس في مرحلتها الجديدة ، لاستكشاف
الصواب ، وتأمل الإشكاليات التي يطرحها
بتدر كبير من التركيب ، وتعدد المستوي
والبناء .. كسما في الغتصاب ، يوم في
زماننا ، منمنمات تاريخية ، طروس
الاهارات والصحولات ... أم أنهم
المخرجين المسرحيين في تناقضاتهم مع شروط
النص ورواقه!!

في اغتصاب التمس سعد الله ونوس ،
وهو يحمل نص الاسباني باهر باهيو
القصة المزدوجة للدكتور بالي ، إلى

عبد الرحمن ابن زهرة "التاجر دامة" وسط قلها . المدينة.... مؤمن البرديسي وسحر عام



إلى انتصار الربانية .. أقام عصام السيد ربيعته الإخراجية بالتركيز على مسحة الوطن أمام الفزح الحارجي .. وكيفية مراجعة المدينة باعتلال تياراتها وجماعاتها خطر التعاقب العام.

تناقضات العرض المسرحي ٧ أشهر من بداية الحرم وحتى نهاية شهر رجب سنة ثلاث وثمانمائة هجرية ، هي زمن حصار صور لذلك المدينة دمشق ، والتي اختار سعد الله وتونس ، أن يتابع قصصياتها من الهزيمة إلى المجهزرة ، معرققا أمام سطوة العقول القويين لقضاة الشرع ، ولقها ، المدينة على تباينهم .. (ابن سفلح ، ابن العز ، ابن التابلسي) ثلاثة من قضاة الشرع ، وقها ، الخنايلة في ذلك الزمان ، وحذتهم المصالح والأطامع الصغيرة ، إلى الحد الذي لم يفرعهم فيه الخطر التجاري على أرباب المدينة إلا بحجم تمارض مع الكاسب والأطامع .. وقد صاغ المخرج صورة هؤلاء النقصاء بشكل كاريكاتيري في أدائه للفسادهم وتعصبهم وقصور علمهم ، وهن صورة ليست بعيدة عن النص ، بل عن تاريخهم (بحسب قراءات المؤرخين القدامى) .

فابن مفلح قاضي الخنايلة ، يعي بوضوح كونه استخدام الدين كغطاء أيديولوجي لمصالحه وصرفاته .. وقد اتفكس ويأمر سامي عبد الحليم بالشخصية ، من خلال أد ، منع المخرج فرصة الكشف والتأمل .

ثم يأتي الشيخ برهان الدين التاذلي ، قاضي المالكية في دمشق في ذلك الوقت ، والذي قاس بدوره الفنان (مصعد السبع) ونوس ، على الرغم من التزام المسرحي بكتليات الشخصية وانحياز النص (لكن المخرج) وبالتالي (الممثل) لم يدرك التناقض بين تأثير الخطاب الديني للشيخ التاذلي على وعي العامة في دمشق عام ٨٠٣ هـ ، وبين محاولة إصدار ذات التأثير على جمهوره الحاضرين بالمسرح الترمي .. ففي انتقال هذا التأثير الأيديولوجي الديني بسطوة ، إلى المفسرين ، يقع العرض المسرحي في الخطورة ، والتناقض مع نص سعد الله وتونس .

وبرهان الدين التاذلي كما يقدمه النص ، شيخ جليل ، صديق الشعوب بالواجب والغيرة على الوطن .. وهو يبدأ تضالته الوطني من خلال الحلم بالرسول عليه السلام . يأسره

بالمجسده .. ثم الحلم به ثانية بدهشة للاستشهاد .

هي الإشارة والغلام ، والتكليف الديني الواضح بالتضال ، وهي التحولات والمصير القوي التي رسمها النص للشيخ ، وقد حافظ المرض المسرحي على هذه الصورة ، ويقتدر كبير من الجلالة والمهابة والتقدس ، خاصة وأن لشهادة الرسول عليه السلام في الحلم ، مرتبة ودرجة في الوجدان الشعبي ، وليس في الوجدان الديني فحسب .

وقد سمع المخرج بتأكيد جلاله الشيخ التاذلي ومهابته ، من خلال قيامه بالصلاة على المسرح والأضائة المحترمة المصاحبة له ، وصوراته المتكررة - بصوته المصنوع - على الرسول ، والتي يتبعها تصاعد ثقتما جمهور المحاضرين ، بالصلاة والسلام على الرسول .. وليتناكد الانحياز العام والتوحد بين الجمهور والشخصية .

مشهد وحيد كشف خلاله النص عن فكر (التاذلي) الأحادي المتعصب المضاد لكل اختلاف واجتهاد .. حين يوجه قها ، دمشق الشيخ جمال الدين الشرايبي (قام بدوره ناصر عبد الممنم) متعصبه بالخط في أسود الدين ، والجحوش في القدر والكفر والزندقة .. ثم يقومون بحرق كتبه .

ويمنح النار تتصاعد على خشبة المسرح من أعراق الكتب ، يتعلق حولها فقها ، الشام (الشيخ التاذلي ، ابن مفلح ، ابن العز ، ابن التابلسي) في مشهد ماجرس بالغ الدلالة .. لكن المشهد في ظل الأداء ، المتقصي لمحمد السبع ، ورواية المخرج لشخصية التاذلي ، لا يصد كثيرا ، وسرعان ما ينفذ دلاله الحريق ، فنفذ قنع الجمهور قما يصدق التاذلي وعصديقيته وصوابه .. خاصة وأن نصوت محمد السبع الزور ، العميق الجميل والمرتب في الأذهان بالأدعية والأحاديث الدينية في إذاعة التاهرة تأثيره البالغ .. ولأن التبرة تدعى الأغنية - كما يقال - فإن طريقة القاء وأداء محمد السبع أكدت على تلك الدلالة الدينية القوية ، والتي متعها المخرج شرعية مطلقة بالتأكيد على نزول الشيخ التاذلي محمد السبع (الشيخ) إلى صالة المحققين ، وحتمهم على الفضال من خلال خطاب أيديولوجي تروث الجميع معه .

وهي رؤية متعمدة مع سبق الإصرار لدى المخرج ، الذي دافع عن رؤى (التاذلي) الصانبة ، مشيرة إلى جماعة (محاسن) وتأبيده لتضالها الوطني .. وهكذا يتضح المخرج من رأيه وعرقته قولاً وعملاً حتى ولو

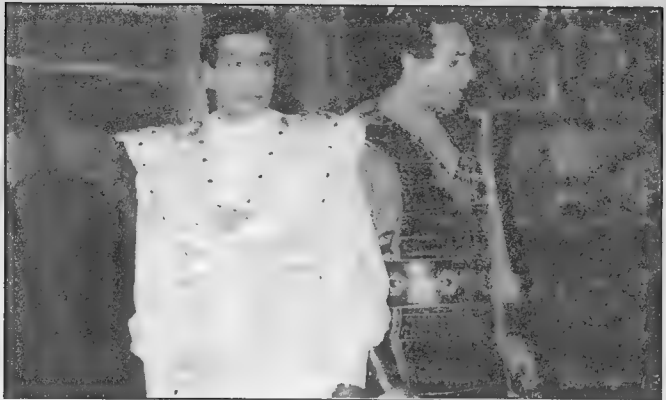
تناقض ذلك مع رؤية النص الأصلي .

ويشكر الالتباس مرة أخرى مع شخصية (أزدار) أمير القلعة (قام بدوره أحمد عبد الوارث) .. وهو أيضاً داخل نص سعد الله وتونس تثير الإعجاب بها وأثره بروتينيه ودفاعا المستحيت عن قلعة دمشق ، التي حصلت وحدها شرف النفاذ عن كرامة الأمة ((١١)) . بينما يظل ولاه النظام القائم بكل فساد ، ويظل تسلطه وديكتاتوريته الصورت الواحد فيه زولا وهامشياً ، فعلى حين راح أعالي دمشق يتقهون القلعة بهمة ومهارة لتسليمها لتيتموز لك (كما ذكر المؤرخ القديم بالتص) ينفذ أمير أزدار ، باصرار للدفاع عن قلعة دمشق عن المشهد الأخير . وعلى حين يتراجع المتحمس الشوري ، المعارض لكل أشكال الفساد في النظام القائم (محمد بن أبي الطيب) قابلاً بتسليم المدينة لتيتموز لك وعساكره ((١٢)) ويضيق المخرج أنه ساهم في ثقب القلعة مع أهالي المدينة) .. مرة أخرى ينفذ القائد (أزدار) بطلا نادراً وروحانيا في دفاعه عن المدينة ، وعن شرف البلاد التي لم يحسن أهلها ومثقلتها وترويتها البلاء عنها ((١٣)) .

هكذا بدأ النص ملتصبا في شخصية (أزدار) ، وفي شخصية (ابن أبي الطيب) .. وتؤكد ذلك الالتباس بوضوح داخل العرض المسرحي من خلال دلاله التي التي اختاره المخرج للملابس أزدار بطيحتها العسكرية ، ويمشق طوال العرض سنسقا فوق البدلة العسكرية السوداء برشاشها الأحمر .. وقد صاحبت الإضاءة الحمراء حركة (أزدار) على خشبة المسرح في إشارة ساذجة للثورة .. وفي مشهد الخروج الأخير من قلعة دمشق ، حرص المخرج على خروج أزدار بحلة عسكرية بيضاء قما ، أي في أبهى صورة ، مزهرا بمصمود ، وهو صمود يستحق المهابة والأثر ، دون أن يسمح لنا بالحديث عن ديكتاتورية وقمع وتسلط .

ومرة أخرى يتقدم أحمد عبد الوارث (أزدار) إلى مقدمة خشبة المسرح ، ليتيح له المخرج ، التزول إلى صالة المحققين ، في منزلون حاسي ، يؤكد خلاله ثورية النظام ومصاديقته في الدفاع عن شرف البلاد ((١٤)) .. وهي رؤية تضليلية داخل النص والعرض معا .

إدانة ابن خلدون ، اختار المخرج عصام السيد مزيلا وأحد آل حمزة الشمسي) للقيام بأداء شخصيتين في النص : (المؤرخ القديم) وشخصية (



احمد عبد الرازق (أردار) وحيد لؤي سليم (نائب الأمير)

يعنى دولوت (11)

إضافة ذكية سمحت لنا مع بساطة ووعي عبيد الرحمن أبو زهرة، بالتأمل الراعى والتدنى للشخصية، ولا يحدث أمانات. وتأكيدها لتلك الطبيعة المحمية، جاءت موسيقى سمير حبيب مشحونة بدلالات نقدية .. فسيبدأ المشهد الأول بإبراز جنانتي هو توزيع خاص لموسيقى (وطني حبيبي وطني الأكبر) .. ومع مشهد انسحاب المصاكر السلطانية من أرض المعركة .. يتم التراجع بصورة كاسريكاتيرية على لحن (الله أكبر).

قدم المخرج فرجة بصيرة جمالية، من خلال تشكيل وحدات الديكور، ولولا تكرار استخدامها في العديد من المشاهد بصورة مجانية، فبدت أشبه بالحلبة الزغرافية منها إلى الرقبة الدرامية على خشبة المسرح .. فنعلمنا يناقش (شرف الدين) استعاده (ابن خلدون)، يقسم المشهد بتسريحه تلك (ابن الهنوات) في اتجاهات متضادة دون وظيفة أو دلالة، وبما يؤثر على أداء الممثل. متضمنات تاريخية تثير من الأسئلة والحلقات حولها، أكثر مما تثير من الاتفاق وفي هذا تراوفا وصرعيتها.

الأموى، بينما على جانبي المسرح قراطع طويلة (بانوهات) يقوم الممثلون بتحريكها من مشهد إلى آخر.. ففي مشهد اغتصاب حورية(قامت بإدائه معتزة صلاح عبد الصبور) وأثناء محاولات القرار من مطاردة التاجر دلامة، قامت معتزة (حورية) بتحريك تلك البانوهات والاختفاء خلفها بطريقة أقرب إلى الحركة داخل المساحة عمقت من دلالة المطاردة ولمعززه حساسية وحضور لاقت على خشبة المسرح ورغم دورها الصامت.. أما عهد الرحمن أبو زهرة في دور (دلامة) الذي فهم الدنيا بعقلية كتاجر، فما من عقده إلا وحملها صققة .. وهكذا في حنة ودمشق كان أول التاديين بالمساومة والبيع وتسليم المدينة إلى تيمورلنك .. ولعله أكثر شخصيات العرض المسرحي اشتياكا مع الراعى واشكالياته الراحنة، من خلال أدائه الراعى لأسلوب (التعاقد) الذي استخدمه سعد الله داخل النص، في بساطة متناهية يفرج عن شخصية التاجر دلامة، بكسر الاتهام بها، بشخصيته الحقيقية التي تقوم بالتعليق على الوقائع والأحداث، مكررا مع كل تباعد، إضافة المخرج الذكية، بأن تلك الأحداث وقعت سنة ٨٠٣ هجرية يعني مثل دولوت (1) .. ثم يصعد في نهاية العرض ليتؤكد أنها (وقعت سنة ٨٠٣ هجرية

عهد الرحمن ابن خلدون) .. وهو توحيد أراد من خلاله إدانة المورخ وابن خلدون معا .. لكنه أيضا وقع في التناقض، فقد حافظ على تلك التحولات الأخيرة التي منحها سعد الله ونور للمورخ القديم داخل النص، بخلق حبيده ورواية الوقائع والأحداث بقدر من التعاطف، وهو ما يتناقض مع شخصية ابن خلدون التي أدان (النص والعرض صمما) حباهدا العلمي، وسوقها التقني، الذي لا يرى في الخطر والمخطر الهدد لوجود الأمة سوى وصف المحنة.

وقد انعكس هذا التناقض بين الدورين، على أداء الممثل حمزة الشامي، فحاول أن يبدو طبيعيا، وصادقا وتلقائيا في دور (المورخ القديم)، بينما مارس أداء خارجيا متكلفا مستعار الصوت عندما قدم شخصية (ابن خلدون) وهو ما أكد إدانة ابن خلدون خاصة مع تكرار نزول تلميذه شرف الدين (قاصر سيف) إلى صالة المتفرجين مردودا بانفعال (حين تلم الأخطار بالأمة) من المؤسف ألا يكون لدى العالم، سوى وصف المحنة.

اقرب أشرف تميم في تصميمه لديكور العرض المسرحي من فكرة المبتدعة جماليا ومن زمنيها تاريخيا .. ففي عبق المسرح لوحة متعددة المستويات للمسجد

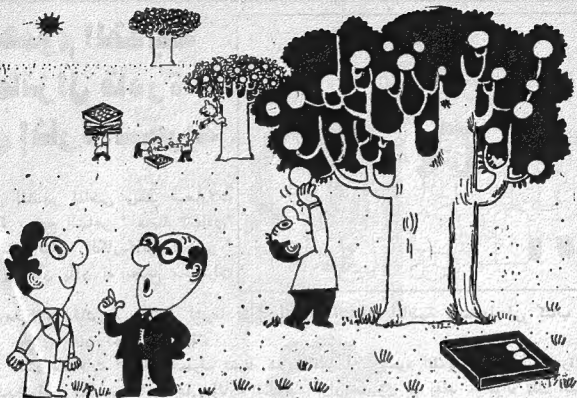
الهموم
القديمة
ما تزال
قادرة
على
إثارة
السخرية

عقبال أولادك ، ابني نبح وأخذ الشهادة ،
وببها عشان يشرب ميترا !



يا ترى أيام سيّدنا إبراهيم عليه السلام ، كان الكيلو بكام ؟!





– دلوقتي اقدر اقول لك ان زراعة الكحك نجحت لأول مره فى الجمهورية
، والطريقة اننا بذرنا تقاوى الدقيق الابيض ، وبعد كده
بدل ما نسرى الارض بالميه ، كنا بنرويها بالسمن البلدى ... !

فهمت ، فى مرحلة «الصحوه» كنا «بنصي» الصبح نروح الوزاره ،
تتن فى مرحلة «النهضه» ، «ننهض» الصبح نروح الوزاره !



الهموم القديمة ما تزال قادرة على إثارة السخرية

في الشهر الماضي وبعد محاولات
مضنية ، لمجى الشاعر " محمد بغدادى "
فى إقناع فنان الكاريكاتور الكبير
حجازى " بأن يأذن له بجمع مختارات



من رسومه الكاريكاتورية ، التى نشرها خلال الأعوام الثلاثين الماضية وجمعها فى كتاب صدر
بعنوان " حجازى فنان الحارة المصرية ".

و حين تقلب صفحات الكتاب فسوف تدرك على الفور أن الهموم القديمة ، ما تزال قادرة على
إثارة السخرية ، كما هى قادرة على إثارة الدموع ، وأن حجازى لم يفقد ، طوال تلك السنوات
، الصلة بالقراء والبسطاء الذين يستطيعون وحدهم أن يلهموه تلك الرسوم الجميلة العميقة ،
التي تفجر الضحكات وتثير التفكير فى معانيها العميقة .

وقد كانت اليسار التى اختصها حجازى ، برسم غلافها منذ صدر عددها الأول فى مارس
١٩٩٠ فى تلك القفترات التى كان يتوقف فيها عن رسم الكاريكاتور ، لكى يتفرغ لرسم

الأطفال ، احتجاجا على الحاضر ،
ورohana على المستقبل ، هى أكثر
الناس سعادة بصدور هذا الكتاب ،
الذى يحتل بنماذج من إنتاج فنان
لا يتكرر ، سواء فى قدرته على
السخرية ، أو فى انتمائه بلا حدود
للمستضعفين فى الأرض لذلك
نخلى الصفحة الأخيرة من هذا
العدد لصفحات من كتاب حجازى
فنان الحارة المصرية .



صلاح عيسى



اقرأ : الهموم القديمة ماتزال قادرة على إثارة السخرية في الصفحة المقابلة



مش كفايه تعترف بإسرائيل ،
 ضروري مان تبوس القدم ،
 وتبدي الدم ، على غلطتك ،
 في حق العالم !

